المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك فيصل

البعد التداولي والحجاجي
في الجزء الأول من نظرات المنفلوطي

إعداد الطالب
عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الحوشان

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في تخصص اللغة العربية / اللغويات
كلية الآداب . جامعة الملك فيصل

١٤٣٦هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك فيصل

البعد التداولي والحجاجي
في الجزء الأول من نظرات المنفلوطي

إعداد الطالب
عبد الودود بن عبد العزيز بن محمد الحمدان

إشراف الأستاذ الدكتور
إبراهيم كايد محمود

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في تخصص اللغة العربية / اللغويات
كلية الآداب . جامعة الملك فيصل

١٤٣٦هـ

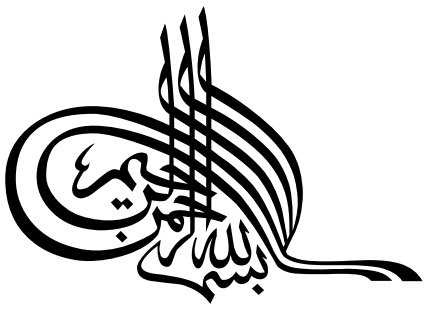
بسم الله الرحمن الرحيم

قلسرا نلوئ: (لأا ءز في يج ا لحا و لي و ا ت ا مع ل لي ط لمفلما ت لظنن م لو).

خ ي و ا ت ة لسر لا ا نستشق ن / / ١٤هـ، الموافق / / ٢٠م، وتمَّ إجازتها.

المشرف على الرسالة: أ.د إبراهيم كايد محمود مقرراً.

التوقيع: ----------

أعضاء لجنة التحكيم

١- أ.د الحسين النور يوسف الحسين ممتحناً خارجياً

التوقيع: ----------

٢- د. بلقاسم محمد حمام ممتحناً داخلياً

التوقيع: ----------

إلى والدي العزيزين ..

اسأل عن الاستعمال .. ولا تسأل عن المعنى

فلاسفة مدرسة الكسفورد ..

m

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله و صحبه الغر الميامين .. أما بعد،،

فعقب هيمنة التيارين البنيوي والتوليدي على ساحة الدراسات اللسانية، و تركيزهما على استقلاليتها بقصر دراسة اللغة على البنية والتفسير، وبالتالي دراسة اللغة كنسق تجريدي يركز على اللسان وبنيته الداخلية، ويستبعد الكلام الفردي و السياقات الخارجية، ويشتغل بقواعد إنتاج الجملة، واتخاذ التركيب أساسًا لفهم اللغة إلا من محاولات خجولة أتت متأخرة في توضيح بنية المكون الدلالي، عادت المعرفة الإنسانية لتفرز نظريات ومفاهيم لغوية متباينة في الأسس المعرفية، فانبثقت عنها تيارات لسانية جديدة تم بسبل تواصل الفرد وطرائقه في تحقيق مقاصد الاستعمالات الكلامية، وقضايا التأويل والتلقي، مستفيدة في ذلك من عدَّة معرفيات أخرى غير لسانية اجتمعت كلها فيما عُرف لاحقًا بالتيار التداولي الذي يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والبحث عن العوامل التي تجعل من الاستعمال الفردي رسالة تواصلية ناجحة، وفي المقابل الكشف عن أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية وتفسير ظواهرها من خلال خرق مبادئ الحوار، ودراسة الجوانب المتخفِّية في الملفوظ ممَّا يتحدد وفق اقتضاءات لغوية أو استلزامات يحددها المحيط التلفظي.

والتداولية (Pragmatics) في أبسط تعريفاتها هي علم استعمال اللغة، فهي بالتالي حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام، ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمتلقي والسياق، غير أنَّ هذا الاهتمام يتوزع في مجالات تداولية مختلفة، والإجماع لم يتحدد بعد فيما يخص التداولية وفرضياتها، فهي تبدو كما لو كانت ملتقى تخصصات مختلفة، أو تداوليات وليست تداولية واحدة[١]، ومع ذلك فإنَّ البحث التداولي يُعد أكثر الاتجاهات استقطابًا لما يسوغ نعته بالبلاغة الجديدة[٢].

وقد بات الحجاج (Argumentation) مقترنًا بالمباحث التداولية في عرف الباحثين، بل بابًا رئيسًا فيها، باعتباره استراتيجيةً لغوية محضة تختلف عن البرهنة التي تقع تحت طائل العلوم الفلسفية، وإن بديا متداخلين في الآن نفسه؛ ولذا يمكن جمعهما تحت عنوان "الفلسفة اللغوية"[٣].

---

(١) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٧،٨، ط١، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢م.

(٢) المرجع السابق ٣.

(٣) الحباشة، صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص ٧، دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٨م.

ولما كانت اللغة العربية مجمع الفصاحة والبيان، ولغة الشعر والأدب والقرآن، ولكونها أقدم اللغات التي تزال تتمتع بخصائصها الأولى لفظًا وصرفًا وتركيبًا وبلاغة وأدبًا، فهي الأجدر بالدراسة وفق إجراءات البحث التداولي الحديث، ولكون الأدب العربي الحديث عامة، وفنون العرب في كتابة المقالة خاصة لم يحظيا بالكثير من الدراسات اللسانية التداولية، وقع الاختيار على كتاب (النظرات) للأديب العربي المصري مصطفى لطفي المنفلوطي كمدونة؛ لما يملكه من أسلوب نقي ورصين في مقالاته التي وجَّه جلها لإصلاح مجتمعه مستحضرًا المثل العليا، فتفنن في خطط القول؛ مما جعلت هذا الكتاب جديرًا بدراسة أبعاده التداولية والحجاجية.

وبناءً على ما تقدم، ورغبة في الإفادة من علم اللسانيات الحديثة، والنظرية التداولية على وجه الخصوص،يسعى هذا البحث إلى تحليل مقالات الجزء الأول من كتاب النظرات من منظورٍ يصدر عمَّا تقرَّر في برنامج هانسون (Hansson) ١٩٧٤م الذي يمثل نمطًا مستقلاً نسبيًا؛ ويعمل على التوحيد بين مختلف أجزاء التداولية توحيدًا نسقيًا وفق ثلاثة مستويات تتدرج من مستوى إلى آخر، كما يقوم على دراسة العلاقات بين هذه الدرجات التي يمثل كلٌّ منها مرحلةً تداوليةً ابتداءً من التلفظ والقصد، وانتهاءً بالتلقي والتأويل؛ وبالتالي يسمح هذا البرنامج بتفاعل كافَّة المكونات التداولية وتحليلها وفق آلية شمولية، تضمُّ عدَّة نظريات تقع جميعها تحت نطاق فلسفة اللغة التحليلية، وبالتحديد وفق فلسفة اللغة العادية، لتشمل عدة نظريات تشكِّل الدرس اللساني التداولي الحديث، وهي: التلفظ (Enunciation)، وأفعال الكلام (Speech Act) ، ومتضمنات القول (Implication) ، وقواعد الحوار أو مبدأ التعاون (Principle of co-operation)، والحجاج (Argumentation)، باعتبارها جميعًا إجراءات عملية تتحكم في إنتاج الكلام؛ حيث يتقرر البعد التداولي والحجاجي فيها عبر دراسة قصد المتكلم، وقوى أفعاله الإنجازيَّة، وخطط القول لديه، بالإضافة إلى دور المتلقي في إنجاح تداولية الخطاب، ودوره الذي لا يمكن استبعاده في تأويل مقاصد المتكلم (الباث)، تقول ثناء محمد سالم[١]: " فالمتلقي عضو غير خامل في الخطاب الاتصالي، بل عضو فاعل متفاعل، لا يقل أهمية في توجيه الخطاب عن المتكلم ".

كما يقوم البحث على فصل الحجاج عن التداولية وإن كان بعضهم يعدُّه امتدادًا للنظرية التداولية لا سيما ما قدمه ديكرو وأنسكومبر-؛لكون ما تطرق إليه كلٌّ من برلمان وتيتيكا (البلاغة الجديدة)إن كان محسوبًا على الدرس اللساني إلا أنَّه لا يندرج تحت المفاهيم التداولية وفق تنظير معظم

(١) سالم، ثناء محمد، مجلة فيلولوجي – سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية – علمية محكمة – كلية الألسن ، مقال بعنوان: إستراتيجيات البنية الإقناعية وأبعادها التداولية في رسائل المنصور والنفس الزكية، جامعة عين شمس ٢٠٠٩م.

الدارسين. بالإضافة إلى أني لا أدَّعي الإتيان على جميع المقاربات التداولية والحجاجية، ولكن أزعمأنيِّ تناولت أبرزها وأشملها.

ومن خلال هذه الرؤية وقع الاختيار على هذا البحث المتضمن دراسة "[illegible]" معتمدًا إصدار العام ٢٠١٣م/١٤٣٤هـ، للدار النموذجيَّة في بيروت.

وأمَّا سبب اختياري لهذا الموضوع، فهو كالتالي:

١-قلة الدراسات اللغوية التداولية التي تناولت المقالات الأدبية في العصر الحديث.

٢-شراء كتابات المنفلوطي بخطط القول، والملفوظات الإنجازية، والآليات الحجاجية، لاسيما ما ورد في كتاب النظرات؛ حيث يعود ذلك لطبيعة الخطاب الموجه لإصلاح المجتمع.

٣-ارتباطي الشخصي الشديد بكتابات المنفلوطي منذ نعومة أظفاري.

٤-الإفادة من إمكانية النظرية التداولية بتطبيقها على مدونات عربية، والنظر فيما تفتقره كي تتسق وطبيعة اللغة العربية.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أعتمد المنهج الوصفي التحليلي، وأن أقسمه إلى فصلين مسبوقين بتمهيد، حسب التالي:

تمهيد: يحوي نبذة عن الأديب(مصطفى لطفي المنفلوطي)، وكتابه النظرات (المدونة المدروسة).

الفصل الأول: الدراسة النظرية، ويشمل مبحثين:

- المبحث الأول: التداولية (Pragmatics) وأهم نظرياتها:

يتضمَّن تعريف النظرية التداولية ومستوياتها، وموقعها من الدرس اللساني، ويسلط الضوء على عدَّة مقاربات تمثِّل في مجملهاأهمَّ النظريات التداولية، كنظرية التلفظ (Enunciation Theory)، ومبدأ التعاون (Principle of co-operation)، ومتضمنات القول (Implication)، ونظرية أفعال الكلام (Speech Act Theory) لكل من أوستين (Austin) وسيرل (Searle).

- المبحث الثاني: الحجاج (Argumentation):

ويتناول مفهوم الحجاج ومدى ارتباطه بالنظرية التداولية انطلاقا من مقاربتين لسانيتين، هما: "البلاغة الجديدة" لـ برلمان وتيتيكا (Perelman&Tyteca) و "التداولية المندمجة" لـ ديكرو وأنسكومبر

(Ducrot&Anscombre) من خلال تسليط الضوء على آلية السلم الحجاجي، و العوامل والروابط الحجاجية، وكذلك دراسة المبادئ العامَّة المشتركة، ، واستراتيجيات الحجاج.

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقيةفي المدوَّنة، ويشمل مبحثين:

- المبحث الأول: البعد التداولي (The pragmatic dimension):

و يتمحور حول تحليل البعد التلفظي و البعد الاقتضائي، بالإضافة إلى تحليل خرق قواعد مبدأ التعاون وما يترتَّب عليه من استلزامات حواريَّة، وأخير ً ا تحليل ملامح الأفعال الكلاميَّة والقوى الإنجازية.

- المبحث الثاني: البعد الحجاجي (The Argumentative dimension):

ويتناول تحليل الموجِّهات الحجاجية، وظاهرة تعدد الأصوات، كما يتناول تحليل الظاهر والمضمر، والنتائج وإعادة تأسيس الحجاج بالإضافة إلى تحليل السلالم الحجاجية وآليات الحجاج في شكله الفنيِّ ، وتحليل الروابط والعوامل الحجاجية، وتسليط الضوء على أنواع المبادئ العامَّة المشتركة، قبل أن يختتم بتحليل الاستراتيجيات الحجاجية.

ثم الخاتمة التي تتضمن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، يليها ثبت المصادر و المراجع ، والمراجع الأجنبية، بالإضافة إلى كشاف المصطلحات عربي/إنجليزي، ويتضمن الإشارة إلى رقم الصفحة التي ورد فيها المصطلح،وأخير ً ا فهرس الموضوعات.

وعليه، فإنَّ هذه الدراسة تدور حول إشكالية تتمثَّل في مدى تحقق البعدين التداولي والحجاجي في الجزء الأول من نظرات المنفلوطي، وهذا بدوره يقود إلى عدَّة فرضيات تمثَّلت في التساؤلات التالية:

١-هل تمكَّن المنفلوطي من خلال ملفوظاته أن يتمثَّل خطط القول التداولية؟

٢- إلى أيِّ مدى بدا توظيف آليات الحجاج في ملفوظاته؟

٣- كيف يمكن تفسير دور المتلقي في تأويل تلك الملفوظات؟

٤- هل تثبت ملفوظاته احتواء اللغات الطبيعية على أجزاء مفقودة لم ترد في المنطوق، غير أنَّها متحققة و مفهومة من خلال مقام التلفظ؟ و بعبارة أخرى مدى تفاوت بين التصريح والتضمين؟

٥- ما مدى التزام المنفلوطي بقوانين الحوار في الاستعمال؟ وإلى أين يقوده خرق هذه القوانين؟

٦-ما هي آليته في توظيف الملفوظات التقريرية والإنجازية وفق قوَّة الفعل الكلامي؟

٧- ما هو دور مقام التلفظ في تحديد الأبعاد التداولية والحجاجية في مقالاته؟

و من أجل ذلك،رسمت منهجً ا لدراستي وفق الخطوات والإجراءات التالية:

١- رصد الملفوظات التداولية والحجاجية في الجزء الأول من كتاب النظرات، من خلال برنامج حاسوبي فيهيئة قاعدة معلومات قمتُ ببرمجته بنفسيخصيصً ا لهذه الدراسة.

٢- بيان وضعية التلفظ، ومقامية التبليغ، ودراسة قوانين الحوار، ومدى حدوث خروقات فيها.

٣- تحليل البعد التداولي في الملفوظ من خلال تحديد نوع الفعل الكلامي، وتحديد قوته الإلزامية.

٤- تحليل البعد الحجاجي من خلال تحديد آلية الحجاج، وتحليل العوامل والروابط في الملفوظات.

٥- دراسة نمط التلفظ و بنية المستويات التلفظية التي يركن إليها المنفلوطي في مقالاته.

٦- دراسة متضمنات القول بنوعيها: اللغوي (الاقتضاء)، وغير اللغوي (الاستلزام الحواري) ومدى تحقق شروط كلٍّ منهما.

٧- استخدام الجداول لتحليل الأفعال الكلامية، وبيان نوعها بحسب تصنيف كل من أوستين (Austin) وسيرل (Searle) ، وقوا الإلزامية إذا تطلب الأمر.

٨- استخدام الأشكال الرسومية أثناء عمليَّة تحليل الملفوظات الحجاجية لتحديد آلية الحجاج، وتحديد المبادئ العامَّة المشتركة والحجة والنتيجة، واعتماها أيضً ا لإيضاح السلا لم الحجاجية.

وفي محاولة للوقوف على هذه النظرية من كل جوانبهاوحرصً ا على الإطلاع على أكبر قدر ممكن من وجهات النظر على اختلافها وتباينها، فقد رجعت لجملة من المراجع التي تناولت الدرسين التداولي والحجاجي وفق مفاهيمهما الحديثة، والتي كان من أبرزها: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي لطه عبدالرحمن، والتداولية اليوم لـ آن روبول وجاك موشلار وترجمة سيف الدين دغفوس، ونظرية أفعال الكلام العامة لـ جون أوستين وترجمة عبدالقادر قينيني، والعقل واللغة واتمع لـ جون سيرل وترجمة سعيد الغانمي، وفي نظرية الحجاج لعبدالله صولة، والتداولية من أوستين إلى غوفمان لفيليب بلانشيه وترجمة صابر الحباشة، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة، والاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدراوي، والاقتضاء وانسجام الخطاب لريم الهمامي، والتداوليات علم استعمال اللغة من جمع حافظ إسماعيلي علوي، والتداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكَّمة من جمع منتصر أمين عبدالرحيم وحافظ إسماعيلي علوي، وغيرها.

أمَّا المراجع الأجنبية فمن أبرزها: التداولية (Pragmatics) لـ ستيفين ليفنسون، والتداولية (Pragmatics) لـ جورج يول، والمحاضرات السلوفينية (Slovenian lectures) لـ أوزفالد ديكرو، ومدخل إلى الدلالة والتداولية في اللغة الإنجليزية (An introduction to english semantics and pragmatics) لـ باتريك جريفثز، وغيرها.

و تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١-الإفادة من مفاهيم التداولية الغربية الحديثة، كنظرية التلفظ، ونظرية أفعال الكلام، ونظرية الحجاج، ومتضمنات القول، وقوانين الخطاب، وتطبيقها على الأعمال الأدبية العربية الحديثة.

٢-استكشاف الأبعاد التداولية والحجاجية في خطاب المنفلوطي ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها من خلال تحليل مقالات الجزء الأول من كتاب النظرات، ومن ثمَّ تسليط الضوء على خطط القول في خطابه المتمثلة في تحليل أفعال الكلام والقوى الإنجازية لها، وإجراءاته الحجاجية، ومتضمناته في القول، ومدى امتثاله أو خرقه لقوانين الحوار.

٣- دراسة تصنيف ملفوظات المنفلوطي المشتملة على أفعال إنجازيَّة وفق رؤيتي أوستين وسيرل.

٤- الكشف عن استراتيجيات المنفلوطي في توظيف الملفوظات في صيغ إنجازية (الفعل الإنجازي المباشر وغير المباشر) من خلال الجزء الأول من النظرات.

٥-تحليل آلية السلالم الحجاجية في خطابه من حيث نتائجها المعيارية أو المضادَّة وفق رؤية ديكرو، ومدى التصريح أو الإضمار بالمبادئ العامَّة المشتركة والحجج والنتائج.

٦-الكشف عن آليته في توظيف المقدمات العامة المشتركة، ومدى تحققها في الجزء الأوَّل من النظرات.

٧-تحديد أدوار الروابط و العوامل في الارتقاء بوظيفة اللغة من التبليغ إلى الوظيفة الحجاجية.

٨-تحديد استراتيجياته الحجاجية ودورها في توجيه الحجاج.

٩-التعرف على الإيحاءات والإسقاطات التأويلية التي يرمي إليها في خطابه عبر تحليل الكيفية التي يتكون من خلالها معنى وقصد الملفوظ ضمني اقتضاءً كان أم استلزامًا حواريا.

١٠-وصف العلاقات بين المعطيات الداخلية للملفوظ من خلال تحليل بنية القصد، ودور المرسل (الكاتب) والمتلقي (القارئ) ووضعية التلفظ ومقامية الملفوظ والإشاريات في تحديد الاستعمال اللغوي.

أمَّا الدراسات السابقة، فهي كالتالي:

أولاً : دراسات لغوية في كتاب النظرات:

(١) تفاعل بنية الازدواج مع المضمون في مقالات المنفلوطي.

مقال علمي تطبيقي منشور بصحيفة فيلولوجي . القاهرة ٢٠٠٩م.

الباحثة: لمة حسين إمام.

تناولت الباحثة مفهوم الازدواج بوصفه أحد البنى الحجاجية ثنائية التوجيه بين اللغة والمقام، باعتباره يعكس فكر ً ا مرتب ً ا منتًا مقنع ً ا، بالإضافة لما له من أثر سمعي إيجابي في رونق الكلام يؤثر في موقف المتلقي؛ حيث يعد الازدواج بالمفهوم الذي تقوم عليه هذه الدراسة وتقاطعه مع المضمون ظاهرة واضحة في المقالات الحجاجية لدى المنفلوطي، وقد اختارت الباحثة (٦نص) ً ا حجاجي ً ا فقط، تتنوع في م وضوعاا ما بين الاجتماعي، والسياسي، والديني، والتربوي، وتجيب عن تساؤلات منها: ما أثر موضوع النص أو نوعية القضية في ارتفاع نسبة الازدواج أو انخفاضها في هذه النصوص ؟ وكيف حاول المنفلوطي التأثير في المتلقي واستثارته وإقناعه بحججه باستعماله بنية الازدواج ؟ وما أنماط الازدواج التي جاءت في هذه النصوص ؟ وما الأنماط الأكثر شيوع ً ا فيها ؟

(٢) التماسك النصي في نظرات المنفلوطي.

أطروحة دكتوراه في جامعة أسيوط، كلية الآداب -مصر- ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

الباحث: علاء رمضان عبدالكريم أحمد.

دراسة نصية إحصائية دف إلى إثبات دور أدوات التماسك النصي بنوعيها: الشكلي(الاتساق- Cohesion) والدلالي (الانسجام-Coherence) في تحقيق الترابط في كتابات المنفلوطي، من خلال دراسة الإحالة، والربط، والحذف، والتوابع بأنواعها، والاستبدال، والمناسبة، والمصاحبة المعجمية. ويجيب هذا البحث على التساؤلات التالية: هل يساعدنا تماسك النصوص في تقدير المحذوف في جمل المنفلوطي؟ هل يساعدنا تماسك النصوص على إيضاح المبهمات داخل النص أم لا؟ هل يساعدنا تماسك النصوص في إيضاح التطور الذي أدخله على لغة النصوص أم لا؟ هل يمكن تطبيق المنهج النصي عليها؟

(٣) بنية الفعل واستعماله في أوراق الورد للرافعي والنظرات للمنفلوطي والفاروق عمر لهيكل.

أطروحة دكتوراه في العلوم اللغوية (نحو وصرف)، جامعة الزقازيق، فرع بنها، كلية الآداب –مصر- ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

الباحث: خالد السيد عبد العال.

تتناول هذه الرسالة دراسة الفعل بنية واستعملا عند ثلاثة من كُتاب العصر الحديث وهم الرافعي والمنفلوطي وهيكل، مقسمة إلى ستة فصول: ارد والمزيد، الصحيح والمعتل، الجامد والمتصرف، المتعدي واللازم، المبني للفاعل والمبني للمفعول، الفعل والزمن.

(٤) ظاهرة المطابقة النحوية في العربية الفصحى المعاصرة، دراسة نصية في أعمال مصطفى لطفي المنفلوطي مع تحديد مشكلاا بالنسبة للطلاب الماليزيين.

أطروحة دكتوراه في جامعة جنوب الوادي، كلية الآداب بسوهاج –مصر-، وأكاديمية أكسفورد، بالمملكة المتحدة، ٢٠٠٠م.

الباحث: حاج محمد بن سمن .

دراسة لغوية نصية تقابلية بين العربية والمالاوية، تدرس التطابق بين أجزاء التركيب اللغوي، وكأن هذه الأجزاء اللغوية حينما تتجاور تشكل منظومة من الأنساق المتآلفة، كما تدرس تميز اللغة العربية دون غيرها من اللغات، وتم ببناء المناهج التعليمية للغة العربية باعتبارها لغة ثانية، وتنقسم الرسالة إلى ثلاثة عناصر أساسية: ماهية المطابقة النحوية ومدى تحققها في اللغة العربية الفصحى، ودراسة نصية في أعمال الأديب المنفلوطي لظاهرة المطابقة النحوية العربية، وتحديد المشكلات التي يواجهها الطلاب الماليزيون في معرفة هذه الظاهرة النحوية وكيفية تطبيقها أثناء تعلمهم للغة العربية.

ثانيـًا : دراسات لغوية تداولية تطبيقية في منتجات أدبية معاصرة:

(١) دراسة تداولية للخطاب التعليمي الجامعي باللغة العربية.

مقال علمي، إنسانيات- الة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية.

الباحثة: نوارة بوعيادة.

تناولت الباحثة في هذه الدراسة الوضعية التعليمية مقسمة الخطاب إلى: تعليمي، وتربوي، وعلمي، مشيرة إلى سلطة المتكلم ووسائل الاتصال غير اللفظية، وبعض ملامح هذا الخطاب كالتلفظ والمرجعية والأسماء المبهمة وغيرها، بالإضافة إلى تناولها لأفعال الكلام في هذا الخطاب من خلال الأقوال التقريرية و الإنشائية (الإنجازية)، والأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، بالإضافة إلى الحجاج في الخطاب التعليمي الجامعي.

(٢)الخطاب المسرحي والقيمة الحِجاجية- دراسة تداولية-مسرحية هاملت لشكسبير أنموذجً ا.

ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب.

الباحث: طارق ثابت.

تناول الباحث في هذه الدراسة مفهوم الحجاج وأشكاله، بالإضافة إلى القيمة الحجاجية، والمسلمات الحجاجية (المقدمة الكبرى) بحسب أرسطو، مع تطبيق هذه المفاهيم في نماذج من مسرحية (هاملت) للأديب الإنجليزي ويليم شكسبير.

(٣) عتبات النص في (رواية الثلاثة) لمحمد البشير الإبراهيمي —دراسة تداولية-.

مقال علمي، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول. الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الباحث: إبراهيم بن عبدالرحمن براهمي.

تحاول هذه الدراسة -انطلاقاً من المقاربة التداولية في تحليل النصوص - أن تبرز نظام العتبات بوصفهخطاباً تداولياً تمهيدياً وتعريفياً للنص أو المتن، ويتواءم مع نسق النص الموازي له ويستدل عليه، إذا ما اعتبرموقعاً تداولياً ينعقد فيها للقاء بين الكاتب والقارئ، من خلال تحليل بعض الخصائص التي يحملها الخطاب في هذه الرواية .

(٤) دراسة نصية تداولية في مقالات رقية سليمان الهويريني.

مقال علمي، دراسة تطبيقية على مدونة صحيفة الجزيرة، جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن.

الباحث: أ.د نعمان عبدالحميد بوقرة.

تتناول هذه الدراسة نظرية تحليل الخطاب من خلال توجهها اللساني التداولي إلى مقاربة نصوص الكاتبة السعودية رقية سليمان الهويريني، المشكّلة لخطاب الإصلاح الاجتماعي، عبر الكتابة الصحفية، ومن خلال صحيفة الجزيرة ،وتقوم على محاولة الكشف عن الاختيارات اللسانية التي تتأسس عليها استراتيجية الإقناع الإعلامي بصورة شمولية، والتعرف على أهم مرتكزات الانسجام النصي التي تبني

العلاقة بين النص والكاتبة والقارئ ، وتحدد رؤية كل منهما للعالم، كما تتأسس الدراسة على ركنين أساسين أولهما نظري تأسيسي ، يذكر بأهم التصورات النظرية المتصلة بنشأة تحليل الخطاب ولسانيات النص، وإجراءات القراءة النصية التي يقترحا ، وأما ثانيهما فتطبيقي يحاول النفاذ في بنية النصوص، مستطلعا ومستكشفا خطط القول ، وأفعاله الأساسية .

(٥) استراتيجية الخطاب في النشيد الوطني دراسة تداولية.

رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب –الجزائر-.

الباحثة: يونسي فضيلة.

تتناول هذه الدراسة تحليل الخطاب ومعالجة النص الشعري للنشيد الوطني من خلال التركيز على بنية اللّغة والوظائف الأساسية التي تؤديها باعتباره خطابا، وتجيب عن عدة أسئلة، وهي: -كيف تساهم اللّغة والدلالة في تحقيق فعل التواصل؟ ما العلاقة بين الوظائف اللغوية والاستعمال؟ ما هي الكفاءات التي تساعد المرسل على تحقيق مقاصده في النشيد؟ ما هي أنواع المقاصد التي يجسدها عبر خطابا؟ ما مدى تفاعل القارئ مع هذه المقاصد؟ هل للسياق دور في ذلك؟ ما أثره في تحقيق فعل التواصل؟ ما هي الوسائل والأدوات الإجرائية التي يتوخاها الشاعر في النشيد من أجل تحقيق هدف الإقناع والتأثير والتواصل مع المتلقي؟.

أمَّا الصعوبات التي واجهتني في كتابة هذا البحث، فتتمثَّل فيما يلي:

١- صعوبة الدرسين التداولي والحجاجي لوقوفهما في منطقة بين الفلسفة واللغة، وتشعب مصطلحاما ومفاهيمهما.

٢-تعدد صور تعريب المصطلح الواحد؛ حيث قد تصل أحيانًا إلى العشرة.

٣- عدم الإجماع في كثير من القضايا، ممَّا يعني عدم اكتمال ملامح النظريتين التداولية والحجاجيَّة.

٤- تقاطع التداولية مع جملة من العلوم المعرفية بما يؤدِّي إلى تداخل القضايا في شبكة معقَّدة من المفاهيم.

٥- عدم دراستي للفلسفة والمنطق من قبل، وكون التداولية والحجاج يعتمدان بشكل كبيرٍ على مفاهيمهما.

عدم تفرغي؛ ممَّا حمَّلني عبئًا كبيرًا في التوفيق بين الدراسة والعمل.

٧-مرض ابني بالتهاب الغدَّة اللمفاويَّة الذي اضطرني إلى التوقف مدَّة قبل أن أعود لاستئناف البحث.

وختامًا أسال الله -عزوجل- التوفيق والسداد، وأن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يجزل الخير والمثوبة لمن أسدى إلي بالعلم والمعرفة، أساتذتي الأفاضل الذين كانوا ومازالوا عونًا لطالب العلم، ولم يألوا جهدًا في سبيل تقديم النصح والإرشاد والرعاية الأبوية التي حقٌّ عليَّ أن أذكرها لهم ما حييت شكرًا وعرفانا،وأخصُّ بالذكر معلمي الفاضل الأستاذ الدكتور إبراهيم كايد محمود، لما قدَّمه لي من رعاية أبويَّة وتحفيز وتوجيه كان لها بعد الله سبحانه الأثر البالغ في جدِّي ومثابرتي، فله مني جزيل الشكر والامتنان والتقدير، كما لا يفوتني أن أتقدَّم بالشكر الجزيل لسعادة عميد كليَّة الآداب الأستاذ الدكتور ظافر الشهري، وسعادة عميد الكليَّة السابق الدكتور علي البسَّام، وسعادة وكيل الكليَّة للدراسات العليا الدكتور علي الشهري، وسعادة وكيل الكليَّة السابق الدكتور عبدالعزيز الخثلان، وسعادة رئيس قسم اللغة العربية الدكتور عصام العصام، وسعادة رئيس قسم اللغة العربية السابق الدكتور محمد الجغيمان، نظير متابعتهم لي ولزملائي، وحرصهم بالوقوف معنا لتجاوز الصعوبات التي واجهتنا أثناء مرحلة الدراسة والبحث، فأسأل الله عزَّ وجل أن يجزيهم خير الثواب وأن يبارك في أمثالهم المخلصين، وأن يجعلهم ذخرًا لهذه البلاد،وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

١ - نبذة عن المؤلّف الأديب المصري مصطفى لطفي المنفلوطي.

٢ - نبذة عن كتاب النظرات.

١ - مصطفى لطفي المنفلوطي ١٨٧٦ - ١٩٢٤م[١]:

ولد مصطفى لطفي المنفلوطي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، سنة ١٨٧٦م ببلدة منفلوط إحدى بلدان مديرية أسيوط من صعيد مصر لأسرة مصرية معروفة بالشرف والحسب، واختلف في أوَّل حياته على الكُتَّاب فحفظ القرآن الكريم ولمَّا يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وحرصًا من والده على تعليمه وتثقيفه أرسله إلى القاهرة حيث الأزهر، ليظل به عشر سنوات، وهناك التقى الشيخ محمد عبده الذي كان يدرِّس تفسير القرآن وكتابي عبدالقاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة" فلزم دروسه منصرفًا عن الأزهر وعلومه ورجاله؛ إذ يبدو أنَّه قد ضاق بطريقة التعليم فيه ويأس منه، ليجد ضالته في دروس عبده، وقد تأثر تأثرًا قويًا بتعاليمه.

و كان لاتصاله الوثيق بالشيخ محمد عبده أن رسم له الطريقة المثلى إلى الغاية من الأدب والحياة، فاهتمَّ بعلوم اللسان وفنون الأدب وحفظ الأشعار، حتى لقد اشتهر بين الأزهريين بذكاء القريحة وروعة الأسلوب، ثمَّ أنَّه استفاد من قربه إلى الشيخ ما أوصله إلى الزعيم المصري المشهور سعد زغلول باشا قائد ثورة ١٩١٩م الذي كان يناصره ويتحمل في سبيل ذلك الضيمفكان لزلفاه من هذين الرجلين سببًا في تفوقه لدى صاحب صحيفة المؤيد مصطفى كامل[٢]، ورئيس تحريرها علي يوسف[٣]، ليصبح هؤلاء أبرز العناصر في تكوين المنفلوطي الأديب.

ولم تكن حياة المنفلوطي هادئةً على الدوام، بل مرَّت بمراحل صاخبة من العناء، ومن ذلك ما نُسب إليه أنَّه هجا الخديوي عبَّاس حلمي الثاني بقصيدة نشرها في إحدى الصحف الأسبوعية، فحكم عليه بالحبس وقضى في السجن عامين، كما أنَّه وبعد وفاة الشيخ محمد عبده أسف أسفًا شديدًا، الأمر الذي دعاه للعودة إلى بلدته ومكث فيها لعامين، يكاتب صحيفة المؤيد، ولمَّا عُين سعد زغلول وزيرًا للمعارف أخذه إليها محررًا عربيًا لوزارته، وعندما تحوَّل إلى الوزارة الحقَّانية (العدل) انتقل إليها معه بذات المنصب، غير أنَّه لم يظل في وظيفته، فبعد خروج زغلول من الوزارة فُصل عنها، وظل يكتب في الصحف

---

(١) ضيف، شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر ٢٢٧، القاهرة: دار المعارف، ط ١٠، ب.ت.
الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي ٤٦٠، القاهرة: دار نهضة مصر، مزيدة ومنقحة، ب.ط، ب.ت.
الفاخوري، حنَّا، الجامع في تاريخ الأدب العربي/الأدب الحديث ٢٠١، بيروت: دار الجيل، ط١، ١٩٨٦م.

(٢) هو مصطفى كامل باشا زعيم سياسي وكاتب مصري. (انظر) الفاخوري، حنَّا، الجامع في تاريخ الأدب العربي/الأدب الحديث ١٩٩.

(٣) هو علي بن يوسف البلصفورى الحسيني، كاتب ومن علماء الأزهر، ومن أكابر رجال الصحافة في الديار المصريةوكان جليسًا للخديوي عباس حلمي الثاني. (انظر) موقع المعرفة الإلكتروني على الرابط التالي:
علي_يوسف/http://www.marefa.org/index.php بتاريخ ٢٣/٨/٢٠١٤م.

إلى أن قام البرلمان سنة ١٩٢٣م فعيَّنه سعد زغلول رئيساً لطائفة من الكُتَّاب، غير أنَّ القدر لم يمهله طويلاً ، فانتقل إلى جوار ربه سنة ١٩٢٤م عن عمر ناهز الثامنة والأربعين عاماً.

وتميَّز المنفلوطي بحسن خلقه، فكان صحيح الفهم في بطء، سليم الفكر في جهد، دقيق الحس في سكون، هبوب اللسان في تحفظ، وهذه الخِلال تظهر صاحبها للناس في مظهر الغبي الجاهل، فهو لذلك كان يتقي المالس، ويتجنَّب الجدل، ويكره الخطابة، ثمَّ هو إلى جانب ذلك رقيق القلب، عفُّ الضمير، سليم الصدر، صحيح العقيدة.

ومن حيث أسلوبه في الكتابة، أكتفي بأنَّه موهوباً، فامتاز بالنثر الفنيِّ البديع الذي أنشأه الطبع، و بتسلسل عباراته تسلسل الماء الصافي، في غير اضطراب ولا قلق ولا غموض، وقد كان للأقصوصة التي أجاد إعادة صياغتها إلى العربية سرٌّ في ذيوع أدبه، حيث إنَّه لم يكن يجيد لغة أجنبية، فطلب إلى بعض أصدقائه أن يترجموا له بعض آثار القوم الأدبية، ليعود لنقلها بأسلوبه الرصين وفق صياغة حرَّة لا تلتزم بالأصل، كما أنَّ أسلوبه قد انطبع بصبغة الانفعال العاطفي والرومانسي؛ إذ يبدو ذلك جلياً في مواضيعه وقصصه التي عالجت الفضيلة والعدالة، والانتصار لأحوال الفقراء، ووصفه للبؤس والألم، والتشاجي والتباكي.

وعن الحياة السياسية في زمنه، فقد كانت مصر حينئذ ترزح تحت نير الاحتلال الإنجليزي، الذي كان يضيق الخناق على أبنائها، فكانوا يشعرون بغير قليل من اليأس و البؤس. كلُّ تلك الظروف ساهمت في التئام بؤس أبناء قومه ببؤس نفسه، فأصبح همُّه في إصلاح مجتمعه، وجبر خواطر المحزونين منهم، وتوجيه المتأثرين بالمدنية الغربية، واستنهاض القيم الإسلامية العربية العليا في نفوسهم، والأخذ على يد المفسدين، ومعالجة الظلم الاجتماعي، والشذوذ الإنساني، والغدر في التعامل، والخيانة في الحياة الزوجية، وهو من وراء ذلك يدعو إلى الفضيلة وصدِّ الرذيلة، ويدعو إلى حياة الاستقامة، وإلى أعمال البر والإحسان، كما يدعو إلى التسامح ونبذ الأحقاد، والابتعاد عن التعصب والفساد.

وقد أثرى المكتبة العربية بعدَّة مؤلفات، منها: كتاب "النظرات" في ثلاثة أجزاء جمع فيها ما نشره في صحيفة المؤيد، وكتاب "العبرات" وهو مجموعة من الكتب المنقولة والموضوعة، ورواية "ماجدولين أو تحت ظلال الزيزفون"، ورواية "الفضيلة أو بول وفرجيني"، ورواية "الشاعر أو سيران ودي براجراد"، ورواية "في سبيل التاج" وهذه الأربعة الأخيرة من الأدب المنقول عن الفرنسية .

وذا يعدُّ المنفلوطي أحد الأدباء العرب المددين الذين ساهموا بشكل كبير في إحداث نقلة نوعيَّة في مسار فنِّ النثر العربي والتعبير وكتابة المقالة بعد تفشي ركاكة الأسلوب كما يعدُّ واحداً من المصلحين الاجتماعيين الذين عانقوا قضايا الإنسانية، ووجَّهوا من حولهم إلى اقتفاء دروب الفضيلة والشرف.

٢ - كتاب النظـــرات:

يقع النظرات في ثلاثة مجلدات تضمُّ مجموعة من المقالات الاجتماعية نشرها المنفلوطي في أوائل القرن العشرين بصحيفة المؤيد التي كانت يحرر صفحاا الشيخ علي يوسف.

وتمتاز مقالات النظرات بالأسلوب النقي الخالص من العاميَّة، الخالي من السجع الملتوي إلا ما يأتي عفو الخاطر، والجرس الموسيقي، وجزالة اللفظ؛حيث تأثَّر بأسلوب ابن المقفع، والجاحظ، وبديع الزمان، وربما كان له أسلوبه الذي يختص به.

كما يمتاز بطبيعة الموضوع المستوحى من بيئته، فقد اختار معالجة قضايا الحياة الاجتماعية متحولاً فيها بفعل تأثير أستاذه محمد عبده إلى مصلح اجتماعي، فهو يردد آراء المصلحين من حوله، ويؤدِّيها بلغته التي تأسر المتأمع لبَّه، فهو لا يعنى بموضوعه فحسب، بل يحاول تأديته أداءً فنيًا يتخيرَّ فيه اللفظ، ويحاول أن يؤثِّر به في سمع القارئ ووجدانه[١].

ويحوي كتاب النظرات مائة واثنين وثلاثين "١٣٢"مقالةً ، يمثِّل الجزء الأول (مدونة البحث) منها أربعون مقالة، هي كالتالي: الغد، الكأس الأولى، الدفين الصغير، مناجاة القمر، أين الفضيلة، الغني والفقير، مدينة السعادة، أيها المحزون، إلى الدير، الرحمة، رسالة الغفران، عبرة الدهر، أفسدك قومك، الصدق والكذب، الناظمون، الحرية، عبرة الهجرة، الإنصاف، المدنية الغربية، يوم الحساب، الشعرة البيضاء، الصياد، الانتحار، الجمال، الكذب، غرفة الأحزان، الشرف، الحب والزواج، الإسلام والمسيحية، أهناء أم عزاء، الزوجتان، في سبيل الإحسان، أدب المناظرة، الإحسان في الزواج، لا همجية في الإسلام، البخيل، البعوض والإنسان، الجزع، النبوغ، البائسات .

(١) ضيف، شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر ٢٣٠.

الفصل الأول

(في نظرية الحجاج)

المبحث الأول: التداولية وأهم نظرياتها.

المبحث الثاني: الحجـــاج.

الرموز المستعملة

م	الرمز	المصطلح	Term
١	↵	سياق التلفظ	context of enunciation
٢	⇐	استلزام حواري	conversational implicature
٣	∠	اقتضاء	presupposition
٤	⊄	خرق مبدأ التعاون	infringement of co-operation
٥	∏	فعل إنجازي	illocutionary act
٦	∀	فعل تأثيري	perlocutionary act
٧	⊥	محتوى قضوي	propositional act
٨	Λ	قوة إنجازية	illocutionary force
٩	€	رابط حجاجي	argumentative connection
١٠	Ω	عامل حجاجي	argumentative operator
١١	ح	حجَّة	argument
١٢	∑ن	نتيجة	result
١٣	لا-ن	نتيجة مضادة	reverse result
١٤	◊	فعل القول أو الفعل التلفظي	locutionary act or enunciation act

لوألا ث بم ل ا:

لهتايظن هأو يـ لولتت لا

١ - تيلوالتلا (Pragmatics) هج فصل وةلأثن لا.

٢ -ظ فلل تيظ ن (Theory of Enunciation).

٣ - ولع لا لدبم (Principle of co-operation).

٤ - تيـ لولد ت الوةلت لمضتم (The Pragmatic Implication).

٥ - ملاكلا لمعف أتيرظ ن (Theory of Speech Acts).

١ - التداولية (Pragmatics) وهي نشأة وتطورا:

يمكن القول بأنَّ ظهور التداولية جاء عبر بوابة الفلسفة بامتياز؛ فهي وإن بدت تلقى اهتمامًا في الأوساط اللسانية مؤخرًا، إلا أنَّ ذلك ما كان ليتم لولا مرورها بمراحل عديدة وصعبة، جعلت البعض يصفها بأنا "سلة المهملات" كما فعل بارهيلل (Barhillel) [(١)]، فبعد سعي عالم اللغة دي سوسير (De Saussure) الحثيث إلى صورنة وتجريد اللسان مما علق به من علوم معرفية غير لسانية رأى فيها ما لا يتسق وبنيويته، عادت تلك العوالق إليه من جديد عبر الكلام (Parole) الذي يُعدُّ قطب الرحى في التداولية باهتمامها بالمقامات وحدث الكلام والمتحدثين وعوامل تقع خارج بنية اللسان (Langue).

و لابد للحديث عن نشأة التداولية من الرجوع إلى أصولها الأولى المنبثقة من الفلسفة التحليلية إبان العقد الثاني من القرن العشرين في فينا بالنمسا، على يد الفيلسوف الألماني فريجه (Frege) ١٨٤٨-١٩٢٥ بكتابه "أسس علم الحساب" (...) فمن أهم التحليلات اللغوية التي أجراها على العبارات اللغوية وعلى القضايا، تمييزه بين مقولتين لغويتين تتباينان مفهوميا ووظيفيا، وهما: اسم العلم والاسم المحمول، وهما عماد القضية الحملية[(٢)].

كما ميَّز فريجه بين اللغة العلمية ولغة التواصل، وبين المظاهر المحددة للحقيقة، والمظاهر غير المحددة (...) فبالنسبة للتمييز الأول يوضح أنَّ اللغة الطبيعية قابلة لمعالجة دقيقة، خاصة وأنه بالإمكان استخلاص شروط عامة للفصل، أمّا التمييز الثاني فتحديد الحقيقة يفرض ضرورة إدخال اعتبارات تداولية[(٣)]. ويكمن التحول الذي قدمه فريجه في تفريقه بين المعنى [(الفكرة)] والمرجع، فالمرجع هو الموضوع ذاته الذي نتكلم عنه بواسطة تعبير لساني[(٤)].

وقد تأثر هذا التجديد الفلسفي عدد من الفلاسفة من أمثال: هوسرل (Husserl) وكارناب (Carnap) وفتجنشتاين (Wittgenstein)؛ حيث تجمع بينهم مسلَّمة واحدة مفادها أن فهم الإنسان لذاته وعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر له عن الفهم[(٥)]، ومن خلال هؤلاء الثلاثة

---

(١) انظر العوادي سعيد، تلقي الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة عبدالله صولة أنموذجًا، ضمن كتاب: الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة ٢٥٩، الأردن: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م.

(٢) صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ٣٣، الأردن-إربد: دار الكتب الحديثة، ط١، ٢٠١١م.

(٣) بوقرة، نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة ١٨٢، القاهرة: مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٤م.

(٤) المرجع السابق والصفحة.

(٥) صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ٣٥ -بتصرف-.

انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة أقسام: الوضعية المنطقية بزعامة كارناب، والظاهراتية اللغوية بزعامة هوسرل، وفلسفة اللغة العادية بزعامة فتجنشتاين، غير أنَّ هذه التيارات الثلاثة لم تكن كلها ذات منهج وظيفي تداولي في دراسة اللغة، فقد خرج التياران الأول والثاني عن التداولية بسبب اهتمام الأول باللغات الصورية المصطنعة واتخاذها بديلاً عن اللغات الطبيعية[١] ، وأمَّا الظاهرتية اللغوية فيؤخذ عليها أنها انغمست في البحث في أطر فكرية أعم من الكينونة اللغوية[٢]، فلم يتبق سوى تيار فلسفة اللغة العادية الذي أسسه فتجنشتاين، والمادة الأساسية للفلسفة عند فتجنشتاين هي اللغة؛ إذ يرى أنَّ جميع مشكلات الفلسفة تحُل باللغة، فاللغة هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة، بل كان يعتقد أنَّ الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي سوء فهمهم للغة أو إهمالهم لها، وراح يطور فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة، فالاستعمال هو الذي يُكسب تعليم اللغة واستخدامها[٣]، ولكن تراث فتجنشتاين لم يكتسب مكانته الحقيقية إلا بعدما تبناه فلاسفة مدرسة أوكسفورد ولا سيما: أوستين (Austin) و سيرل (Searle)؛ حيث تدرس فلسفة اللغة العادية اللغة اليومية كما يتكلمها الشخص العادي، فهي تعمل في صميم البحث التداولي (ظاهرة الأفعال الكلامية)[٤]، وذا تكون التداوليات قد وجدت لبدايا منشأ في حضن فلسفة اللغة العادية[٥].

و تلتقي نظرية اللغة العادية مع النظرية الوضعية المنطقية في قضية هامة، وهي الاعتماد على الملاحظة الحسية المباشرة، وتحقق المعنى في الواقع الاستعمالي القابل للتجريب، وهي ترى أن تصورنا لشيء ما يتألف من آثاره العملية، لأن الطابع الوظيفي للشيء هو الذي يحدد هذا التصور الذي نتبناه[٦].

وإذا كان فلاسفة الوضعية المنطقية يرون اللغة وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارات إخبارية؛ ثم يكون الحكم بعد ذلك على هذه العبارات بالصدق إن طابقت الواقع وبالكذب إن لم تطابقه[٧]، فإنَّ من أهم ما رأى فتجنشتاين أن وظيفة اللغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها، لكن للغة وظائف عديدة كالأمر والاستفهام والتمني والشكر والتهنئة واللعن والقسم والتحذير ...إلخ، وليست اللغة عنده حساباً منطقياً دقيقاً، لكل كلمة فيها معنى محدد، ولكل جملة معنى ثابت (...)، بل

(١) المرجع السابق ٣٦.

(٢) المرجع السابق ٣٧.

(٣) المرجع السابق والصفحة.

(٤) المرجع السابق ٣٨ –بتصرف-.

(٥) علوي، عبدالسلام إسماعيل، ما التداوليات؟، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ١٧.

(٦) عبابنه، يحيى/ الزعبي، آمنة، علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات ٩٩، الأردن: دار الكتاب الثقافي، ب.ط، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٧) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٤٢، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط١، ٢٠٠٢م.

الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخدامنا لها في حياتنا اليومية، وتعدد معاني الجمل بحسب السياقات التي ترد فيها[١]؛ ذلك أن التحليل القديم كان يتأسس في دراسة اللغة على النموذج المنطقي الذي يقدمه كتاب مبادئ الرياضيات لراسل (Russell)و وايت هيد (White head)، غير أنَّ نموذجية هذه اللغة سرعان ما تم التخلي عنها لصالح الفكرة القائلة بالتعدد اللغوي، وهكذا تم التخلي عن النظرة السلبية للغة العادية، وبالتالي الاهتمام بالمنطق الخصوصي وإبراز البعد التداولي لها[٢]؛ حيث تعد اللغة الطبيعية [(العادية)] أحد أنظمة العلامات التي يستعملها الإنسان لتجسيد قصده، وتحقيق هدفه، أي لتحقيق الإفهام والفهم بين أطرافه من جانب، وتحقيق ما يصبو إليه من جانب آخر. بيد أنَّ أهميتها تتجاوز ذلك إلى أنا الأداة الأهم، فلا يقتصر دورها على وظيفة نقل الخبر، أو وصف الواقع، بل ينجز الإ نسان ـا أعمالاً لا يستطيع إنجازها من دوا[٣]، ولئن اعترفت أوركيوني (Orecchioni) بالبعد التداولي في اللغة معتبرة أنه لم يعد بحاجة إلى الاستدلال إليه، فإنا بالمقابل حذرت من المغالاة في العقيدة التداولية، فاعتبار الممارسة اللغوية مجرد عمل نفعي، مصلحي، غائي، قد يقلل من شأن الوظيفة الإخبارية للغة[٤]-بحسب زعمها-وربما تعود وجهة نظر أوركيوني إلى ميلها نحو الدائرة البنيوية للتداولية، بناءً على المعطيات الحجاجية للغة، واصطفافها إلى جانب كل من ديكرو (Ducrot) وأنسكومبر (Anscombre) في ذلك[٥].

إنَّ تبني كارناب للفلسفة الوضعية المنطقية جعله ينظر إلى التداولية باعتبارها قضية هامشية، ويرىكأنَّت علمًا تجريبيًا، مع إعلانه عدم إمكانية إدراك تداولية محضة، إلا أنَّه يرى أنَّ التداولية هي قاعدة كل اللسانيات، فهي بالنسبة له -اللسانيات- درس تجريبي يعارض بالمنطق؛ إذ يتأسس النحو الوصفي للدلالة على معارف تداولية[٦].

فالتداولية إذن ليست علمًا لغويًا محضًا، بالمعنى التقليدي، علمًا يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل ... [٧].

---

(١) المرجع السابق ٤٣.

(٢) أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ٧٥، الرباط: دار الأمان، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م. -بتصرف-.

(٣) الشهري، عبدالهادي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ٢٥، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.

(٤) الحباشة، صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص ١١، دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٨م.

(٥) انظر العوادي، سعيد، تلقي الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة عبدالله صولة أنموذجًا، ضمن كتاب: الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة ٢٥٩.

(٦) انظر بوقرة، نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة ١٨٦-١٨٧.

(٧) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب ١٦، بيروت: دار الطليعة، ط١، ٢٠٠٥م.

أمّا الاستخدام الحديث لمصطلح التداولية (Pragmatics) فيُعزى إلى الفيلسوف شارل موريس (Charles Morris) سنة ١٩٣٨م الذي وضع الخطوط العريضة بعد كلٍّ من لوك (Locke) وبريس (Peirce) للشكل العام لعلم العلامات، أو السيميائية أو (semiotic) كما يفضل موريس[١]، غير أنَّ البحث لديه لم يتجاوز تحديد أهدافها الوصفية[٢] ومصطلح (Pragmatics) يعود أساساً لـ كانت (Kant) كان قد أخذ به بريس في بناء نظرية عامة للعلامات[٣].

و يرى بعضهم أنَّ التداولية (Pragmatics) ترتكز على مذهب فلسفي معروف، هو الذرائعية (Pragmatism) الفرق بينهما ليس كبيراً، فالتداولية تستند إلى السيميائيات التي تعد جزءاً منها لدراستها علاقة العلامات بمؤوليها، غير أنّها تلتقي في جزء آخر بالمفهوم الذرائعي الفلسفي؛ حيث يرى بيرس (Peirce) أنّنا لا نملك القدرة على التفكير بلا علامات، وكل التفكير بالعلامات. والتداولية تسير في طريقين: الطريق اللساني الذي استعملت التداولية فيه على أنا جزء من السيميائية، وهو منحنى قوي في الدراسات اللسانية الأوروبية، والمنحنى البراغماتي [الذرائعي]الفلسفي الذي تعرَّض مفهومه للتضييق الحاد فاقتصر على المساواة بين التداولية والسيمياء الوصفية[٤] أمّا بعضهم الآخر فيرى في الذرائعية نظريةً تهتم بالفائدة العملية للفكرة كمعيار لصدقها، وتعتبر فكرة الموضوع ما هي إلا مجموعة الأفكار لكل الوقائع المتخيلة، والتي يمكنها أن تأخذ أهمية عملية يمكن إلصاقها بذا الموضوع، و هذا يعني عدم تكافؤ المصطلحين في المفهوم[٥].

١-١و أ صيخ تطصخ ى ة تا م:

إذا تم التسليم بدراسة اللغة العادية، وبالتالي وظائفها الإنجازية المتعددة، المتمثلة في تجسيد القصد والتواصل لأجل الفهم والإفهام، فإنَّ ذلك من شأنه أن يفتح الباب على مختلف العلوم المعرفية التي ستشارك لا محالة في تحليل البعد اللساني متمثلاً في التداولية.

(1) See Livinson, Stephen C, Pragmatics p5, Cambridge: Cambridge University Press, 1995.

(٢) علوي، عبدالسلام إسماعيل، ما التداوليات؟، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ٢٠.

(٣) المرجع السابق ١٩.

(٤) المعايطه، ريم فرحان، براجماتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة ٧-٨، عمّان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ب.ط، ٢٠٠٨م-بتصرف-.

(٥) بوقرة، نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة ١٦٥.

توافقت نشأة التداولية تقريبًا مع نشأة العلوم المعرفية[1]، كالوصفية التجريبية (علم النفس المعرفي، اللسانيات والأنثربولوجيا المعرفية...) والنظرية (الفلسفة) والنظرية التطبيقية (الذكاء الاصطناعي) غير أنَّ ما يجمع هذه العلوم أو ما يجعلها تلتقي هو استهدافها العمليات الآلية لاشتغال الذهن البشري (تفسير وتجميع وإنتاج المعارف وتأويلها)[2]، فأقلقلعَّلوم المعرفية إطارًا نظريًا جديدًا لاحتواء مجموعة من القضايا الكلاسيكية في التداولية (...)و غدت مسألة الإجراءات التداولية وحدود اقترلا بالشفرة اللغوية أو استقلالها عنها أكثر وضوحًا في إطار المنحنى المعرفي الجديد، فمسارات الاستنتاج المرتبطة بتأويل العبارات لا تعد خاصة بالشفرة اللغوية فقط، وإنما تستند إلى قدرات معرفية عامة غير خاصة باللغة[3]، فموضوع التداولية لم يعد يُعنى باللغة إلى حد كبير بوصفها نظام علامات مجرد، بل نظام اتصال رمزي[4].

و اللسانيات التداولية اتجاه جديد في دراسة اللغة يشارك في تنمية البحث فيه دارسون تجاوزوا بعض المفاهيم اللغوية التي سادت في الفترة الواقعة بين دروس دي سوسير (De Saussure)، وكتابات تشومسكي (Chomsky)[5].

وعليه، فالحديث عن التداولية يشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال (...) فالتداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة[6]، ويفسر عبدالهادي الشهري هذا التعدد الذي انعكس بدوره على تعدد مجالات الأبحاث التداولية بقوله[7]: "يمكن أن ننظر إلى هذا التعدد على أنَّه ليس تعددًا تداوليًا، بقدر ما هو تعدد لجوانب المعالجة التداولية".

وهذا كله بالطبع لا يفضي إلى وضوح المفهوم التداولي وضوحًا تامًا، لكن بالرغم من صعوبة وضع حدود فاصلة للتداولية، فإنَّه يمكن تحديد وصياغة مجموعة من الإشكاليات التي تمثل موضوعًا لها، فهي تجيب عن أسئلة من قبيل: من يتكلم؟ ومع من يتكلم؟ ولماذا يتكلم هذا الشكل وليس بذاك؟

---

(١) روبول، آن/ موشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ٢٧، ترجمة: سيف الدين دغفوس/محمد الشيباني، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٣م.

(٢) عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نتغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ٢٦، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ط٢، ٢٠١٢م.

(٣) علوي، حافظ إسماعيلي، التداوليات علم استعمال اللغة ٤ .

(٤) بلتس، هايدرون، مدخل إلى علم اللغة ٢٩٣، ترجمة: سعيد حسن بحيري، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠١٣م.

(٥) بوقرة، نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة ١٦٧.

(٦) صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ٣٢.

(٧) الشهري، عبدالهادي بن ظافر، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقاربة تداولية ٦٦، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ط١، ٢٠١٣م.

كيف يمكن أن نقول شيئًا مغايرًا لما كنا نقصد؟ وهل يمكن الاطمئنان للمعنى الحرفي لكلام ما؟ وما هي الاستعمالات الممكنة للغة؟[١].

لذا يتبين أن التداولية تستقطب مجموعة من المعرفيات ذات مناهج ومشارب مختلفة، وبالتالي نكون أمام ملتقى تخصصات متعددة، يقول بلانشيه (Blanchet):التّداولية بوصفها تحليلاً للوقائع الملاحظة، وينظر إليها في علاقاتا بسياقات وجودها الواقعية، إنه تحديدًا مبدأ علمي (...) [يجمع] هوامش الاختصاصات الأكثر كلاسيكية، فإنَّه لا يقتصر عليها. ومن ثمة، فإنَّه لا يمكننا أن نعتبر التداولية اختصاصًا، بالمعنى المتعارف عليه للفظ الاختصاص"[٢]. وهذا يعني أن هناك تداولية اللسانيين وتداولية البلاغيين وتداولية المناطقة والفلاسفة، مما يجعل عملية حصرها بدقة إجراء يكتسي صعوبة تقنية[٣]، وإن كان أقرب حقل معرفي إلى التداولية من منظور بعضهم هو "اللسانيات"[٤].

وكثيرًا ما يطرح تساؤل حول الميدان اللغوي الأجدر بدراسة التداولية، وهل تنضوي تحت ميدان اللسانيات أم البلاغة؟ ويبدو من خلال ما تقدم أنَّ التداولية مجال رحب ليس للعوم اللغوية فحسب، بل لعلوم أخرى كالفلسفة والمنطق، وعلمي النفس والاجتماع، والأنثربولوجيا وغيرها، وسبب ذلك ما يلي:

١- أنَّ ملامح التداولية في أصلها قد تشكلت من معارف غير لغوية، ثم بعد ذلك وظفها اللسانيون في دراسلم.

٢- لا يظهر لدى الغرب هذا الفصل الحاد كما لدى العرب بين اللسانيات والبلاغة، بدليل أنَّ ليتش (Leech) ينظر إلى البلاغة باعتبارها تداولية في صميمها، في الوقت الذي يتعامل معها من زاوية لسانية[٥]، فموضوعات كالمجاز والاستعارة والتشبيه -على الأقل- تحظى باهتمام كبير في البلاغة وعلم الدلالة والتداوليات.

٣- ثمة تمظهر يسمح للسانيات والبلاغة بالاستفادة من التداولية، ففي حين تتناول اللسانيات التداولية حيثيات الاستعمال ومدى تحقق هذه الظواهر والأبعاد في اللغة، فإنَّ البلاغة تركز من خلالها على الجماليات التي قد تُفضي إليها هذه الظواهر.

---

(١)عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٨.

(٢) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ١٩، ترجمة: صابر الحباشه، اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.

(٣) مقبول، إدريس، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ٢٦٤، إربد: عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٦م.

(٤) صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ٣١.

(٥) انظر المرجع السابق ٧٤.

١-٢ مفهوم التداولية:

١-٢-١ التداولية لغة: جاء في المقاييس الواو والدال واللام أصلان: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان (...) فقال أهل اللغة: دَوْلٌ، إذا تحوَّلُوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب تَداوَلَ القَومُ الشَّيءَ إذا صار من بعضهم إلى بعضٍ[١].

وفي اللسان: والدَّوْلة أداولة على الأمر؛ قالوا: ضيعوه حتى تداولته الأيدي: أَخذته هذه مرَّة وهذه مرَّة. ودالَ الثوبُ يَدُولُ أي بَلِيَ، والأَدْوَلُ: الذاهب، ومعنى تعاوَرْناه فعَمِلَ هذا مرَّة وهذا مرَّةً، ونقل ابن منظور عن ابن الأعرابي: الدُّهْرة ويجمع الدَّالة أي شُهْرة، دالَ يَدُولُ دالَةً ودَوْلاً إذا صار شُهْرة[٢].

ممَّا سبق يتضح أنَّ معنى التداولية في اللغة يتراوح بين التحول، والتناقل، والدوران، والتناوب، والتعاور (التداخل)، والشهرة، ومفهوم مصطلح التداولية لا يكاد يخلو في كنهه من هذه المعاني القائمة على التحول والتناقل والتداخل، وبالتالي مرونة اللغة إذا ما نظرنا إليها من خلال الدور الذي تضطلع به نظريا كالتلفظ وأفعال الكلام ومتضمنات القول، ومبدأ التعاون والتخاطب، وغيرها.

ويعود الفضل في وضع مصطلح "التداولية" للمقابل الأجنبي "Pragmatics" إلى الفيلسوف المنطقي المغربي الدكتور طه عبدالرحمن منذ سنة ١٩٧٠م أي بعد حوالي اثنين وثلاثين سنة من أول تعريف وضع لها في الغرب على يد شارل موريس سنة ١٩٣٨م، وقد حظي هذا التعريف بالإجماع والتداول[٣].

والتداوليات مصطلح مركب من مورفيمين، الأول "التداول" من الفعل تداول، وهي من صيغة تفاعل التي تحمل معنى المشاركة، والثاني اللاحقة "يات" والتي تشير إلى البعد المنهجي والعلمي، والتداولية علم يتصل بالظاهرة الإنسانية، ومن هذه الزاوية المعرفية، فهو علم حديث، غير أنَّ البحث فيه قديم[٤]، حيث كانت كلمة (Pragmaticus) اللاتينية، وكلمة (Pragmaticos) الإغريقية تستعملان بمعنى

---

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة ٣١٤/٢، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ب.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب ٢٥٢/١١-٢٥٤، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٣) مقبول، إدريس، الأسس الإبستمولوجية والتداولية ٢٦٢.

(٤) عبدالحكيم، سحاليه، التداولية ٨٧، مجلة المخبر-أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، قسم الأدب العربي: العدد الخامس، مارس ٢٠٠٩م.

"عملي"[١].واُستُعمل هذا المصطلح لأول مرة في الثقافة اللاتينية سنة ١٤٣٩م، ولهذا المفهوم في الثقافة الغربية عدة استعمالات قانونية، وهو الاستعمال الأصل في اللغة اليونانية، ثم فلسفية ومنطقية ورياضية، ثم أخيرًا لسانية وسيميائية[٢].

ويبدو أنَّ هذا المصطلح على درجة من الغموض، فمصطلح التداولية (Pragmatique) في الفرنسية يقترن بالمعنيين التاليين: "محسوس" و "ملائم للحقيقة"، أمَّا في الإنجليزية وهي اللغة التي كتبت أغلب النصوص المؤسسة للتداولية، فإن كلمة (Pragmatic) تدل في الغالب على "ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية"، وهكذا يبدو لأول وهلة أنَّ الحقل الذي فتحه هذا الاختصاص العلمي، المسمى "تداولية" ضخم وغامض[٣].

١-٢-٢ التداولياصطلاحًا: تدور التداولية حول قضايا استعمال اللغة، وربما كان تعريفها أكثر صعوبة في اللسانيات، كون التداولية لا تستند في كثير من الأحيان إلى قوانين رياضية ومنطقية، وسبب ذلك يعود إلى أن فهم طابعها يكمن في تعاملها مع اللغة ومستخدميها في سياق اجتماعي،كما أنّ التداولية تدرس استعمال اللغة في التواصل الإنساني على النحو الذي تحدده ظروف اتمع ويتعين بذلك النظر في الجوانب المعرفية والاجتماعية والثقافية عند الاتصال اللغوي[٤].

ونتيجة لهذا التداخل واتساع مجالات التداولية وتنوعها أصبح من العسير وضع تعريف جامع مانع لها، وقد استطاع عدد من الباحثين أن يقدموا تعريفات كثيرة للتداولية ليس منها تعريف سلم من المآخذ عليه، وربمايناقض بعضها بعضًا[٥].

وبالعودة للتعريف التقليدي الأول الذي جاء به شارل موريس، فإنَّ التداولية تعني في أبسط صورها: **دراسة اللغة في سياق استعمالها** "study of language usage"، ومثل هذا التعريف يعد محاولة جيدة وسيئة في آنٍ معًا، غير أنَّ هذا التعريف بالكاد يقدم إشارة إلى ما للممارسين المعنيين من دور في تحديد وتوضيحجمل السياقات التي يُتلفظ بها[٦].

---

(١) بدوح، حسن، المحاورة مقاربة تداولية ٦، إربد: عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٢م.

(٢) حشاني، عباس، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي ٩٥، إربد: عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٤م.

(٣) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ١٧.

(4) See Pedersen, Hans Madsen, Speech acts and agents a Semantic Analysis p5, M.Sc, The Technical University of Denmark, Denmark: IMM, DTU, 2002.

(٥) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ١١.

(6) Livinson, Stephen C, Pragmatics pp 7-8

وهناك نوع من تعريفات التداولية يراعي الجانب الشكلي في اللغة، فيرى أنَّ هناك دراسة للغة وحدها دون الالتفات إلى الاستعمال أو الوظيفة التي تؤديها في المجتمع، وبمعنى آخر: دراسة اللغة باعتبارها نسقاً مجرداً من القيم التي تحملها الوظيفة في المجتمع، ومثل هذا التعريف يقيد التداولية ويحصرها في جوانب معينة تقف عند حد البنية اللغوية، كما أنَّه يقصيها عن مفهوم استعمال اللغة الذي يهتم بدراسة الإشاريات (Deixis)، والاقتضاء (Presupposition)، وأفعال الكلام (Speech acts) و الاستلزام الحواري (Conversational implicatures)[1].

أمَّا التعريف الثالث للتداولية فهو: دراسة الوظيفة التي تقدم لها البنية اللغوية؛ حيث يفترض غزدار ١٩٧٩م (Gazdar) أنَّ علم الدلالة يقتصر على شروط الصدق، فموضوع التداولية هنا يُعنى بجوانب معنى الملفوظات التي لا يمكن أن تعزى إلى مرجعية واضحة لشروط الصدق في الجمل المتلفظ بها، وبناءً على ذلك فـ (التداولية= المعنى – شروط الصدق)[2]. وهذا بالطبع يتناقض مع النظرية التداولية الكلاسيكية المتمثلة في أفعال الكلام التي تجعل من شروط الصدق مطلباً مهماً لفعل القول الإنجازي (Perfirmative verb) .

ويدور التعريف الرابع حول: دراسة الأثر الذي يحدثه المرسل في المتلقي بواسطة الصدق، فالمرسل **يقصد هذا التأثير كي يتحقق الإقرار بالقصد لدى المتلقي**، والتداولية بهذا المفهوم تقتصر على دور المتكلم، فيما همش دور السامع، وهذا النوع من التواصل الذي يقصد فيه المرسل التأثير على تفكير المتلقي للحصول على تجاوب يفيد قصد التأثير ليس إلا نمطاً تواصلياً معقداً، لذا اصطلح عليه البعض بالقصديَّة[3].

ويتناول التعريف الخامس: **دراسة العلاقات القائمة بين اللغة والسياق، والتي تعد أساسية في تعليل الإدراك اللغوي**، واستخدام مصطلح "الإدراك اللغوي" أمر يفضله العاملون في مجال الذكاء الاصطناعي، ونقاط القوة في هذا التعريف تكمن في اشتماله على البنية اللغوية وغير اللغوية، وهو بالتالي يهتم بالتركيب والدلالة والتداولية، كما يقيم أهمية للاقتضاءات، والاستلزامات الحوارية، بالإضافة إلى قوة الفعل الإنجازي (Illocutionary force)[4].

---

(1) Ibid pp 9-10.
(2) Ibid p12.
(3) Ibid p16.
(4) Ibid p21.

و التعريف السادس: **دراسة قدرة مستعملي اللغة على المزاوجة بين الجمل والسياقات بصورة مناسبة**[١].

وأمّا التعريف السابع للتداولية، فهي: **تلك الدراسة التي تعنى بالإشاريات -على أقل تقدير- والاستلزام والاقتضاء وأفعال الكلام، وجوانب البنية الخطابية**، و مثل هذا التعريف يؤخذ عليه أنَّه لا يرسم حدوداً لمثل هذه الدراسة [٢].

والتعريف الثامن لها: **دراسة اللغة دراسة وظيفية** (Functional perspective)**ابتداءً من الملفوظات وحتى السياقات التي أحدثتها في سياق التلفظ، وبالتالي الإحالة على خارج البنية اللغوية**[٣].

التعريف التاسع: **دراسة المبادئ التي يمكننا من خلالها تمييز الملفوظات اللاحنة أو غير المقبولة في الكلام**[٤].

والتعريف العاشر هو ما قدَّمه بلانشيه؛ حيث قال[٥] : "**هي مجموعة البحوث المنطقية اللسانية، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية**".هذا التعريف هو ما حدا ببلانشيه إلى اقتراح إطلاق مصطلح "علم المواضع السياقية" على المقاربة التداولية[٦].

الحادي عشر لـ ف. جاك (F.Jacques) : **دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت**[٧].

أمَّا التعريف الثاني عشر فهو لموشلار (Mochlar) يقول: **التداولية هي دراسة استعمال اللغة في مقابل دراسة نسق اللسان الذي يعد الموضوع الأساسي للسانيات، على أنَّ موضوع التداولية يتجاوز دلالة الجمل إلى دلالة الفعل اللغوي**[٨].

---

(1) Ibid p24
(2) Ibid p27.
(3) Ibid p31.
(4) Ibid p6.

(٥) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ١٨.
(٦) المرجع السابق ١٨٥.
(٧) المرجع السابق ١٩.
(٨) بدوح، حسن، المحاورة مقاربة تداولية ٧.

وفي التعريف الثالث عشر: يرى باتريك جريفثز (Patrick Griffths)**بأنَّ التداولية تدور حول استخدام الكلام في السياق، من خلال آلية تمكننا من إيصال أكبر قدر من المعاني غير الحرفية عبر الجمل الدلالية. بالإضافة إلى استنتاج المعاني المختلفة كالاستلزام الحواري الذي يعمل على توفير الجهد في إنتاج الكلام. فالتداولية تبنى على ما يتم ترميزه دلاليا في اللغة**[١].

وثمة محاولات عربية لتعريف التداولية، ومنها تعريف حمو الحاج ذهبية الذي ذهب إلى القول بأنَّ التداولية اللسانية هي **دراسة العلاقات بين العبارات (الإشارات أو الملفوظات) وإشغالها الفعلي من قبل الذوات في مقامات تواصلية محددة، والمبادئ المهمة للسانيين التداوليين هي الافتراضات المسبقة [(الاقتضاءات)]، والأفعال الكلامية والتفاعل التواصلي**[٢].

في حين يرى عبدالسلام عشير **أنَّ التداولية بصفة عامة هي المعرفة الشاملة بالآخر، والمعرفة العميقة بمكونات عملية التخاطب**[٣].

ومن خلال التعريفات السابقة يتضح مدى التباين في تحديد مفهوم واضح وحدٍّ دقيق للتداولية، وإن كان بالإمكان لملمة خيوط تساعدنا وتقودنا إلى استشفاف ملامحها، فهي على ما بدا تركِّز على الاستعمال، والتواصل، والخطاب، والدلالة، والسياقات، والمقامات، والإنجازية من خلال الفعل الكلامي، بالإضافة إلى متضمنات القول، وبعبارة أخرى، فحيثما التقت هذه المفاهيم فثمة التداولية.

عليه، يمكن تحديد أبرز النقاط التي تتميز بها التداولية عن غيرها من اتجاهات البحث اللغوي فيما يلي[٤]:

١- التداولية تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي، أو هي لسانيات الاستعمال اللغوي، وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى.

٢- ليس للتداولية وحدات تحليل خاصة بها ولا موضوعات مترابطة.

٣- التداولية تدرس اللغة من وجهة وظيفية عامة (معرفية واجتماعية وثقافية).

---

(1) See Griffths, Patrick, An introduction to english semantics and pragmatics p153, Edinburgh: Edinburgh University Press Ltd, 2006.

(٢) ذهبية، حمو الحاج، من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحول والتطور، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة ١٧٢، عمَّان: دار كنوز المعرفة، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(٣) عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نتغير ١٨.

(٤) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ١٤.

٤- تعد التداولية نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة بوصفها وصلة بينها وبين لسانيات الثروة اللغوية (Linguistics of language resources).

١-٢-٣ المصطلح والتعددية: كان لتعدد تعريفات التداولية أثره في ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية؛ فقد ترجم إلى الذرائعية، والمقصدية، والمقامية[١]، والنفعية، والبراجماتية، والوظائفية، وعلم التخاطب، والبراكسيس[٢].

غير أنَّ مصطلح التداولية الذي وضعه طه عبدالرحمن[٣] أكثرها شيوعًا، وأقربا إلى طبيعة البحث فيها؛ إذ هو منظور فيه إلى "تداول" اللغة بين المتكلم والمخاطب الذي يدل على التفاعل الحي بينهما في استعمال اللغة[٤].

أمَّا "الذرائعية" و"النفعية" فهما مصطلحان متقابلان يعودان إلى المصطلح الفلسفي الإنجليزي (Pragmatism)[٥]، وأمَّا "المقصدية" فترتبط بجزء من منهجية التداولية فيما يصطلح عليه بـ "القصدية" (Intentionality) التي ركز عليها سيرل (Searle) باعتبار فعل الكلام مظهرًا من مظاهر القصدية[٦]، كما يُنظر إلى التداولية بأنَّها قد تجاوزت المحددات الدلالية إلى دراسة القصدية[٧]. في حين يعود إطلاق مصطلح "المقامية" (Situation) إلى الاعتبار الذي تضعه نظرية التلفظ للمقام (السياق غير اللغوي) وفق مفاهيم كلٍّ من بينفنيست (Benveniste)، وديكرو ، وأنوسكمبر ، وغوفمان (Gofman)[٨]، وبلانشيه[٩]، بالإضافة إلى ظهور ما يسمى علم الدلالة المقامي (Situational semantics) على نحو ما قدمه باروايز وبري (Barwise&Perry)، واعتبار الإشاريات (Deixis) مجالاً مشتركا بين علم الدلالة والتداولية[١٠]. أمَّا "البراجماتية" فهي تعريب للفظ الأجنبي Pragmatic ، ويعود مصطلح

(١) المرجع السابق ٥٢.

(٢) مقبول، إدريس، الأسس الإبستمولوجية والتداولية ، -هامش٣- ٢٦٢.

(٣) انظر ص ٢٥ من هذا البحث.

(٤) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٥٢.

(٥) انظر ص ٢٦ من هذا البحث. وربما يعود هذا الخلط بين "الذرائعية والنفعية" كمصطلح فلسفي سياسي، و"التداولية" كمصطلح لغوي إلى ازدواج مفهومين في مصطلح واحدمعرَّب ومتداول هو "البراجماتية" .

(٦) عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نتغير ٧١.

(٧) النجار، أشواق محمد إسماعيل، الاقتضاء دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم ٣٣٩ عمَّان: دار دجلة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٨) انظر الشبعان، علي، الحجاج بين المنوال والمتنال ٣٣-٣٤، تونس: مسكيلياني للنشر، ط١، ٢٠٠٨م.

سيرفوني، جان، الملفوظية ٧، ترجمة: قاسم المقداد، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ب.ط، ١٩٩٨م.

(٩) انظر بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ١٨.

(١٠) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ١٧.

"الوظائفية" إلى الدور الوظيفي الذي تحدثه التداولية في سياق التلفظ[1] بالإضافة إلى اعتبار كلٍّ من براون ويول (Brown&Yule) أنَّ الوظيفتين "التعاملية والتواصلية" هما ما يمثل التداولية[2]. ويقع مصطلح "علم التخاطب" في صميم مسلَّمة ليتش (Leech) التي يرى فيها أنَّ التداولية مبدأ يخضع لحكم خطابي[3]. وحول مصطلح "البراكسيس" فهو تعريب للفظ اللاتيني (Praxis) تقول فرنسواز أرمنيكو (Armingaud Francoise)[4]: "تعني كلمة التداولية عند بعضهم البراكسيس؛ إذ على التداولية أن تعين مهمتها في إدماج السلوك اللغوي داخل نظرية الفعل (...)".

١-٣ تداولية أو تداوليات:

كان لتعدد المشارب التي لمت منها التداولية أكبر الأثر في تعدد مقاربا، الأمر الذي جعل منها تجلمُّعرفيًا سلسًا لمعالجة القضايا اللغوية التي لا تخضع للشكل (Structure)؛ حيث إنَّ الإجماع لم ينعقد بعد في كوننا أمام تداولية واحدة واضحة المعالم، أو أمام تداوليات متعددة يخضع كل منها للتخصص الذي تستقي منه مفاهيمها.

وعلى أيَّة حال، فإنَّ تعدد التداوليات يمثل صورة من صور التعاطي المختلفة التي انتهجتها وبتأثيرٍ من مختلف المعرفيات التي استقطبتها، فلم تكن أنماط أو مفاهيم هذه التعددية متسقة بشكل يفضي إلى ضمها في حقل معرفي واحد بشكل قطعيو كما سبق أن أشرنا عند تناول تعريفها تبدو التناقضات بينها جليَّة. ولعل هذا هو ما جعل بلانشيه يفضِّل مصطلح "التداوليات" على مصطلح "التداولية"مفردًا[5].

وهذه المقاربات التداولية وإن بدت كثيرة إلا أنَّ الباحث سيحاول تناولأبرز أعلامها و أهم تصورا وآليا في تحليل النصوص والخطابات بإيجاز فيما يلي[6]:

---

(1) See Livinson, Stephen C, Pragmatics p31.

(٢) الشهري، عبدالهادي، إستراتيجيات الخطاب ١٨.

(٣) ليتش، جيوفري، مبادئ التداولية ١٤، ترجمة: عبدالقادر قنيني، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ب.ط،٢٠١٣م.

(٤) مقبول، إدريس، الأسس الإبستمولوجية والتداولية ٢٦٢ –في هامش ٣-.

(٥) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ١٨-بتصرف-.

(٦) الميساوي، خليفة، قراءة القرطاجي في ضوء نظريات تحليل الخطاب الحديثة، الندوة الدولية الثانية: قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة، الحديثة، جامعة الملك سعود. ٢٠١٤م -بتصرف-.

١-٣-١ التداولية الكلاسيكية: تشكلت هذه المقاربة مع أوستين في بداية الستينات من القرن العشرين، وهي المقاربة الفاعلة في تحليل الخطاب باعتبارها تجمع بين عدة علوم لسانية ومنطقية وفلسفية وعلم نفس وعلم اجتماع، وتقوم هذه المقاربة على مفهوم الفعل والسياق ومفهوم الإنجازية، ومرت بمراحل كثيرة، ومن أبرز أعلامها إلى جانب أوستين تلميذه سيرل من خلال اهتمامهما بتحليل الأفعال الكلامية (Speech acts analysis) في علاقتها بمقاصد المتكلم؛ حيث يقوم التحليل فيها على فعل القول، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري.

١-٣-٢ التداولية اللسانية الاجتماعية: جاءت هذه المقاربة في أواخر الستينات من القرن العشرين، ومن أبرز أعلامها دال هايمز (Dill HYMES) و جون قمبرز (J. Gumperz) اللذان ركزا على علاقة المتكلم بالحدث الكلامي باعتباره فاعلاً اجتماعيًا ومؤثرًا في إنتاج الخطاب من ناحية القدرة التواصلية الفردية والاجتماعية.

١-٣-٣ التداولية التلفظية أو التداولية المندمجة: من أبرز أعلامها بينفنيست وديكرو وأنوسكمبر، حيث ركزوا أعمالهم على علاقة المتكلم بالخطاب من ناحية الفعل الحجاجي باعتبار أنَّ المكون التداولي مدمج في اللغة نفسها وليس خارجًا عنها؛ إذ العلاقة بين الملفوظ ومتلفظه تقوم على الحجاج (Argumentation) وليس على الاستنباط، فأدمجت كل المكونات مع بعضها البعض في عملية التحليل.

١-٣-٤ التداولية الأساسية: من أبرز أعلامها سبابر (Sperber) وويلسن (Wilson) اللذان ألحقا التداولية بنظرية الملاءمة (Theory of relevance) والنظرية العرفانية (Theory of Knowledge) فانطلقت من مبدأ الاستدلال والاهتمام بعملية إنتاج المعنى في الخطاب بناءً على قواعد المحادثة والفهم والتأويل.

١-٣-٥ التداولية النصية: من أبرز أعلامها جون ميشال آدم (Adam.J.Michel) الذي بعث ما قام به هاريس (Harris) معتمدًا على أفعال الكلام، والوحدات الخطابية، والبنية الكبرى للخطاب، والروابط التداولية، واستراتيجيات الخطاب واتجاهاته وقيمته الإنجازية وعلاماته التلفظية، مركزًا على تسلسل الخطاب الخطي والعمودي ودورهما في إنتاج النص.

١-٣-٦ التداولية النفسية الاجتماعية: من أبرز أعلامها جيقلوني (Galloni) ١٩٨٩م وجمعت بين نظرية الاتصال والتحليل القضوي، وجعلت المتكلم هو الفاعل الرئيسي في إنتاج الخطاب وفهمه وتأويله دون خضوع للبنى الاجتماعية الكبرى، وهي مقاربة تركز على التشارك في عملية التلفظ وتستثني

مفهوم المرسل والمستقبل، ويقوم التحليل فيها على ثلاثة مستويات: المستوى القضوي، ومستوى العلاقات بين قضوية، والمستوى التلفظي.

١-٣-٧ التداولية العامة: من أبرز أعلامها ليتش (Leech) الذي يرى أنَّ التداولية العامة دراسة مجردة تمامًا تجمع بين التداولية اللسانية ممثلة في (النحو) والتداولية اتمعية ممثلة في (علم الاجتماع)، مما يعني دراسة التواصل اللساني في معنى مبادئ التحاور، على أنَّه يجعل الدلالة (Semantics) جزءا من النحو[١].

١-٤ برنامج هانسون (Hansson Program)[٢]:

قدم هانسون (Hansson) سنة ١٩٧٤م برنامجًا بطريقة تقدُّميَّة مستقلة نسبيًا، وهو الأول الذي حاول التوحيد بين مختلف أجزاء التداولية توحيدًا نسقيًا ميَّز فيه بين ثلاث درجات تحدد فكرة المرور التدرجي من مستوى إلى آخر، والعلاقة بكل درجة تعتمد على اعتبار كل مظهر من مظاهر السياق الذي يغتني ويتعقد من درجة إلى أخرى.

١- تداولية الدرجة الأولى: دراسة الرموز الإشارية (المبهمة) حسب ظروف الاستعمال أي حسب سياق التلفظ الذي يشمل: المخاطبين، والموجودات، والحدث الزماني والمكاني، فهي بذلك تراعي الجهاز التلفظي (المرسل-المتلقي-وضعية التلفظ)، ويسميها بعض الدارسين "التداولية التلفظية"، أو "لسانيات التلفظ"، أو "الملفوظية" (Enunciation).

٢- تداولية الدرجة الثانية: دراسة كيفية تَكَوُّن معنى الملفوظ؛ إذ في الحالات المهمة ينبغي أن تتميَّز معاني الملفوظات عن الدلالة الحرفية غير المصرح بها في الملفوظ، وذلك بمسالة التأويلات المنبثقة عنهاوالسياق فيها سياقٌ موسَّع يشمل ما يفترضه المخاطبون من معلومات ومعتقدات مشتركة، و يعد السياقهمعًا عن ألفاظ العوالم الممكنيقس سياقًا ذهنيًا، وهي ما تعرف عمومًا بمسمى "متضمنات القول" (Implication).

٣- تداولية الدرجة الثالثة: تتمثل هذه التداولية في نظرية "أفعال الكلام" (Speech Act)، وتعنى بمعالجة الأبعاد الفعلية الاستعمالية للغة.

---

(١) ليتش، جيوفري، مبادئ التداولية ٢١-٢٣.

(٢) انظر بوقرة، نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة ١٨٨-١٨٩.

الحباشة، صابر، مغامرات المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني ٣٦-٣٧، دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١١م.

عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٧-٨.

إنَّ برنامج هانسون برنامجٌ مستوفٍ لمل القضايا التداولية، وصالح لدراسة البعد التداولي من زاوية لغوية عامة؛حيث إنَّه يقدم ما يتطلبه البحث التداولي بصفة شمولية نسبية، الأمر الذي عجزت عنه مقاربات تداولية يمكن اعتبارها جزئية في مفاهيمها، وربما يُعضِّد هذا الرأي نظرةُ صابر الحباشة إلى هذا البرنامج الذي يرى فيه مقاربة صالحة للملفوظات بأنواعها في اللغات العادية[1]ليس أمرًا خافيًا انبثاق التداولية أساسا من الفلسفة التحليلية، وبالتحديد فلسفة اللغة العادية.

١ - ٥ التداولية بين التركيب (Syntax) والدلالة (Semantics):

يتمثل مفاد دراسة الفرق بين التداولية والتركيب والدلالة في سؤال مهم، هو: هل تعدُّ التداولية مستوى لغويًا مستقلاً أم لا؟ وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي التمييز بين سبعة توجهات جميعهامستوعَبة في برنامج هانسون أو برنامج الدرجات الثلاث:

١- توجه موسِّع: يمثله شارل موريس (Charles Morris)؛ حيث يقوم على الفصل بين هذه المستويات وتوسيع التداولية [باعتبارها مظلَّة عليا للبقية] كما في الشكل (١-١-١) ، فالتركيب: دراسة علاقات العلامات التجريدية بين بعضها بعض، والدلالة: دراسة علاقات العلامات وفق مرجعيتها أمَّا التداولية فهي: دراسة علاقات العلامات بمستعمليها ومؤوليها[2]. وبذلك تكون التداولية قد استطاعت أن تتجاوز حدود التركيب التي حصرت موضوعها في كيانات مجردة ساكنة[3]،كما استطاعت أن تتجاور حدود الدلالة التي حصرت موضوعها في العلاقات التمثيلية القائمةبين العبارات الصحيحة نحويًا وما تمثلها تلك العبارات[4].

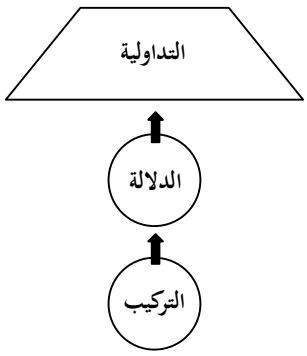

الشكل (١-١-١)

(١) الحباشة، صابر، مغامرات المعنى من النحو إلى التداولية ٣٧.

(2) Livinson, Stephen C, Pragmatics p1.

(٣) ليتش، جيوفري، مبادئ التداولية ٢٥.

(٤) بدوح، حسن، المحاورة مقاربة تداولية ٩.

٢- توجه مندمج: يمثله ديكرو (Ducrot) وأنسكومبر(Anscombre)ويما عُرف بالتداولية المندمجة (Integrated pragmatics) كما في الشكل (١-١-٢)وهي نظرية خطية تقوم على دمج التداولية في الدلالة[١]،على اعتبار أنَّ الجوانب التداولية مسجَّلة في بنية اللغة ودلالة الجملة[٢] ، كما أنَّها تقلل من أثر العوامل الخارجية على اللغة، و تستعيض عن آثار إقصاء العوامل الخارجية (الحدث الكلامي والذوات المتكلمة) المترتب على الدمج بنظرية "تعدد الأصوات"[٣].

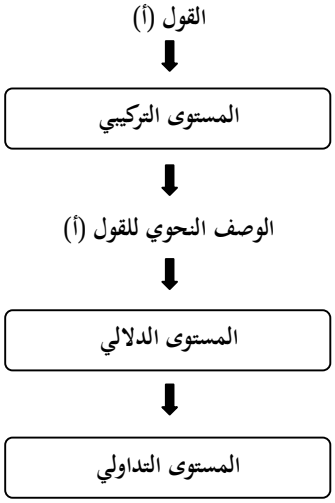

الشكل (١-١-٢)

(١) المقصود بالدلالة هنا الدلالة الحجاجية المتأثرة بنظرية بروندوينر (Berrendonner) شكل المقلاع (Y) والتي تعتمد على ثنائية العلامة، وليست الدلالة السياقية (المقامية) التي تعتمد على ثلاثية العلامة كما لدى ريتشارد وأوجدن (Richards& Ogden).

(انظر) عمر، أحمد مختار، علم الدلالة ٥٤-٥٦، القاهرة: عالم الكتب، ط٦، ٢٠٠٥م.

بلتس، هايدرون، مدخل على علم اللغة ٢٩٤.

الحباشة، صابر، مغامرات المعنى من النحو إلى التداولية ٤٩.

عون، نسيم، الألسنية محاضرات في علم الدلالة ٣١، بيروت: دار الفارابي، ط١، ٢٠٠٥م.

المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ٣٥٤، تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، ب.ط، ب.ت.

(٢) الرقبي، رضوان، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله ٨٩، مجلة عالم المعرفة (عدد خاص عن الحجاج)، العدد (٢) للد (٤٠)، الكويت: المس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أكتوبر-ديسمبر ٢٠١١م.

(3) See Ducrot, O, Slovenian lectures introduction into argumentative Semantics pp 29,47, Slovenia,Ljubljana: Pedagoški inštitut (Institute of Education), Digital Edition 2009.

تعود نظرية تعدد الأصوات (Polyphony) إلى ديكرو، وتنظر إلى أنَّ الملفوظات لا تؤديها ذات مفردة فقط، بل مجموعة ذوات، فهناك ذات خارجية وذات ناطقة، وتتمثل في وظيفة محددة في الخطاب.

٣- توجه تركيبي تداولي: يمثله جيوفري ليتش (Leech) وينطلق فيه من التداولية العامة (general pragmatics) التي تقتضي أن يحُوَّل المعنى إلى صوت بغرض ترميز الرسالة، ومن ثمَّ يحُوَّل الصوت إلى معنى بغرض فكِّ الترميز (التأويل)، كما في الشكل (١-١-٣)[١].

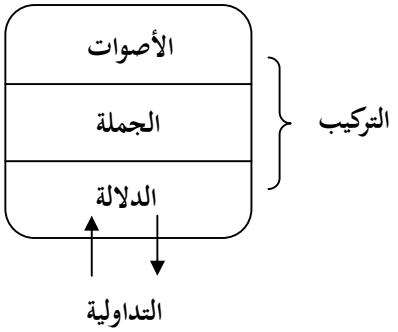

الشكل (١-١-٣)

٤- توجه دلالي توليدي: يختزل التداولية في الدلالة، ويجعلها بمنزلة الجزء الذي لا انفصال له ولا استقلال عن الكل، كما في الشكل (١-١-٤) وهو صورة من الدلالة التوليدية لـ ماكاولي (Mccawley) ولايكوف (Lakoof)[٢].

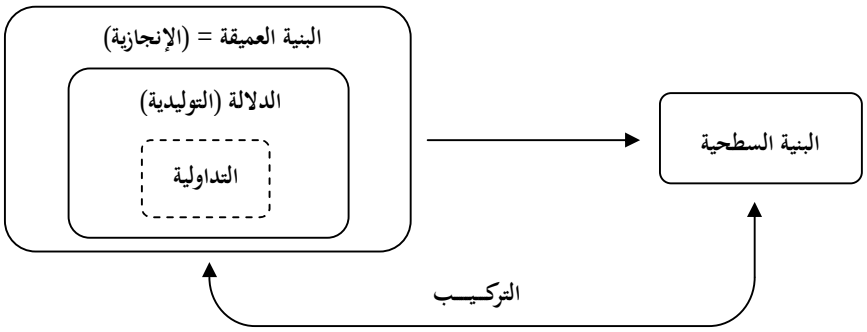

الشكل (١-١-٤)

(١) ليتش، جيوفري، مبادئ التداولية ٢٣.

(٢) المرجع السابق ١٥ .

مقبول، إدريس، الأسس الإبستمولوجية والتداولية ٢٦٧- ٢٦٨.

٥- توجه تكاملي: تتخذ هذا التوجه موقفًا وسطًا يعترف فيه بتكامل المستويين الدلالي والتداولي، ويتمثل في الشكل (١-١-٥).

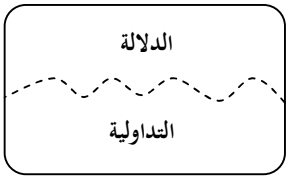

الشكل (١-١-٥)

٦- التوجه التداولي: يمثله جون سيرل (Searle) وهو على النقيض من التوجه الرابع، ويتمثل في الشكل (١-١-٦) [١] فالملفوظ من منظور دلالي له مضمون إخباري، غير أنَّه من منظور تداولي له أيضًا- قيمة تكلمية [(إنجازية)][٢] وهذه القيمة، هي التي قامت عليها نظرية أفعال الكلام وكان سيرل أحد أقطابها.

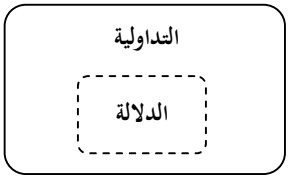

الشكل (١-١-٦)

٧- التوجه المنظِّم المتداخل: يمثله فيرستشيرن (Verschueren)، ويرى أنَّ التداولية لا تنتمي إلى أيٍّ مستوى من مستويات الدرس اللغوي صوتيًا كان أم صرفيًا أم نحويًا أم دلاليًا؛ لأنَّ كلاً منها يختص بجانب محدد ومتماسك من جوانب اللغة، أمَّا التداولية فليست كذلك، فهي لا تقتصر على دراسة جانب محدد من جوانب اللغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعًا، كما أنَّها لا تحوي أنماطًا تجريدية ولا

(١) ليتش، جيوفري، مبادئ التداولية ١٥.
مقبول، إدريس، الأسس الإبستمولوجية والتداولية ٢٦٨.
(٢) لحويدق، عبدالعزيز، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ٣٤٧/٣، إربد: عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

وحدات تحليل[1]،وإذا كانت مكونات المستويات اللغوية مترابطة ومتداخلة فإنَّ التداولية تُعدُّ مبدأً منظماً للغة كما في الشكل (١-١-٧)[٢].

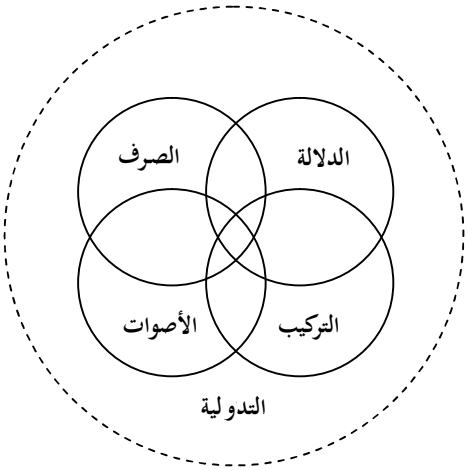

الشكل (١-١-٧)

- خلاصة:

لم تتحدد الرؤية بعد حول التداولية، فما زالت ملامحها غامضة ومتعددة المشارب،غير أنَّ الباحث يزعم بأنَّ أقرب رؤية استطاعت أن تلمَّ بمختلف المفاهيم هي (برنامج هانسون)؛ حيث استوعب أهمَّ النظريات التداولية كالتلفظ، ومتضمنات القول (الاقتضاء والاستلزام الحواري)، وأفعال الكلام، بالإضافة إلى الحجاج**على اعتبار أنَّ هذا الأخير يُعدُّ امتداداً للفعل الكلامي، ويمثل تحديداً لـ-الفعل الكلامي المركَّب**[٣] .

لذا ارتأى أن تنطلق الدراسة من هذا البرنامج وهذه النظريات - فهي أكثر الدراسات ملاءمة لدراسة الظواهر الكلامية- كوا الأجدر في التعاطي مع الأبعاد التداولية والحجاجية.

(1) Verschueren. Jef, Understanding Pragmatics pp 2-3, London: Edward Arnold / New York: Oxford University Press, PDF version, 1999.

نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ١٠.

(٢) أوينز، روبرت إي، مقدمة في التطور اللغوي ٧١، ترجمة: مصطفى محمد قاسم،عمَّان: دار الفكر ناشرون وموزعون، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(٣) انظر إيرمن،فان/غروتندورست، روب، الحجاج فعل لغوي مركب، ترجمة: ياسين المنصوري، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ١٩٩/٥.

٢- نظرية التلفظ (Theory of Enunciation)[١]:

تعد نظرية التلفظ التي أسسها (Benveniste) سنة ١٩٦٦م، وهي نظرية تهتم بشروط الإنتاج التلفظي وفهم نظام اشتغال اللغة من خلال الإشاريات المقامية (Situational Deixis) كزمن ومكان التلفظ وعلاقته بالمتكلم، وقد تصور بنفينيست (الكاشف عن الجهاز) للتلفظ يبرهن على إفادة أخذ الوضعية التواصلية بعين الاعتبار في دراسة الاشتغال اللساني، كما ميَّز العلاقة بين العلامات التي تتخذ من اللسانيات السوسيرية موضوعاً لها، و بينُ عدها الدلالي الذي يمثل إجراء تلك العلامات في الخطاب، ووصلها تبعاً لذلك بسياق التلفظ[٢].

والتلفظ عملية تخص الفرد تبرز في ممارسته للغة إلى القصد من إيصال الرسالة إلى الطرف الآخر[٣] ، وهذا تكون هذه النظرية قد فعَّلت جاً طالما تم التحفظ عليه يسمح بمعالجة اللغة على أساس أنا نشاط كلامي بتبنٍ تداولي جديد، وأصبح الكلام لاعباً أساسياً في عملية التحليل اللغوي، فالفرد الذي يستمع ويتكلم لا يوظف ما هو غامض وغير منسوب لذاته، إنما يوظف نظاماً تمكنت تجربته من تكوينه في ذهنه وتصوراته الشخصية، وهذا بدوره يخالف لسانيات ديسوسير، التي تعتمد على معالجة اللسان (Langue) الجماعي ومل الكلام (Parole) الفردي[٤] (انظر الشكل ١- ٢-١)[٥] ، ولهذا يقول بينفنيست: "إنه قبل العملية التلفظية لا يكون اللسان إلا إمكانية للسان" و يضيف: "إنَّ العملية التلفظية هي حيث يُوظف اللسان بواسطة فعل الاستعمال" فلم تعد دراسة اللغة لذاا [بعد هذه النظرية] هي موضوع البحث اللساني، بل أصبح الاهتمام منصباً على التلفظ وما يستتبعه[٦]،وأنَّ اللغة لا يمكن أن تتحقق فعلياً إلا بواسطة التلفظ[٧]وبناءً على ذلك، فالتلفظ لا يفصل الإنتاج اللغوي عن شروطه الخارجية، ولا يدرس اللغة الميتة المعزولة باعتبارها نظاماً من القواعد اردة كما تفعل البنيوية حينما تعتبر

---

(١) يصطلح عليهفرنسياً أيضاً بلسانيات التلفظ أو الملفوظية أو التلفظية.

(٢) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ٣٧.

أيضاً، الميساوي، خليفة، قراءة القرطاجي في ضوء نظريات تحليل الخطاب الحديثة ٤.

(٣) ذهبية، حمو الحاج، من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحول والتطور، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة ١٦٢.

(٤) المرجع السابق ١٥٧

(٥) علي، محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات ٥٦، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م-بتصرف-.

(٦) علوي، عبدالسلام إسماعيلي، مالتداوليات؟، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ١٩ –بتصرف-.

(٧) الرقبي، رضوان، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله ٨٥، مجلة عالم المعرفة (عدد خاص عن الحجاج)، العدد (٢) للد (٤٠)، أكتوبر-ديسمبر ٢٠١١م.

الكلام والفرد والسياق غير اللغوي عناصر خارجية، كون التداوليين يدعون إلى ضرورة مجاوزة السياق اللغوي الضيق إذا كان المقام ضروريًا لفهم المعنى[1] إلا أنَّ موشلار يعتبر المنظور البنيوي والمنظور التلفظي لا يتعارضان، يقول: "سواءً في ميادين اللسانيات النظرية أو اللسانيات التطبيقية نقبل بضرورة تحديد الظواهر البنيوية الداخلية بواسطة الوضع اللساني من جهة، ومن جهة أخرى ضرورة إتمام التحليل اللساني للجمل بالتحليل التداولي من حيث استعمالها في سياق معين"[2].

الإحالات، أو دلالات الكلمات	**الإشاريات**
يستعمل	**القصد**
تلفظ	**الملفوظ**

الشكل (١-٢-١)

وتبرز أهمية التلفظ في الدرس التداولي من خلال مساهمته في تحديد وبيان دور الملفوظات التداولية ودلالاتها، والكشف عن آلية التعامل اللغوي في السياقات المختلفة؛ إذ يرتبط بسياق معين فيصبح فيصلاً في بيان المرجعيات، وفيصلاً في بيان الحقيقة من المجاز في استعمال اللغة (...) ومن ناحية أخرى، فالتلفظ هو الذي يفضي إلى تعدد الإنجازات، بل والمعاني التي يمكن أن يسندها المرسل، كما أنَّه الأساس الذي بنى عليه أوستين نظرية الأفعال الكلامية، ومن بعده سيرل، بوصفه ممارسة المرسل لينجز فعلاً لغويًا[3]، فالتلفظ يؤثر في العمليات التي تنتمي للأفعال الكلامية والحجاج كالقصدية، والاستلزام، والاقتضاء[4].

---

(١) صحراوي، مسعود، من التنظير التداولي إلى التطبيق النحوي علاقة البنية بالوظيفة في "دلائل الإعجاز"، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة ٦٦٣.

(٢) ذهبية، حمو الحاج، من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحول والتطور، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة ١٦٤.

(٣) الشهري، عبدالهادي، استراتيجيات الخطاب ٢٩-٣٠.

(٤) الشهري، عبدالهادي، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقاربة تداولية ٣٠٦. -بتصرف-.

٢ - ١ التلفظ (Enunciation):

يُعرِّف بينفينست التلفظ بأنَّه: "**عملية تشغيل اللسان عن طريق فعل استخدام فردي**" في حين يُعرِّفه كل من ديكرو وأنوسكمبر بأنَّه "**النشاط اللغوي الذي يمارسه المتكلم في لحظة كلامه كما يمارسه المستمع في لحظة استماعه**"(١)، ويميِّز ديكرو بين التكلم والتلفظ على اعتبار أنَّ التلفظ هو الصوت المتحدث باسم للتعبير عن أفكار معينة ضمن الخطاب الحجاجي، وقد يكون هذا المتلفظ مفرداً أو متعدداً، لذلك ابتكر ديكرو المتلفظ متعدد الأصوات لحل مشكلة تحليل بعض الأقوال التي لا نعرف بالضبط لمن ننسب فيها الكلام، هل إلى متكلم واحد أم إلى أكثر من متكلم؟!(٢).

يقول الشهري:(٣) "عليه يمكن أن نعرِّف التلفظ بأنَّه **يعني الفعل الذاتي في استعمال اللغة إنَّه فعل حيوي في إنتاج نص ما كمقابل للملفوظ باعتباره الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته، وهكذا يتيح التلفظ دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التواصل ووظائف اللغة** (يتضح لنا أنَّ التلفظ بوصفه مصطلحاً تداولياً لا يهتم بشكل الملفوظ إلا في ضوء التداول، فقد يشمل ما يطلق عليه في النحو بالجملة أو أكبر من ذلك أو أصغر".

٢ - ٢ التلفظ والتواصل (Enunciation and Communication):

أثارت ترسيمة جاكوبسون (Jackobson) الشهيرة (انظر الشكل ٢-٢) التي تتحدث عن وظائف اللغة اعتراضات لم تتوقف حدا إلى الآن. فجاكوبسون يرى -كما يرى سوسير -أنَّ وظيفة اللغة تكمن في تقديم المعلومات بواسطة مدونة، بينما يرى المعترضون أن اللغة أكثر من ذلك بكثير. اللغة ليست مدونة، أي أداة أو وسيلة تواصل، إنما هي تطرح قواعد لعب تختلط اختلاطاً كبيراً بالحياة اليومية(٤)، ومع ذلك، فقد منحت هذه الترسيمة المساعي الأولى لتحديد معالم النشاط التلفظي، وتناولت نظرية التلفظ وذلك بإعطاء حظيظ تواللغة إطاراً مقامياً قائماً. إنَّه يحدد العوامل الثابتة للمحادثة القولية أو الشفهية(٥).

---

(١) سيرفوني، جان، الملفوظية ٧.

(٢) الرقبي، رضوان، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله ٨٥، مجلة عالم المعرفة (عدد خاص عن الحجاج)، العدد (٢) المد (٤٠)، أكتوبر-ديسمبر ٢٠١١م.

(٣) الشهري، عبدالهادي، استراتيجيات الخطاب ٢٨.

(٤) سيرفوني، جان، الملفوظية ٧.

(٥) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ١٧.-بتصرف-.

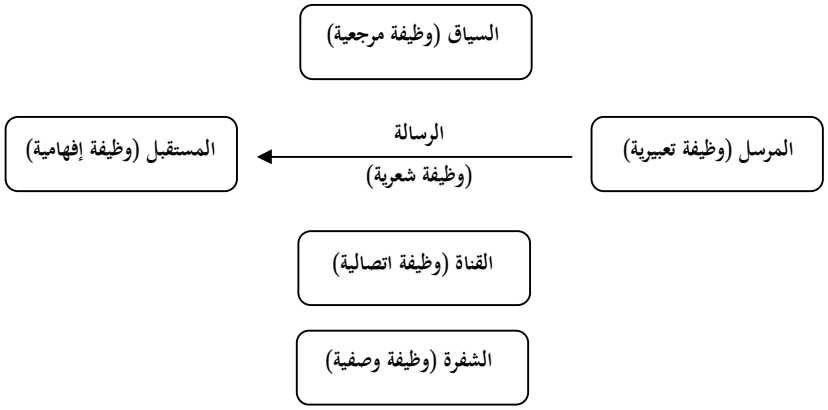

الشكل (١-٢-٢)

٢-٣ الملفوظ (Enunciate) :

الملفوظ نتاج (Resultant) إنه نتاج إجرائي وعملي، لساني واجتماعي، أمَّا الجملة فإنَّها تنتمي إلى بنية نظرية مجردة ومستقلة، خاضعة للوصف النحوي، فعبارة "ممنوع التدخين" تُعدُّ جملة إذا جردناها من أيِّ سياق، وهي ملفوظٌ إذا سُجلت في سياق معين، كأن تُكتب باللون الأحمر وتوضع في إطار، وتعلق في مستشفى، [إذن] الملفوظ إنجازٌ فعَّالٌ متماسك واقعي، متعلق بالنشاط الذي ينتج عنه ويشهد عليه في آن[١]، وعملية بناء الملفوظ (الكلام) نشاط متعدد الأطراف ومبنيٌّ ويستلزم قيام علاقة تواصلية[٢]، والملفوظ محمول بمعنىً قار وثابت، ذلك الذي يحمِّله إياه المتكلم، هذا المعنى هو الذي يفك شفرته المتلقي[٣]، يقول ديكرو[٤]: "إنَّ إعطاء معنى لملفوظ ما، يعني القيام بمحاولة تفسيرية، وهذه تعني البحث عن أسباب إنتاج ذلك الملفوظ، وتأويل الملفوظ له طابع افتراضي بالضرورة، إنَّه يعبر عن سلسلة من الاختيارات التي يقوم المؤوِّل".

---

(١) المرجع السابق ١٤ .

(٢) سرحان، إدريس، التأويل الدلالي التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ١٣٥.

(٣) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ١٥ .

(٤) سرحان، إدريس، التأويل الدلالي التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول ، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ١٢٤.

٢-٤ الجهاز الشكلي للتلفظ (The formal apparatus of enunciation):

ينسب هذا المفهوم إلى بينفنيست، ويشير إلى مجموعة أشكال لسانية يمكن ملاحظتها في الملفوظ، والتي تحيل على مقام التلفظ، هذه الأشكال تسمى الإشاريات (Deixis) (...) وهي بمثابة علامات لحدث التلفظ، وتأويلها يتطلب معرفة مجموعة ثابتة من مقاييس مقام المحادثة[١].

٢-٥ المقام (Situation) :

النص ليس تجميعاً لعلامات إشارية جامدة، إنَّه أثر لخطاب حيث توضع العلامات في المقام ويتم إخراجها في مشاهد[٢]. ويمكن القول بأنَّ التلفظ نظرية تعالج بعض العناصر اللغوية التي لا تعرف دلالتها المرجعية إلا من خلال السياق [غير اللغوي][٣].

٢-٥-١ مقام التبليغ (Situation of Communication): يحيل على عناصر خارج لسانية، هي المرسل (الباث) والمستقبل (المتلقي)[٤]، يقول طه عبدالرحمن:[٥] "والتبليغ هو عبارة عن نقل فائدة القول الطبيعي نقلاً يزدوج فيه الإظهار والإضمار، فيتبين أنَّ المتكلم ليس ذاتاً ناقلة، (...)، وإنما هو ذاتٌ مبلغة، أي ذات لا تقصد ما تظهر من الكلام فقط، بل تتجاوزه إلى قصد ما تبطن فيه". هذا المعنى يتعلق الأمر باشتراكٍ في التلفظ، بإنشاء الباث والمستقبل دلالة في الوقت ذاته، على أساس المواضعات والسياقات والخلفيات المعرفية المشتركة[٦].

٢-٥-٢ مقام التلفظ (Situation of Enunciation): هو الذي يحيل إلى الجهاز الشكلي للتلفظ، ويتعلق بعملية الإخراج اللغوي، ويتحدد بعلامات لغوية تكون عبارة عن ذات لسانية، وهذه الذوات محددة بمصطلحي "المتلفظ" و "المتلفظ له"، فالراوي في الملفوظ الأدبي متلفظ، والمروي له متلفظ له[٧].

---

(١) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ١٨ .

(٢) المرجع السابق ١٩ .

(٣) ذهبية، حمو الحاج، من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية في إشكالية التحول والتطور، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة - هامش*- ١٥٨.

(٤) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٢٠.

(٥) عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ٢١٦، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م.

(٦) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ١٤١.

(٧) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٢٠.

وثمة رأي يخالف فيه ديكرو، الذي ينطلق كعادته من تداوليته المندمجة وارتباطها بالخطاب، فتسلسل الملفوظات في الخطاب [لديه] ذو أصل داخلي، إنَّه يتأسس على طبيعة الملفوظ ذاته (...) وليس على حالة الأشياء في الكون التي يحيل عليها[1].

وبعيدًا عن ديكرو فعند تلقينا لأي نص من النصوص يتبادر إلى أذهاننا السؤال التالي: ما هو مشهد التلفظ لهذا النص؟ وما هو مقامه؟

وللإجابة عن هذين السؤالين، لابد من استحضار ثلاثة مشاهد: المشهد الجامع، والمشهد النوعي، والسينوغرافيا، بحسب تصنيف ماينغينو (Maingueneau):

٢-٥-٢-١ المشهد الجامع (Scene of Embracing): ويتعلق بنمط الخطاب، فحين ندخل في تواصل مع نص ما، يجب أن نكون قادرين على تحديد ما إذا كان يرجع إلى نمط الخطاب الديني أو الأدبي أو السياسي، وبعبارة أخرى في أي مكان سيوضع ليؤوَّل.

٢-٥-٢-٢ المشهد النوعي (Scene of generic): ويتعلق بجنس الخطاب أو نوعه، ومعلوم أنَّه مجموعة من المعايير المتغيرة عبر الزمن والمكان، ويمنح حقائق أشمل للمتلقين، فإذا كان النصُّ أدبيًا، فهو إمَّا أقصوصة، أو مقال، أو رواية، أو ..إلخ؛ إذ إنَّ المتلقي إنَّما يتلقى الخطاب باعتباره جنسًا.

والمشهدان السابقان (الجامع – النوعي) يحددان ما يمكن تسميته الإطار المشهدي، وهذا الإطار هو الذي يحدد الفضاء الثابت الذي من خلاله يحمل الملفوظ معنى.

٢-٥-٢-٣ السينوغرافيا (Scenography): لا يكون القارئ أو المتلقي في مواجهة مباشرة مع الإطار المشهدي، فيتجلى مفعول السينوغرافيا[2] من خلال تخطيها الإطار المشهدي إلى مستوى آخر، فهي الإخراج أو الطريقة التي يتشكل بها مقام التلفظ[3].

٢-٥-٣ الإشاريات (Deixis): هي إحدى أبسط الأشياء التي نقوم بها عندما نتكلم، وهذا يعني أنَّنا نستخدمها عبر اللغة، فهي تمثِّل أيَّ شكل نستخدمه لتحقيق الإشارة إلى شيء ما أثناء الحديث، فعندما ترى جسمًا غريبًا على سبيل المثال فإنك تتساءل: ما هذا؟ فقد استخدمت اسم

(١) الحباشة، صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص ٢٨.

(٢) المقصود بالسينوغرافيا: تصميم فني أو تقنية لتنفيذ عناصر مشهدية أو ديكور للسينما والتلفزيون والمسرح، بالإضافة إلى تصميم ملابس الممثلين.

(٣) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٢٠-٢١.

طلحة، محمود، التداولية وتحليل الخطاب، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة ٢١٤-٢١٦.

الإشارة (هذا) لشيء ما في السياق، بالإضافة إلى التعبيرات التي تحيل إلى الناس أو إلى الأشخاص (personal deixis) وتتمثل في أسماء أو ضمائر مرجعية من نحو (أنا، أنت، ياء المتكلم الدالة على التملك، كاف الخطاب، ياء النسب) وعلى سبيل المثل (لي، لك) فالياء والكاف يحيلان على مرجعيات مقامية، وقد تكون هذه الإشاريات مكانية (spatial deixis) من نحو (هنا، هناك) ، أو تكون إشاريات زمانية (temporal deixis) من نحوالآن، لاحقًا، غدًا، اليوم)، وكل هذه تعبيرات يعتمد تفسيرها على المتكلم والمستمع في مشاركتهما لنفس السياق[1]، وهناك أيضًا من يضيف إليها الإشاريات الاجتماعية (social deixis) وهي عبارات تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمتخاطبين من حيث هي علاقة رسمية ،أو غير رسمية، أو حميمية، أو غير حميمية، أو غير ذلك من مستويات العلاقة[2].

٢-٥-٤ التنغيم والإيماءات (Intonation & Paralanguage): لا تعد اللغة العربية من اللغات النغمية (Tone)، تلك التي تعتمد النغمة فونيمًا مفرقًا بين معنى وآخر من معاني الكلمة، غير أنَّا –أي العربية- تُعدُّ من اللغات التنغيمية؛ لأن التنغيم على مستوى الجملة موجود فيها، وله وظائف نحوية كالتوكيد والتعجب والاستفهام ونحو ذلك. وهذه النغمات تتخذ درجات، فمنها: المنخفضة، والعادية، والعالية، والعاليةجدًا. وأمَّا من حيث الثبات والتغير، فهناك المستوية، والهابطة، والصاعدة، والهابطة الصاعدة، والصاعدة الهابطة[3].

أمَّا الإيماءات فهي تلك العلامات المصاحبة، مثل استعمال بعض الإشارات بالحركة الجسدية المتمثلة في تحديد المرجع الذي تشير إليه أداة اللغة، كما يستعمل المرسل بعض العلامات السيميائية المتنوعة بالاستقلال عن اللغة الطبيعية، ومنها تلك العلامات التي قد تكتفي بنظامها المستقل في التعبير عن قصد المرسل[4].

---

(1) See Yule. George, Pragmatics, p9, Oxford: Oxford University Press, second edition, 1996.

(٢) جاد الكريم، عبدالله، التداولية في الدراسات النحوية ٤٤، القاهرة: مكتبة الآداب، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(٣) قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات ١٦٦-١٦٧، دمشق: دار الفكر، ط٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م -بتصرف-.

(٤) الشهري، عبدالهادي، استراتيجيات الخطاب ٧٢.

٣- قاعدة التعاون (Principle of co-operation):

تتجلى النظريات التداولية الحديثة في محاولتها تفسير العلاقات القائمة بين المتخاطبين كالتعاون، والملاءمة، والتهذيب، والتواجه، والتأدب الأقصى ... إلخ غير أنّه -وعند التدقيق في مفاهيمها- يُلاحظ أنّها مجتمعة لا تتجاوز الخطوط العريضة لنظرية التعاون التي وضع أسسها جرايس (Grice) سنة ١٩٧٥م، وربما رُدَّت الأصل لبعضها؛ حيث بدت تلك النظريات أو المبادئ إمَّا مختزلة لمبدأ التعاون في معيار واحد من معاييره الأربعة، أو أنّها عملت على إعادة صياغة مفاهيمها بطريقة أخرى متحاشية بعض الانتقادات التي وجهت لنظرية التعاون، لتقع في إشكالات أخرى، أو أنّها قامت بتعديلات طفيفة، وعلى ذلك فإنَّ مبدأ التعاون ظلَّ محتفظًا بقيمته العلمية عند كثير من الباحثين، ومازال مُعتدا به في الدرس التداولي عند مناقشة أحد أهم أنواع متضمنات القول، وهو الاستلزام الحواري.

وهذا المبدأ (مبدأ التعاون) الذي اقترحه جرايس يتمثل في أنَّ هناك مجموعة من الافتراضات الشاملة تعمل على توجيه سلوك المحادثة، وتنشأعلى ما يبدو من اعتبارات عقلانية أساسية، وربما تصاغ كمبادئ توجيهية ذات كفاءة وفعالية لاستخدام اللغة في المحادثة المفضية إلى خدمة الغايات التعاونية، وتُظهر كيف يتواطأ المتحاورون في التفكير بحيث يمكن أن يؤدي التعبير بالكلام إلى معنى غير حرفي بشكل أكبر، عوضا عن معناه الحرفي الوارد في الجمل الأساسية، ويميز جرايس بين أربعة معايير أساسية أو مبادئ عامة في المحادثة، وتنضوي جميعا تحت التعاون كمبدأ عام يُستخدم بكفاءة في اللغة، وهذه المبادئ تتمثل فيما يلي:

قاعدة التعاون: اجعل مساهمتك أثناء المحادثة وفق المطلوب منك في كل مرحلة تتحدث فيها عبر الاستعمال المقبول أو توجيه الكلام، ويتمثل هذا في أربعة مبادئ:

(١) مبدأ الكم (Quantity): أعط الكميات المناسبة من المعلومات،بحيث لا تكون قليلة ولا كثيرة، وهذا يعني:

أ. اجعل مساهمتك وفق المطلوب ولمقاصد حالية قابلة للتبادل .

ب. لا تجعل مساهمتك في الإفادة أكثر مما هو مطلوب.

(٢) مبدأ الكيف (Quality):حاول أن تجعل مساهمتك صادقة، وتحديداً:

أ. لا تقل ما تعتقد أنه كذب.

ب. لا تقل ما تفتقر فيه إلى أدلة كافية.

(٣) مبدأ الطريقة (Manner): يجب أن تكون ألفاظك واضحة؛ بحيث تكون: موجزة، ومنظمة، وغير غامضة، وغير ملبسة.

(٤) مبدأ الملاءمة (Relevance): يجب أن تكون المساهمات ملائمة للأهداف الراهنة والمفترضة من قبل الأشخاص المعنيين.

وباختصار، فإنَّ هذه المبادئ تحدد ما يتعين على المشاركين في الحديث القيام به من أجل محادثة فاعلة تتم بطريقة عقلانية قصوى، ففي التعاون ينبغي لهم أن يتحدثوا بصدق، وملاءمة للموضوع، وبشكل واضح مع توفر معلومات كافية[١].

وقد لاقى رأي جرايس انتقادات عدة، منها ما قاله طه عبدالرحمن[٢]: "إنَّ مبدأ التعاون والقواعد المتولدة عنه لا تضبط إلى الجانب التبليغي من الخطاب، أمَّا الجانب التهذيبي منه فقد أُسقط اعتباره إسقاطًا"، ومن تلك الانتقاداتوصف بعضهم لهذه المبادئ بأنَّها فردوس الفلاسفة، فلا أحد في الواقع يتحدث طيلة الوقت على هذا النحو[٣].

غير أنَّ الواقع يفيد مغزىمختلفًا لدى جرايس، فما يعنيه فعلاً أنَّه عندما لا تسير المحادثة وفق هذه المبادئ فإنَّ السامعين يفترضون ما هو خلاف للظاهر، ورغم ذلك فإنَّ الالتزام بهذه المبادئ يسير أبعد من ذلك، وإلى مستوى أعمق بعض الشيء، لذلك فإنَّ مغزى جرايس لا يتمثل في التمسك بهذه المبادئدائمًا في مستواها السطحي، بل بحسب الإمكان، والناس سيفسرون ما يقال وفق هذه المبادئ على الحد الأدنى[٤].

ومن خلال التأمل في هذه النظرية يبدو أنَّ جرايس وإن افترض أنَّ المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ التعاون[٥] أنَّه بقي مُفترضًا مع علمه المسبق بعدم إمكانية إقامة هذا الشكل من الاحترام في كلامنا العادي سوى بشكل محدود، بل يزعم الباحث أنَّ جرايس لم يضع هذه المبادئ إلا لتخرق، ومن ثمَّ يتحقق الاستلزام الحواري الضمني؛ إذ إنَّ هذه المبادئ موضوعة للاستخدام اللغوي الفردي (السلوك الكلامي)، والكلام بطبيعته مختلف عن صرامة (النظام اللساني)وجُلُّ حديثنا

(1) See Livinson, Stephen C, Pragmatics pp 101-103.
Griffths, Patrick, An introduction to english semantics and pragmatics p134.

(٢) عبدالرحمن، طه، السان والميزان أو التكوثر العقلي ٢٣٩.

(3) Livinson, Stephen C, Pragmatics p 102.

(4) Ibid pp 102-103

(٥) انظر روبول، آن/ موشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ٥٥.

في الحياة اليومية -إن لم يكن كلّه- لا يحمل هذه السمات المثالية المفرطة، ولا يتخذ من حرفية المعنى منطلقًا له، وبالتالي فإنَّنا نعمد إلى خرق هذه المبادئ لنتمكَّن من التواصل بشكل طبيعي فيما بيننا في اللغة العادية.

وتأكيدًا لهذا، يقول روبول وموشلار (Reboul&Moeschler) حول هذه النظرية[1]:"لا نجد هنا ما يفاجئنا كثيرًا. بيد أنَّ الفائدة الكبرى من قواعد جرايس لا تكمن في وجوب احترام المتخاطبين لها، بل يتمثل وجهُ طرافتها في قدرة المتخاطبين على استغلالها".

ومن أبرز المراجعات التي طالت مبدأ التعاون ولم تلغه كليًا:

٣-١ رادزار (Gazdar) تعارضه مع الأدب والتهذيب:

قام جازدار سنة ١٩٧٩م بإجراء مراجعة على صياغة تعريف مبدأي (الكيف و الكم) لدى جرايس لتتسق وعددًا من المفاهيم التي وضعها للاستلزام الحواري والاستلزام الوضعي (الاقتضاء)وبناءً على ذلك أعاد صياغة مبدأ "الكيف" في قوله: "قل فقط ما تعلم"عوضًا عن تعريف جرايس: "حاول أن تكون مساهمتك صادقة"، كما قام بمراجعة لمبدأ "الكم"[2].

٣-٢ سبربر ونيلسون ويلسون (Sperber&Wilson) نظرية الملاءمة (Relevance Theory):

اقترح كلٌّ من سبير بر و ويلسون سنة ١٩٩٥معيارًا واحدًا لتغطية جميع أنواع الاستلزام الحواري الواردة في مبدأ التعاون، فالملاءمة بالنسبة لهما ليست مبدأ؛ فهي تعمل على استكشاف العمليات الذهنية التي يخوضها طرفا الحوار لتحقق الحد الأقصى من المعلومات المفيدة المرجو الحصول عليها من التصريحات مع القليل من الجهد التأويلي الذي قيلت من أجله[3].

٣-٣ لايكوف روبن بو ر (Robin Lakoff) تبنيه لمبدأ الأدب (Politeness Principle):

أوردته روبين لايكوف (Robin Lakoff) في مقالتها الشهيرة "منطق التأدب" ١٩٧٣م وتتفرَّع عن هذا المبدأ ثلاث قواعد: (أ) قاعدة التعفف: "لا تفرض نفسك على المخاطب". (ب) قاعدة التشكيك: "لتجعل المخاطب يختار بنفسه". (ج) قاعدة التودد: "لتظهر الودَّ للمخاطب"[4].

---

(١) المرجع السابق ٥٦.

(٢) انظر الهمامي، ريم، الاقتضاء وانسجام الخطاب ٧٣-٧٦، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٣م.

(3) Griffths, Patrick, An introduction to english semantics and pragmatics pp 142-143.

(٤) انظر العياشي، أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ١١٨-١١٩.

٤- لو قالت حضنة متيلاوالتلا (The Pragmatic Implication)[١]:

تُعدُّ متضمنات القول مفهوماً تداولياً إجرائياً يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفيَّة من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره[٢].

[وهذا يقودنا إلى سؤال حول طبيعة الدرس التداولي] المنحدر من أعمال الفلسفة التحليلية المتمثلة في دراسة مختلف الوسائل اللسانية التي تتوافر للمتكلم من أجل إيصال الفعل اللغوي، والسؤال هو: حوو بلعلاقة تيلها (Explicitement)ي نضملك بوأ (Implicitement)ىدلكه لاىلوأ ؟تيزنا لتامع روض بطبتريلها ؟عمدلاق يسهدديلك لذنمس لفلتلا]؟[٣].

لاحظ جرايس أنَّ بعض الأقوال تبلغ أكثر مما تدل عليه الكلمات التي تنأى عن شروط حقيقة الجملة و يطلق عليها [متضمنات قول]، بعضها يرتبط بالتعبير اللساني؛ وبعضها الآخر تثيره العلاقة بين القول والسياق[٤]. فالكلام [(Parole)] لا يعني تعويض كل فكرة بكلمة (...)وإنمَّا يعني أنَّ إنشاء الكلام يتم انطلاقاً من التجربة التواصلية (..و)معلومٌ أنَّ المتكلم في العلاقة التخاطبية ليس ذاتاً ناقلة فحسب، بل هو ذات فوقها ذوات تجمع بين ما هو صريح وما هو ضمني[٥].

و يدرج جرايس هذا الضرب من الدلالة في تصنيف عام للمعاني (انظر الشكل١-٤-١) التي يمكن أن تدل عليها العبارات اللغوية، ويقوم هذا التصنيف على المقابلات الآتية:

١-تنقسم الحمولة الدلالية للعبارات اللغوية إلى معانٍ (صريحة)ومعانٍ "ضمنية"وتُعدُّ معاني "صريحة" المعاني المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، في حين تُعدُّ "ضمنية" المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة، وتشمل المعاني الصريحة: (أ) المحتوى القضوي (معاني مفرداتالجملة مضموماً بعضها إلى بعض)، و(ب) القوة الإنجازية الحرفية (المؤشَّر لها بصيغة الجملة كالاستفهام والأمر والإخبار ...).

---

(١)يصطلح عليها أيضاً بـ "الاستلزامات" و"الضمني" و "التضمين" و"المضمرات"، وأينما ورد مصطلح" Implication" في الإنجليزية فإني أعبر عنه بـ "متضمنات القول" ؛ وذلك بهدف توحيد المصطلحات.

(٢) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب ٣٠.

(٣) عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نتغير ٦١.

(٤) المرجع السابق ٤٧.

(٥) المرجع السابق ٤٥.

٢- المعاني الضمنية صنفان: معانٍ (عرفية) ومعانٍ (حوارية سياقية) أمَّا المعاني العرفية فهي مرتبطة بالجملة ارتباطًا يجعلها لا تتغير بتغير السياق، وأمَّا الحوارية السياقية فإنَّها معانٍ تتولد طبقًا للسياقات (المقامات)، وهذه الأخيرة نوعان: يصطلح غرايس تسمية الأول (الاستلزامات الحوارية الخاصة) التي تقع وفق سياق خاص، والثاني (الاستلزامات الحوارية المعمَّمة) ذات المعاني البالغة من العموم إلى درجة أنَّها لم تعد مرتبطة بسياق خاص[١].

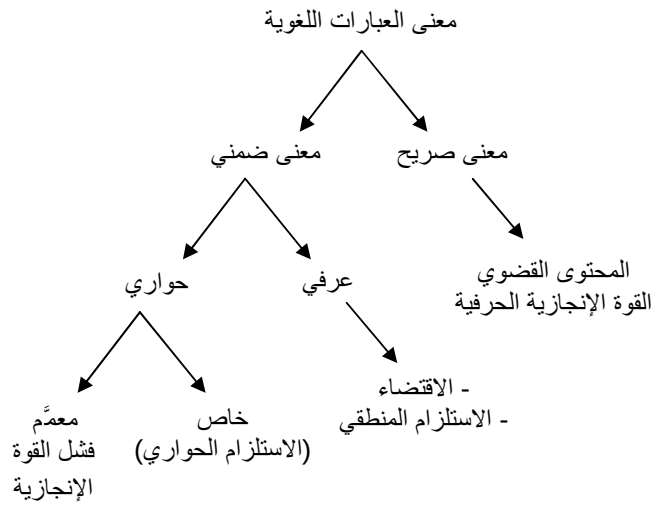

الشكل (١-٤-١)

وذا يكون جرايس قد أقرَّ طريقتين لتبليغ أكثر مما يقال: طريقة تواضعية تستدعي استلزامًا تواضعيًا (الاقتضاء) وطريقة محادثية سياقية تستدعي استلزامًا محادثيًا مقاميًا (الاستلزام الحواري)[٢].

وبحسب أوركيوني (Orecchioni) فإنَّ الأصل والموضوع الأساس هو التصريح، إلا أنَّه لاعتبارات تداولية يلجأ المتكلم إلى الإضمار ثقة منه بقدرة السامع على الفهم اعتمادًا على القرائن القولية والحالية، ومتضمن القول سواءً أكان اقتضاءً أم استلزامًا حواريًا، فإنَّه يشترك في سمة رئيسة هي أنَّها ليست موضوع القول الحقيقي[٣].

---

(١) المتوكل، أحمد، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ٢٧-٢٨، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط٢، ٢٠١٠م.

(٢) روبول، آن/ موشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ٥٦ -بتصرف-.

يستخدم مترجما الكتاب مصطلح (الاستلزام التواضعي) للإشارة إلى (presupposition)، ويستخدمان (الاستلزام المحادثي) للإشارة إلى (conversational implicature) وأينما ورد الأول في هذا البحث، فإنِّي أستخدم مصطلح (الاقتضاء) له، وأينما ورد الثاني، فإني أستخدم مصطلح (الاستلزام الحواري) له؛ وذلك بهدف توحيد المصطلحات.

(٣) لحويدق، عبدالعزيز، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ضممن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ٣٥١/٣.

يقول عبدالهادي الشهري[1]: "لو كان التخاطب يعتمد على استراتيجية مباشرة دون غيرها لكلَّف الناس أنفسهم عنتًا من أجل إنتاج الخطاب بتوخي الإطناب، والاضطرار إلى ما تستدعيه عناصر السياق الاجتماعية من تنويع الخطاب في بنيته".

ويقول بلانشيه (Blanchet)[2]: "إنَّ أيَّ تواصل يكون تصريحيًا بشكل جزئي ويكون ضمنيًا بشكل جزئي يفضًا (...) إنَّ [المتضمن] موجود حيثما نظرت سواءً تعلق الأمر بالمعنى الحرفي أو بالقيمة اللاقولية أو بالأعمال غير المباشرة أو حتى بالإخبارات أو برؤية للعالم يختص ا لسان ما، ذلك أنَّنا لا نقول كل شيء (...) فإذا غاب هذا الضمني امتنع التواصل (...) ومن هنا نفهم أنَّ مفهوم [متضمنات القول] قد شدَّ انتباه التداوليين شدًا".

ومُؤدَّى ذلك أربعة أمور:

١- أنَّ ما نضمره في كلامنا العادي أكثر بكثير ممَّا نصرح به وإن كان الأصل التصريح.

٢- أنّه لولا متضمنات القول لما أمكننا التواصل بسهولة.

٣- أنَّ متضمنات القول مفهوم متأصل في جميع النظريات التداولية وعلى رأسها التلفظ وأفعال الكلام والحِجَاج.

٤- أنَّ متضمنات القول تنقسم إلى قسمين: اقتضاء، واستلزام حواري.

ويعزو ليفنسون (Livinson) بروز ظاهرة متضمنات القول في اللغة إلى أمرين: الأول أنَّ متضمنات القول تُعدُّ بمثابة الأنموذج الواقعي لطبيعة وقوة التأويلات التداولية للظواهر اللغوية، ويمكن أن يظهر هذا النوع من خلال الاستنتاج العملي للمتضمن القولي خارج المنظومة اللغوية في بعض مبادئ التفاعل التعاوني، وبالتالي فإنَّ هذه المبادئ تحظى بتأثير متزايد على بنية اللغة؛ إذنفمفهوم الاستلزام يبدو كما لو أنه يسعى لتقديم عدة إيضاحات وظيفية مهمة للوقائع اللغوية، أما الأمر الثاني المهم الذي يقدمه مفهوم متضمن القول، فهو كونه يعمل على توفير التصريح بالقول من خلال آلية متعارف عليها تؤدي معاني أكثر من التعبير عنها بملفوظات حرفية تقليدية [3]

(١) الشهري، عبدالهادي ظافر، آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ٧٦/١.

(٢) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ١٤٤-١٤٥.

(3) Livinson, Stephen C, Pragmatics p 97.

٤-١ عطية الاقتضاء (presupposition)[١]:

يندرج مبحث الاقتضاء في إطار دراسة الدلالة الضمنية، وإذا كان هذا المبحث يصنَّف اليوم ضمن المباحث التداولية، فإنَّ دراسة هذا المفهوم تعود إلى نقاش فلسفي حول قيمة الصدق وما تثيره الإحالة من مشاكل عند الحساب الدلالي للإخبار[٢]، ويعود الفضل في تحويله من علاقة دلالية بين القضايا إلى علاقة تداولية بين الأقوال إلى ستراوسن (Strawson)؛ حيث فسح المال أمام جعل المقتضيات مجموعة من الاعتقادات والخلفيات المشتركة بين المتخاطبين[٣]، ففي كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها، ومتفق عليها بينهم، وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل[٤].

ويرى ديكرو (Ducrot) أنَّ أيَّ عملٍ لا قولي يفترض تحقيق عمل اقتضاء؛ لذلك فإنَّ الاقتضاء يتحدد [ملكون اللغوي باعتباره عنصرًا دلاليًا من القول[٥].

فعندما نقول:

كفَّ زيدٌ عن التدخين.

فإنَّ المكوِّن اللساني قد افترض مسبقًا بأنَّ زيدًا كان مدخنًا مع اعتقادٍ مشترك بين المتخاطبين يتمثل في معرفة (زيد) هذا العنصر الإشاري الذي ذُكر في الملفوظ، فيكون الاقتضاء وفق التالي:

كفَّ زيدٌ عن التدخين ⟋ زيدٌ كان من قبل مدخنًا[٦]

ومعنى ذلك أنَّ الاقتضاء لا يظهر من خلال المقام أو السياق خارج لغوي، بل يظهر في صورة تلميح من خلال البنية اللغوية نفسها، ويمكن تقريبه كما في الشكل (١-٤-٢):

---

(١) ترد الترجمات العربية للمصطلح الإنجليزي (presupposition) والمصطلح الفرنسي (pré-supposition) بأشكال متعددة، منها: الافتراض المسبق، الاستلزام الوضعي، المقتضى، اللزوم الطبيعي، الاستلزام الاقتضائي، الاستلزام الطبيعي، وأينما وردت هذه المصطلحات فإنيِّ أستخدم مصطلح (الاقتضاء) في هذه الدراسة؛ وذلك بهدف توحيد المصطلحات.

(٢) الهمامي، ريم، الاقتضاء وانسجام الخطاب ١٤-١٥.

(٣) المرجع السابق ٣٥.

(٤) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب ٣٠-٣١.

(٥) المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ٣٧١.

(٦) (⟋) ترمز إلى الاقتضاء في هذه الدراسة.

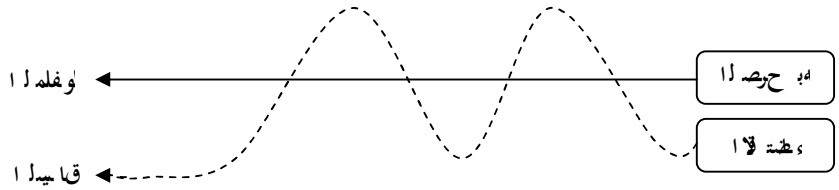

ا لمكشلا (١-٤-٢)

ولذلك يقول باتريك (Patrick) [1]: "لا شكل الافتراضات المسبقة (الاقتضاء) أمرا مفروغا منه من حيث أهميته التداولية في عملية التواصل؛ كوا ضرورية لبناء الخطاب التواصلي،فالافتراضات تُعدُّ الخلفية المشتركة، بل نقطة الانطلاق الواضحة للقارئ أو المستمع في استيعاب الرسالة الملائمة للمتكلم. ويمكن للناس الذين يعرفون بعضهمبعضً ا بشكل جيد بناء انطباعات دقيقة جدًا عمَّا يتقاسمونه من افتراضات بينهم، غير أنه من الصعب أن يكون الطرف الأول على بينة بتلك الجوانب التي يفكر ا الطرف الآخر لحظة التفاعل التواصلي بين الغرباء، بل لعله من الصعب التكهن بذلكإذ يُعد الاقتضاء على نحو دقيق مصطلحا لنوع معين من الاستنتاج، وهذه الفئة من الاستنتاجات مهمة هنا، فهي تلميحات (hints) يقدمها المتحدثون والكُتَّاب كوسيلة هامة في إجراء جميع العمليات الكلامية، وذلك لما تمنحه من ضمانات حالية".

٤-٢ ير بحوا لر لمستلا ا (Conversational implicature)[2]:

هو لنمط الثاني من متضمنات القول ويرتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الاقتضاء[3]، ظهر مفهوم الاستلزام الحواري مع جرايس الذي حاول أن يضع نحوً ا قائمً ا على أسس تداولية للخطاب، تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب، فهو يؤكد أنَّ التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذٌ إذا نظر فيه فقط إلى الشكل الظاهري لهذه العبارات، وعليه اقترح مايلي:

(1) Griffths, Patrick, An introduction to english semantics and pragmatics p143.

(٢) ترد الترجمات العربية للمصطلح الإنجليزي (conversational implicature) والمصطلح الفرنسي (sous-entendu) بأشكال متعددة، منها: المفهوم، الاستلزام المحادثي، الاستلزام التخاطبي، القول المضمر، الاستلزام الخطابي، التضمين، الاستلزام الصناعي، وأينما وردت هذا المصطلحات، فإنيِّ أستخدم مصطلح (الاستلزام الحواري) في هذه الدراسة؛ وذلك بهدف توحيد المصطلحات.

(٣) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب ٣٢.

(١) معنى الجملة المتلفظ بها المتكلم في علاقته بالمستمع.

(٢) المقام الذي تنجز فيه الجملة.

(٣) مبدأ التعاون.

حيث يُلاحظ أنَّ معنى كثير من الجمل إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر فيما تدل عليه صيغها الصورية[١].

وتعرِّف أوركيوني (Orecchioni) الاستلزام الحواري بقولها[٢]: "هو جميع المعلومات القابلة للتمرير بواسطة ملفوظ معطى، إلا أنَّ تعيينها يبقى رهيناً ببعض خصائص السياق التلفظي".

ومثال ذلك ملفوظ:

إنَّ السماء تمطر.

فالملفوظ السابق يرد في أكثر من سياق للدلالة على أكثر من قصد، وأنَّ السامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أنَّ القائل أراد أن يطلب منه:

إنَّ السماء تمطر ⟸ امكث في البيت ولا تخرج[٣].

إنَّ السماء تمطر ⟸ أسرع إلى عملك حتى لا يفوتك الموعد.

إنَّ السماء تمطر ⟸ انتظر وتريث حتى يتوقف المطر.

إنَّ السماء تمطر ⟸ لا تنسَ مظلتك!

إنَّ السماء تمطر ⟸ ما رأيك أن نخرج في نزهة؟!

ويُلاحظ في الأمثلة السابقة أنَّ الملفوظ (إنَّ السماء تمطر) ملفوظ واحد، ولكنَّ ما يحدد مقاصده هو السياق (أو المقام) الذي يرد فيه[٤] كما في الشكل (١-٤-٣).

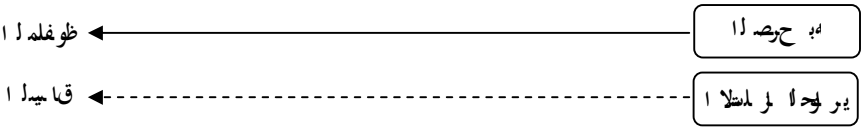

الشكل (١-٤-٣)

(١) أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ١٧-١٨.

(٢) لحويدق، عبدالعزيز، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ضممن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ٣٥١.

(٣) (⟸) ترمز إلى الاستلزام الحواري في هذه الدراسة.

(٤) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب ٣٢. -بتصرف-.

ولكنَّ سؤال مهمٌ ، هو: كيف تنشأ ظاهرة الاستلزام الحواري في اللغة؟

يقول باتريك: "يقوم الاستلزام الحواري على الاستنتاجات التي تستند إلى معاييراستعمال اللغة، كاتفاق عام ينبغي أن يهدف إلى تمثل التعاون"(١).

ولكن ماذا لو لم نتمثل التعاون، أو تم خرق أحد مبادئه الأربعة التي وضعها جرايس؟!

هنا تحديداً ينشأ الاستلزام الحواري(٢)، ولنأخذ مثالاً على هذا:

لـ الأب يعرض على ابنه الخروج مع بقية أفراد الأسرة للتنزه(٣).

-الأب: ما رأيك أن تخرج للتنزه معنا ؟!

-الابن: لدي واجبات دراسية ⟸ أرفض الخروج معكم للتنزه.

-الأب:حسناً .. كما تريد.

يُلاحظ في المثال السابق أنَّ الابن لم يجب أباه بملفوظ صريح (حرفي)،ولكنه استعمل عوضاً عنه ملفوظًا ضمنياً (لدي واجبات دراسية يجب إنجازها)،أنتج استلزاماً حوارياً تمثل في رفض الخروج للتنزه مع الأسرة. وبالعودة إلى مبادئ جرايس الأربعة، نجد أنَّ الابن في إجابته أباه قد خرق مبدأً من مبادئ التعاون وهو الملاءمة (يجب أن تكون المساهمات ملائمة للأهداف الراهنة والمفترضة من قبل الأشخاص المعنيين)؛ ذاك أنَّ مساهمة الابن والمتمثلة في إجابته لم تكن ملائمة لسؤال أبيه.

ما رأيك أن تخرج للتنزه معنا ؟! ⊄ لدي واجبات دراسية (٤)

فالمحتوى القضوي المتمثل في إجابته كانتقريرياً، وقوته الإنجازية الحرفية لا تدل على الرفض، ومع ذلك فالأب قد تمكَّن من تأوِّل إجابة ابنه استناداً إلى الاستلزام الحواري الذيدلَّ عليه السياق المقامي.

وذا يكون الاستلزام الحواري ذا مفهوم ضمني يؤسس لنوع من التواصل يمكن وسمه بالتواصل غير المعلن، بحجة أنَّ المتكلم يقول كلاماً ويقصد غيره، كما أنَّ المستمع يسمع كلاماً ويفهم غير ما سمع(٥).

---

(1) Griffths, Patrick, An introduction to english semantics and pragmatics p134.

(٢) صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ٤٦ –بتصرف-.

(٣) (لـ) ترمز إلى سياق التلفظ في هذه الدراسة.

(٤) (⊄) ترمز لحدوث خرق لأحد مبادئ التعاون في هذه الدراسة.

(٥)أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ٧.

٤-٣ بوجوه التمييز بين الاقتضاء والاستلزام الحواري:

يُعدُّ مصطلحا "الاقتضاء والاستلزام الحواري" من المصطلحات المتقاربةفهوميًا، فكلاهما يعمل في فضاء ضمني يعتمد على تأويل المتلقي لفهم قصد المرسل، وفيما يلي أبرز الملامح التي يمكن من خلالها التفريق بين المفهومين:

(١) التفريق بين الاقتضاء والاستلزام الحواري يبدأ من نقطة المعيار الذي يعتمد في تأويله، وأمَّا الاستلزام الحواري فيعتمد على المضامين المقامية.

يقول ليفنسون[١]: "الاستلزام الحواري (conversational implicature) كنوع خاص من الاستنتاج التداولي لايمكن اعتباره استنتاجًا دلاليا ينتمي إلى معاني الكلمات والعبارات والجمل؛ لأنَّه يستند بشكل مباشر إلى بعض المضامين المقامية من خلال تواصل المشاركين بالمحادثةعوضًا عن كونه استنتاجًا من صلب البنية اللغوية. أمَّا الاقتضاء (presupposition) فهو الاستنتاج التداولي الذي يبدوعلى الأقل مستندًا بشكل أكبر على البنية اللغوية الفعلية للجمل".

(٢) الاقتضاء لا يتأثر مضمونه عند نفي جملته أو التشكيك بها وعلى النقيض من ذلك فإنَّ الاستلزام الحواري يتأثر مضمونه بنفي جملته أو التشكيك بها[٢].

ـ فعلى سبيل المثال (أ) يخبر عن حالة زيد الصحية:

(أ١) زيد خرج من المستشفى ∠ زيد مريض ودخل المستشفى.

(أ٢) زيد لم يخرج من المستشفى ∠ زيد مريض ودخل المستشفى .

(أ٣)أظنُّزيدًا لم يخرج من المستشفى ∠ زيد مريض ودخل المستشفى .

يُلاحظ في الأمثلة السابقة أنَّ الاقتضاء لم يتأثر بنفي الملفوظ أو التشكيك به، وبقي يعطي اقتضاءً واحدًا في جميع حالاته.

(1) See Livinson, Stephen C, Pragmatics p167.

(2) See Griffths, Patrick, An introduction to english semantics and pragmatics p144.

ـ مثال آخر (أ) يطلب من (ب) الذهاب معه إلى السوق:

(أ) هل تذهب معي إلى السوق؟!

(ب١) لدي أعمال أقوم بها ⟸ كلا لن أذهب.

(ب٢) ليس لدي أعمال أقوم بها ⟸ حسنًا سأذهب معك.

(ب٣) أظن أنَّ لدي أعمالاً أقوم بها ⟸ ربما لا يمكنني الذهاب .

يُلاحظ في الأمثلة السابقة أنَّ الاستلزام الحواري قد تأثر بنفي الملفوظ والتشكيك به، وقدَّم مدلولات متباينة في كل حالة.

(٣) مهمة تأويل الاقتضاء ذات دور مشترك بين المتكلم والسامع، وأمَّا الاستلزام الحواري فهو متروك للسامع كي يستنتجه من الكلام[١].

(٤) الاستلزام الحواري متغير، [فالملفوظ] الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة[٢]، وهذا ما لا ينطبق على الاقتضاء، فهو لا يتغير بتغير السياق.

(١) انظر الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ٣٩، تونس-صفاقس: مكتبة علاء الدين، ط١، ٢٠١١م.

(٢) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٣٩.

٥ - ملامح نظرية أفعال الكلام (Theory of Speech Acts) :

ثمة ملفوظات من شأنها أن تحمل وظيفة إخبارية إلى المتلقي، وهي وإن كانت وظيفة مهمة إلا أنها ليست الوحيدة، بل إنَّ هناك طرقاً أخرى غير مباشرة لوصف التفاعلات اللغوية بين الناس كتلك التي تقدم تحذيرا، أو تحية، أو تأكيداً لموعد، ونحوه، مثل هذه الطُرق في التفاعل اللغوي تسمى "أفعالاً" وليست "أقوالاً" بحسب نظرية أفعال الكلام.

يقول يول (Yule)[1] "تبنى محاولة منهم للتعبير عن أنفسهم، لا ينتج الناس كلاماً يحوي تراكيب نحوية ومجرد ألفاظ ، بل ينجزون أعمالا عبر تلك الأقوال، وذلك عندما تتم في موقف مقامي يكون لهم فيه قدراً من السلطة التي تخولهم للتعبير عن هذه الأقوال أكثر من كونها مجرد عبارات.

فالإنجازات التي يتم تنفيذها عن طريق الكلام يطلق عليها: (الأفعال الكلامية)، وتعطى عادة تصنيفات أكثر دقة كالاعتذار، أو الشكوى، أو الثناء، أو الدعوة، أو الوعد، أو الأمر.

وهذه المصطلحات الوصفية لمختلف أنواع الأفعال الكلامية تعتمد على قصد المتكلمين التواصلي عند إنتاج الكلام، مع مواضعة عادة بين المتكلم والسامع أثناء العملية التواصلية عمادها القصد، وعادة ما يساهم كلاهما في هذه العملية من خلال الظروف المحيطة بالكلام، وتسمى هذه الظروف وما تحويه من ملفوظات (الحدث الكلامي)".

تعود نظرية أفعال الكلام إلى كل من الفيلسوف الأمريكي أوستين (Austin) ١٩٥٥م، وتلميذه سيرل (Searle) ١٩٦٩م الذي عمل على تطوير عدة مفاهيم حول هذه النظرية حيث مثَّلت منطلقاً لاستئناف النظر في ظواهر لغوية عديدة تتصل بدلالة الأقول[2] بعد أن درج المناطقة الوضعيون على اعتبار شروط الصدق المعيار الوحيد الذي يجب اعتماده في الحكم على جملة من حيث دلالتها، فالجمل التي تحتمل أن يقال عنها إما صادقة أو كاذبة هي الجمل الدالة في مقابل الجمل التي لا دلالة لها، فكان من نتائج ذلك أن قُلِّصت العبارات اللغوية إلى فئة واحدة، العبارات اللغوية التي تمتاز بخاصيتين: وصفها لواقع معين، واحتمالها للصدق أو الكذب بالنظر إلى الواقع الموصوف من مثل:

أ-السماء صافية اليوم.

---

(1) Yule. George, Pragmatics, p47.

(٢) انظر المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات ٩-١٣، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠م.

غير أنَّ أوستين نبَّه إلى وجود فئة من العبارات اللغوية تحمل دلالة معينة بالرغم من أنَّها لا تحتمل الصدق أو الكذب، من مثل:

ب أعدك بأني سأزورك غداً[١].

هذا التنبيه سرعان ما تحول إلى إنكارٍ على من يقصر وظيفة اللغة فيوصف وقائع العالم، وصفاً إمَّيكون صادقاً أو كاذباً، فصار أوستين ينعت ذلك بالمغالطة الوصفية (descriptive fallacy)[٢].

تذهب هذه النظرية إلى أنَّ العبارات اللغوية لا تنقل مضامين مجردة ونمطية، وإنمَّا تختلف حسب عدة عوامل أخرى تتدخل في تحديد دلالة اللفظ وقوته، وعليه تحوَّل الاهتمام من الجملة في ذاا (نمط) إلى البحث في مختلف تمظهراا (موقع)، ومن ثمَّ تم الانتقال من الإحالة اللسانية إلى إحالة المتكلم[٣]، وذا يرى أوستين أنَّ اللغة ليست مجرد وسيلة للوصف ونقل الخبر، بل أداة لبناء العالم والتأثير فيه[٤].

ولذا تكمن الفكرة الأساسية لنظرية فعل الكلام في النظر إلى اللغة بوصفها تؤدي [أفعالاً كلامية][٥]، غير أنَّ أوستينفي المرحلة الأخيرة من بحثه وسَّع المفهوم ليشمل جميع الجمل حتى تلك التي تقبل الصدق والكذب[٦].

كما أنَّ هذه النظريةتقوم على النظر إلى اللغة كما لوأنَّها أداة أعمال مختلفة في آنٍ واحد، وما القول إلا واحدٌ منها[٧]، وكذلك تقوم على القصدية (Intentionality) التي بدورها تقوم على أسس تداولية درسها فلاسفة التحليل، ثم توسَّع في تفريعها وتقسيمها التداوليون حتى غدت شبكة من المفاهيم المترابطة[٨]. وتبرز أهمية الفعل الكلامي (Speech Act) في كونه نواة مركزية لكثير من الأعمال التداولية[٩].

---

(١) انظر المتوكل، أحمد، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ٢١-٢٢.

(٢) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٤٣.

(٣)أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ٧٩.

(٤) المرجع السابق ٧٧.

(5) See Pedersen, Hans Madsen, Speech acts and agents a Semantic Analysis p8.

(٦) الطبطبائي، سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ٤، الكويت: مطبعة جامعة الكويت، ب.ط، ١٩٩٤م.

(٧) علي، محمد محمد يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ٣٤، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.

(٨) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب ٤٤.

(٩) صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ٥١.

ويفسر سيرل الدور الذي تضطلع به اللغة في خلق الواقع بناء على هذه النظرية، من خلال عبارة أستاذه أوستين:كيف ننجز أشياء ً عندما نتكلم؟ بقوله[1]: "إنَّنا نستطيع في الغالب خلق الوقائع الاجتماعية عن طريق منطوق [إنجازي] (performative enunciate)نستطيع أن نستخدم شخص ً ا بالقول: أنت مقبول في العمل. نستطيع أن نعلن الحرب بالقول: الحرب معلنة. إلى غير ذلك، بما يشمل عدد ً ا كبير ً ا من الحالات".

إذن فنحن أمام نوعين من الملفوظات:

-تقريري (Constative):ملفوظات تصف وقائع العالم، وتحتمل أن يقال عنها صادقة أو كاذبة.

-إنجازي (Performative):لا تصف وقائع العالم، ولا تحتمل دلالتها أن تكون صادقة أو كاذبة.

٥ - الملفوظ الإنجازي والملفوظ التقريري من وجهة نظر سيرل:

١- الملفوظات التقريرية تخضع لمعيار صادق وكاذب، بينما تخضع الملفوظات الإنجازية لمعيار سعيد وتعيس[2].

٢- في غالب الأحيان تكون الملفوظات الإنجازية بصيغة المضارع وضمير المتكلم[3].

٣- بمجرد النطق بالملفوظات الإنجازية نكون قد قمنا بعمل معين، كالتحذير، والأمر، والتهنئة، والوعد، والوعيد ... إلخ[4].

وقام أوستين بتقسيم الملفوظات التقريرية نفسها إلى وصفية وإنجازية[5]؛ حيث لاحظ أنَّ بعض الملفوظات لا ينسحب عليها معيار الصدق والكذب، وإن جاءت في صيغة تقريرية إلا أنَّها في حد ذاتها

(١) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع ١٩٦، ترجمة: الغانمي سعيد، الجزائر: منشورات الاختلاف، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

استخدم المترجم مصطلح "آدائي" للترجمة "performative"، واستخدمت "إنجازي"؛ هدف توحيد المصطلحات. وأينما ورد في هذه الدراسة فإني أستخدم مصطلح "إنجازي"

(٢) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٥٣.

(٣) المرجع السابق ٥٣.

(٤) انظر المتوكل، أحمد، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ٢٣.

(٥) الطبطبائي، سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ٥.

ذات دلالات إنجازية، من مثل: "الثور سيهاجمك"! فهي وإن بدت تقريرية إلا أنَّ لها قوة إنجازية تتمثل في التحذير[1]، ثم إنَّ أوستين ذهب في أعماله الأخيرة إلى اعتبار كل الملفوظات بما فيها الملفوظات التقريرية] التقريرية] ملفوظات إنجازية، وبذلك فجزء كبير من الأهمية الأصلية التي كان يحظى بها إسناد وصف إنجازي قد زال في التطورات اللاحقة لنظرية [أفعال الكلام][2]، ومؤدَّى ذلك أنَّ جميع ملفوظات اللغة إنجازية، وأنَّها قد تظهر أحياناً في صيغة ملفوظات تقريرية فتكون إنجازيتها ضمنية غير صريحة.

٥-٢ يزلمجلإ الملفلا حجة طورش :

لابد لفعل الكلام الإنجازي (The performance of a speech act) من أن يتم وفق المقصود والمواضعة، فالإنجاز لن يكون ملائما إذا لم يكن المتكلم مخولاً في سياق خاص، وفي الحالة التالية تتمثل المواضعة في قاضٍ بمحكمة يصدر حكما (فعل قول إنجازي):

-حكمت عليك بالسجن ستة أشهر.

فلو لم يكن مخولاً ما أصبحت لقوله قيمة، وثمة شروط أساسية تتعلق بسياقات الحياة اليومية بين أطراف الحوار، فلا ينبغي أن تؤدي اللغة إلى استخدام أفعال لا معنى لها، وثمة شرط آخر يتعلق بالمحتوى القضوي، فعلى سبيل المثال ينبغي أن يُنجز فعلا الوعد والتحذير بمضمون كلام يحدث في المستقبل[3].

و سبقت الإشارة إلى أنَّ الملفوظات الإنجازيةلا تخضع لمعيار صادق وكاذب، وإنَّما تخضع لمعيار سعيد أو تعيس (أو ناجح وفاشل)، فما هي الشروط الواجب توافرها لنجاح الملفوظ الإنجازي؟!

١- توافر المواضعة (Convention)، على أن تشتمل المواضعة التلفظ بكلمات محددة من قبل أشخاص محددين وفي ظروف محددة.

٢- في كل الحالات يجب أن يكون الأشخاص المحددون وكذلك الظروف الخاصة مناسبة لتنفيذ الإجراء وتحقيقه.

٣- يجب أن يتم تنفيذ الإجراء وإنجازه من طرف جميع المشاركين مرة واحدة وبطريقة صحيحة.

---

(١) انظر بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ٥٧.

(٢) الحباشة، صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص ٩٥.

يترجم المؤلف المصطلح "Speech Acts" إلى "الأعمال اللغوية"، وأينما ورد هذا المصطلح فإني أستخدم "الأفعال الكلامية" للتعبير عنه؛ وذلك بهدف توحيد المصطلحات في هذه الدراسة.

(3) Yule. George, Pragmatics, p50.

يجب أن ينفذ الإجراء حرفيًا وكاملاً.

أن يكون القصد في هذا الإجراء قائمًا على الصدق في تبني الأفكار والمشاعر.

٦- الالتزام بالنتائج من قبل الجميع[١].

٥-٣-مالكلامعفلمسةأ:

تنقسم أفعال الكلام بحسب أوستين إلى ثلاثة أقسام[٢]:

١- فعل القول. ٢- الفعل الإنجازي. ٣- الفعل التأثيري.

ويضيف سيرل إليهفعلاً رابعًا هو: المحتوى القضوي، ويستبدل الأول بالفعل التلفظي.

٥-٣-١ فعل القول (Locutionary act): يتشكل من ثلاثة أفعال فرعية هي: الفعل الصوتي، والفعل التركيبي، والفعل الدلالي (المرجعي).

أمَّا الفعل التلفظي (Enunciation act) لدى سيرل، فهو عملية أداء الكلام والتأليف بين المكونات.

٥-٣-٢ الفعل الإنجازي (Illocutionary act): وهو الذي يقوم به المتكلم أثناء تلفظه، ويرتبط بالقيمة، التي تعطى للكلام.

ويُعرِّف أوستين الفعل الإنجازيأنَّه عملٌ يتحقق ونحن نقول شيئًا ما[٣]. وهذا العمل يتمثل في المضامين التي يحملها الملفوظ، فعلى سبيل المثال:

لـ (أ) يقف في حظيرة وخلفه ثور، و (ب) انتبه للموقف ويود تنبيه (أ):

(ب)مخاطبًا (أ) : سيهجم = ∏أُحذرك من هجوم الثور[٤].

---

(١) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام ٢٧، ترجمة: عبدالقادر قينيني، تونس: أفريقيا الشرق، ب.ط، ١٩٩١م.
عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٥٠.

(٢) أدراوي،العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ٨٦، ٩٢.

(٣) المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية ٤٢.
يستخدم المؤلف "العمل في القول" للمصطلح الإنجليزي "Illocutionary act" وأينما ورد هذا المصطلح في هذه الدراسة، فإني أستخدم "الفعل الإنجازي"؛ بدف توحيد المصطلحات.

(٤) (∏) ترمز إلى الفعل الإنجازي في هذه الدراسة.

فالملفوظ "سيهجم العدو" تحقق و (ب) يقول ملفوظه الذي حمل مضمون تحذير من وجود حيوان خطر قد يتحرك في أيَّة لحظة.

ومعنى ذلك بحسب يول (Yule) أنَّنا عندما ننتج الأقوال وننسقها لأي غرض فإننا نعمل على تشكيلها وفق وظيفة ذهنية، وهو البعد الثاني أو ما ندعوه بالفعل الإنجازي؛ حيث يتم إنجاز هذا الفعل من خلال قوة الملفوظات التواصلية(١)، والسياق هنا يشكل أهمية بالغة؛ حيث يدل سياق الفعل الإنجازي على المعارف الملائمة للمقام الاجتماعي الذي يُنجز فيه الفعل الكلامي، ويشمل: المعرفة الواقعية للبيئة: كالمكان والزمان وما إلى ذلك، أضف إلى ذلك المعرفة الإدراكية المسبقة للمشاركين: كالمعتقدات والتطلعات والمقاصد، بالإضافة إلى معرفة السياق الاجتماعي للمشاركين: كالالتزامات والقواعد والأدوار ونحوها(٢).

ويُعدُّ الفعل الإنجازي أهم اكتشاف لأوستين، وهو قطب الرحى في نظرية أفعال الكلام، فبهذا المفهوم ترتبط مفاهيم أخرى مهمة(٣)، وهو يقسِّمه إلى صريح وغير صريح(٤)، كما أشار سيرل إلى أنَّ هذا الفعل هو أصغر وحدة مكتملة في الاتصال اللغوي الإنساني، وحينما نتكلم أو نكتب فإنَّنا نؤدي أفعالا إنجازية، كما أنَّ سيرل قد أشار صراحةً إلى أنَّه الغاية من هذا التحليل(٥).

ويُقيِّد سيرل هذه الأفعال بقيدين هما: القصد والقواعد، فالقصد هو الذي يجعل إنتاج سلسلة لغوية ما ذات معنى وإحالة معبرًا عن دلالة قصدية محققًا لعمل لغوي قابل للفهم، وأمَّا القواعد فهي التي تُسيرِّ هذه الأفعال الكلامية باعتبارها شكلاً من أشكال السلوك، وهي قواعد تكوينية لا تؤسس النظام اللغوي فحسب، بل تحدد كيفية ممارسته(٦).

---

(1) Yule. George, Pragmatics, p48.

(2) Pedersen, Hans Madsen, Speech acts and agents a Semantic Analysis p8.

(٣) المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية ٤١.

(٤) ستأتي مناقشة الفعل الإنجازي الصريح وغير الصريح عند دراسة الجانب التطبيقي.

(٥) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع ٢٠٢.

يستخدم المترجم "الفعل التمريري" للإشارة إلى المصطلح الإنجليزي "Illocutionary act" وأينما ورد هذا المصطلح في هذه الدراسة، فإني أستخدم "الفعل الإنجازي"؛ بهدف توحيد المصطلحات.

(٦) المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية ٤٦.

٥-٣-٣ الفعل التأثيري (Perlocutionary act): ويقصد به الأثر الذي يحدثه الكلام على المخاطب.

إنَّ إعمال قوة الفعل الإنجازي بطبيعة الحال ليست مجرد خلق ملفوظات وظيفية دون قصد التأثير على المتلقي، وهو ما يمثله البعد الثالث لأفعال الكلام، أو الفعل التأثيري، ووفق هذه الظروف، فالملفوظات تفترض أن المتلقي سيتأثر لهذا القصد(١).

ومن أمثلة الأفعال التأثيرية: أقنع، أزاح، أوجع، أقلق، أتعس، أفرح ... إلخ.

وبالعودة إلى مثال التحذير من هجوم الثور، تكون ردة فعل (أ) التي أحدثها تحذير (ب) على (أ) هي الفعل التأثيري، ويمكن التمثيل لها بإضافة الملفوظ التالي:

لـ[illegible] (أ) الخطر المحدق به، ففرَّ مسرعًا!

إذن ∀ =ففرَّ مسرعًا"(٢).

ويُفرِّق أوستين بين الفعل الإنجازي والفعل التأثيري، فالأول ناتجٌ من داخل التلفظ والكلام، والدلالة فيه بحسب اللفظ الثاني ناتج عن خارج الكلام وليس واردًا اعتبارُ الدلالة أو المعنى فيه بحسب اللفظ(٣).كما يرى سلينَّ الفعل الإنجازي يجب أن يُؤدَّى قصديًا، بعكس الفعل التأثيري، فلا يجب أن يُؤدَّى قصديًا، كما أنَّ الأفعال الإنجازية قصدية في الجوهر، بينما الأفعال التأثيرية قد تكون وقد لا تكون قصدية(٤)، وبالتالي فهي ليست بذات أهمية كبيرة بالنسبة له، فليس من الضروري أن يكون لكل فعل تأثير في السامع ما يدفعه إلى إنجاز فعل ما(٥).

و بالعودة إلى مثال "هجوم الثور" قد تكون ردة فعل (أ)لا توحي باهتمام مطلقًا، أو ربما كان (أ) مصارع ثيران فهو معتاد على ذلك، أوربما كان (أ) هو مالك هذا الثورهنا يكون الفعل التأثيري غائبًا بالرغم من تحقق فعل الإنجاز.

---

(1) Yule. George, Pragmatics, pp 48-49.

(٢) (∀) يرمز إلى الفعل التأثيري في هذه الدراسة.

(٣) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام ١٣٢.

يستخدم المترجم "قوة فعل الكلام" للإشارة إلى المصطلح الإنجليزي "Illocutionary act"، ويستخدم "لازم فعل الكلام" للإشارة إلى المصطلح الإنجليزي "Perlocutionary act" وأينما ورد هذان المصطلحان في هذه الدراسة، فإني أستخدم "الفعل الإنجازي" و"الفعل التأثيري"؛ بهدف توحيد المصطلحات.

(٤) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع ٢٠٣.

(٥) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٧٣.

٥-٣-٤ المحتوى القضوي (Propositional act): وهو مما أضافه سيرل و يشمل المتحدَّث عنه أو المرجع، أو المتحدث به أو الخبر، ونصَّ سيرل على أنَّ الفعل القضوي لا يقع وحده، بل يستخدم دائماً مع فعل إنجازي في إطارٍ كلامي مركَّب[١].

ففي المثال "أُحذرك من هجوم الثور".

∏أحذِّرك + ⊥ هجوم الثور[٢] = (ملفوظ إنجازي)

٥-٤ أفعال الكلام تصنيفاً وتعريفاً:

إذا كان الكلام يؤدي فعلاً، فيُفترض ألايكون نمط هذا الفعل واحداً، وألا تكون هذه الأفعال قليلة، فهناك آلاف الأفعال الإنجازية في كل لسان، ولمَّا كانت الأفعال الإنجازية كثيرة جداً بحيث يصعب حصرها، فقد قدَّم أوستين تصنيفاً لها، ليعقبه تصنيف تصحيحي لسيرل، والواقع أنَّ هذه التصنيفات لم تتوقف عندهما، بل إنَّها تطورت مع مساهمات أخرى بشكل كبير، ومن أبرزها تصنيفات "ليتش" و "باخ وهارنيش" و "هابرماس"، غير أنَّنا سنقتصر في هذه الدراسة على ما قدَّمه كل من "أوستين" و "سيرل".

٥-٤-١ تصنيف أوستين: قدَّم أوستين تصنيفاً من الأفعال الكلامية على أساس من قوا الإنجازية (Illocutionary Force)، يشتمل على خمسة أصناف، ولم يتردد في القول بأنَّه غير راضٍ عنها:

١-القراريات (Verdictives): تتعلق بالأفعال ذات الصبغة القضائية: الإدانة، التبرئة، إصدار المراسيم ... إلخ.

٢- التنفيذيات (Exercitive): تتمثل في اتخاذ قرار بعينه وتشمل أفعالاً محمَّلة بقرارات في كيفية التصرف: الأوامر، النصائح، الطلب، التوصية، الصفح، الطرد، الحرمان ... إلخ.

٣- الوعديات (Commissives): تتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء: الوعد، التعهد، الاعتراف، الضمان، القسم، التعاقد، الإقرار، إعلان الرغبة ... إلخ[٣].

---

(١) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٧٢.

(٢) (⊥) يرمز إلى المحتوى القضوي في هذه الدراسة.

(٣) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام ١٧٤-١٨٤-بتصرف-.

نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٤٦.

عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٥٩-٦٠.

٤- السلوكيات (Behabitives): وهي التي تكون ردَّ فعل لحدث ما، وتضم الأفعال التي تتضمن موقفًا يُتَّخذ في مقام معين: الاستحسان، التأييد، الاعتذار، التوبيخ، التهنئة، الشكر، الرثاء، المواساة، التحدِّي ... إلخ.

٥- الإيضاحيات (Excpositives): تستخدم لبيان وجهة النظر أو الإيضاح أو بيان الرأي، وتتضمن الأفعال التي ترجم طريقة ما لعرض الأشياء التي تتحدث عنها: الاستشهاد، الاعتراض، الوصف، التنويه، النفي، الإنكار، التشكيك، الموافقة، التصويب، التخطئة ... إلخ.

٥-٤-٢ تصنيف سيرل[1]: أعاد سيرل النظر في تصنيف أوستين فلم يسلم منه إلا أفعال الوعد أو الالتزاميات (commissives)، وصنَّفها أيضًا إلى خمسة أصناف:

١- الإثباتيات (Assertives): هي الأفعال التي تلزم المتكلم بصدق القضية المعبرَّ عنها، وتعده مسؤولاً، وأفعال هذا الصنف كلَّها تحتمل الصدق والكذب، ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح لدى أوستين وكثيرًا من أفعال القرار، وأفعال الوصف والاستنتاج.

٢- التوجيهيات (Directives): تتمثل في محاولة المتكلم توجيه المخاطب لفعل شيء ما، ومن أمثلتها: أفعال الطلب، الاستفهام، الأمر، النهي، الرجاء ، الاستعطاف، التشجيع، الإذن، الدعوى، النصح، وكثير من أفعال التنفيذ لدى أوستين تدخل في هذا التصنيف.

٣- الالتزاميات (Commissives): تتمثل في التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، ومن أمثلتها: أفعال الوعد، الوعيد، العرض، على أنَّ كثيرًا مما عدَّه أوستين من هذا الصنف لا يدخل فيه على الإطلاق.

٤- التعبيريات (Expressives): تتمثل في تعبير المتكلم عن الموقف النفسي، ومن أمثلتها: الشكر، التهنئة، الاعتذار، التعزية، الترحيب.

٥- الإعلانيات (Declaratives): هي الأحداث التصريحيَّة التي تُحدث تغييرات فورية في نمط الأحداث العرفية التي غالبًا ما تعتمد طقوسًا اجتماعية، ومن أمثلتها: إعلان الحرب، الطلاق، الزواج، البيع، الطرد، وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال غيرها أنَّا تُحدث تغييرًا في الوضع القائم.

---

(١) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع ٢١٧-٢٢٠.

نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٧٨-٨٠.

عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٦٠-٦١.

٥-٥ قوة الفعل الإنجازي (Illocutionary force):

تُعدُّ قوة الفعل الإنجازي الأكثر مناقشة في هذه النظرية، فعند إطلاق مصطلح الفعل الكلامي (speech act) فإنَّ تفسيره عادة وعلى مدى ضيق يعني قوة الفعل الإنجازي (illocutionary force) فقط[١]، وإذا كانت نظرية الأفعال الكلامية مع أوستين يمكن اختزالها في الفعل الإنجازي، فإنَّ جوهر نظرية الأفعال الكلامية عند سيرل يمكن اختزاله في القوة الإنجازية[٢].

وهذه القوة هي المحدد لوظيفة الاستعمال أهي إثبات، أم تحذير، أم التماس، وما يتعلق بها من كيفيات، وما نسند إليها من معنى، كما أنَّ القوة الإنجازية تختلف درجة قوة، وتتعلق باستعمال الملفوظ في مقام معين عند التخاطب الفعلي، فالقوة الإنجازية لدى أوستين تحدد مقامياً[٣]، وثمَّة فرق بين القوة الإنجازية والفعل التأثيري، على اعتبار أنَّ الأولى عائدة للمتكلم، وأمَّا الثاني فإنَّه يعود للمتلقي[٤]، مثال:

لـ (ب) يطلب من (أ) أن يحمل القارورة ليضعها في الثلاجة.

(أ) يستجيب لـ (ب) يحملها ثمَّ يُسقطها على الأرض فتنكسر!

(ب) يقول: ما الذي فعلتَه؟

إذا أردنا تحليل ملفوظ (ب) وفق القوة الإنجازية يكون بالشكل التالي:

ب$\prod$ = أُنكر عليك هذا الفعل. بΔ = التوبيخ[٥].

٥-٥-١ الفعل الإنجازي المباشر وغير المباشر: إنَّ أبسط توضيح لمفهومهما أن نقول: **قد نجد أنفسنا في بعض الأحيان نعبر عن قوة إنجازية مباشراً، وإذا اختلفا كان الفعل الإنجازي غير مباشر**[٦]، وهذا بطبيعة الحال يقودنا إلى "الاستلزام الحواري" الذي درسه سيرل بعد جرايس ضمن نظرية أفعال الكلام، فوصف الملفوظ الصريح بالفعل الإنجازي المباشر، والاستلزام الحواري بالفعل الإنجازي غير المباشر.

---

(1) Yule. George, Pragmatics, p49.

(٢) انظر المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية ٥١-٥٢.

(٣) المرجع السابق ٤٢ -بتصرف-.

(٤) انظر بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ٦٠.

(٥) (Δ) يرمز إلى القوة الإنجازية في هذه الدراسة.

(٦) المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية ١٢.

يناثلا لثحبملا:

ةجاحلا .. .. نيناثلا

١- جاجحلا موهفم (Argumentation).

٢- جاجحلا يفرضملا وهاظلا (Argumentative Implication).

٣- تيجاجحلا ميلاسلا (Argumentative scales).

٤- تيجاجحلا لماوعلا طابرلا (Argumentative connections and operators).

٥- ةكرشملا ةماعلا ئدابملا (Guarantor or Support).

٦- لاتيجاجحلا تايجيتارتسا (Argumentative Strategies).

١ - مو ههفمجاجحدا (Argumentation).

١-١ م اء خدم:

وطسر أن .مً ا . . باج لجلتا . ظ ن تلدعة ت (ة يكيلا لا ة باطخا) إلى زمننا الحاضر، غير أنَّ الحجاج بعد أن كان يحمل بعداً منطقياً محضاً تمثَّل في أعمال البرهنة، بدت في منتصف و أواخر القرن العشرين تظهر له نظريات تربطه باللسانيات التي تعتمد الفلسفة التحليلية (التداولية) أو تلك التي تمثل أعمال الخطابة (البلاغة) الجديدة، وبالطبع فهذان التوجهان هما ما يتسق والدراسات اللسانية؛ ولذا آثر الباحث أن ينطلق منهما، و مع تباين بعضوجهات نظر كلٍّ منهما إلا أما يتفقان علىقيامهما كنتيجة لإخفاقات المقاربات الصورية الصارمة[١] كاللسانيات البنيوية وما حذا حذوها، ولا أزعم أني في هذه الدراسة قد أتيت على جميع القضايا المطروحةغير أنيِّ ركَّزت علىأهمِّ مفاهيمها محاولاً الولوج إلى الحجاج من منظور لساني تمثل في جانبين، الأول: تحديد الملامح اللسانية في نظرية "البلاغة الجديدة" لكلٍّ من برلمان وتيتيكا (Perelman&Tyteca)، والثاني: ربط نظرية الحجاج مع بقية النظريات التداولية، على اعتبار أنَّ نظرية الحجاج تُعدُّ امتداداً لنظرية الأفعال الكلامية، بحسب كلٍّ من ديكرو و أنسكومبر (Ducrot&Anscombre) في نظرية التداولية المندمجة (Integrated pragmatic).

وربما كان ملحوظاً هذا التداخل في مقاربة التواصل والحجاج، وقد يكون سببهعائداً لمنطلق الفكر المركب والتعدد المنهجي الذي يُعدُّ نسيجاً من مكونات غير متجانسة ومرتبطة بطريقة غير منفصلة، بعيداً عن التصور التبسيطي الذي لا يرى إلا الواحد أو المتعددكلاً مستقلاً [٢].

ولهذا كان من نتائج هذا التصور ظهور "المنطقيات غير الصورية" أو "التداوليات المنطقية" المرتبطة بالنظرة الحجاجية القائمة على اعتبار الحجاج فعالية يسعى من خلالها المتحاجُّون إلى تعليل نتيجة ما[٣].

وبصورة عامَّة وما دمنا ننطلق من الفلسفة التحليلية وبالتالي فلسفة اللغة الطبيعية، فإننا إذن أمام الحجاج الطبيعي الذي نخصُّ منهحدا.جَدر .. بطجا **آليات لغوية محضة، وهو ما يشكل نظرية الحجاج في اللغة، فالحجاج هنا ظاهرة لغوية نجدها في كلِّ قول وفي كل خطابسواءً أكان**

---

(١) انظر الرضي، رشيد، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لديكرو وأنسكومبر ١٩٣، مجلة عالم المعرفة (عدد خاص عن الحجاج)، العدد الثاني المد (٤٠).

(٢) انظر عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نتغير ١٠-١١.

(٣) الباهي، حسان، العلم والبناء الحجاجي، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ١٩٥/١.

الخطاب فلسفيًا أو أدبيًا أو لاهوتيًا أو اقتصاديًا أو سياسيًا، فهو ما نجده في الأسماء والأفعال والصفات والظروف والحروف، ونجده في التراكيب النحوية والصور البلاغية، نجده باختصار في كل ظواهر اللغة بشكل أو بآخر(١).

ولما كان المنطلق في الحجاج لسانيًا، والنظر فيه وفي نتائجه يتجلى في اللغة، كان لابد من أن نُفرِّق بينه وبين "البرهنة" (Demonstration) المنطقية الخالصة:

١- تعتمد البرهنة على اللغة الصورية الاصطناعية، وأمَّا الحجاج فيعتمد ويتأسس على اللغة الطبيعية التي تتميز بالالتباس والغموض وتقبل التأويل؛ لأنَّها متعددة المعاني(٢).

٢- الحجاج شديد الصلة بالخطاب والحوار والجدل، ومن ثم فليست غايته الحكم بالصدق أو الكذب ولا البرهنة القطعية الصارمة، بل إنَّ غايته هي الإفحام والإقناع والتأثير في المتلقي، بغض النظر عن صحة الحجة أو صدقها، عكس البرهان الذي قد يكون سليمًا ولكن المتلقي لا يقتنع به ولا يدفعه إلى العمل بمقتضاه(٣).

إذا كانت البرهنة تعمل على بناء الفكرة لتتخذ منها محورًا ومنطلقًا، فإنَّ الحِجَاج يعمل على بناء المنطوق (الملفوظ) ليجعل منه محورًا ومنطلقًا، وهذا لا يعني عزل الفكرة عن المنطوق أو المنطوق عن الفكرة، ولكن يمكن القول إنَّ الأول يُعدُّ استدلالاً منطقيًا عكس الثاني الذي يُعدُّ استدلالاً لغويًا، مع تعالق بعضهما ببعض واستفادة كلٍّ منهما من الآخر.

١-٢ البلاغة الجديدة:

تعود نظرية البلاغة الجديدة إلى برلمان وتيتيكا (Perelman&Tyteca) سنة ١٩٥٨م، اللذين عملا على إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل الذي ظلَّ لفترات طويلة في القديم مرادفًا للمنطق نفسه، ومن ناحية أخرى، عمل الباحثان على تخليصه من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب، فالحجاج عندهما معقولية وحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين

(١) العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج ٣٧، بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، ط١، ٢٠١٠م.

(٢) الشهري، عبدالهادي، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية ٢٠٦.

(٣) انظر الرقبي، رضوان، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ٨٢، مجلة عالم المعرفة (عدد خاص عن الحجاج) ، العدد الثاني للد (٤٠).

الأطراف المتحاورة، وبعيداً عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة، وبعيداً عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل، ومعنى ذلك أنَّ الحجاج عكس العنف بكل مظاهره[1].

وغاية كلٍّ حجاج لدى الباحثين تكمن في جعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة الإذعان والحجاج لديهما يطلق على العلم وموضوعه، أي على النظرية وعلى المحاجَّة[2]، وأنَّ الإذعان يكون بواسطة الاقتناع الذي يرمي إلى أن يسلِّم به كل ذي عقل فهو عام، وهو أساس الحجاج، وأمَّا الإقناع فهو يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص، وبالتالي فهو ضيق لا يُعتدُّ به في الحجاج[3].

كما أنّما يريان عدم الفصل بين الشكل والمضمون، وأنَّ ما ينشأ في الخطاب من تناغم وإيقاع وغير ذلك من الظواهر الشكلية المحضة يمكن أن يكون له تأثير حجاجي (...) على أنَّ هذه الظواهر الحجاجية ليست ذات وظيفة حجاجية مباشرة ولهذا أهملا دراستها[4]. في الوقت الذي جعلا أهميةً لعنصرين، هما: القصد الذي يحسم في مجال التخاطب، والمقام الذي يقدِّم له (برلمان) تصورين، فتارة يعتبره الإطار المحدد للخطاب المستوعب لكل محتويات العملية الإبداعية، وتارة أخرى يعتبره تلك المقدمات ذات النظام العام التي تساعد المبدعين في بناء الحجج وترتيب القيم[5].

وبناءً على ذلك، تكون نظرية البلاغة الجديدة لبرلمان وتيتيكا من النظريات التي تؤمن بثلاثية العلامة اللغوية، -و بالتحديد- دور المرجع الخارجي (المقام-القصد) في تحديد أطر الحجاج، ويتضح ذلك من خلال الشكل (٢-١-١):

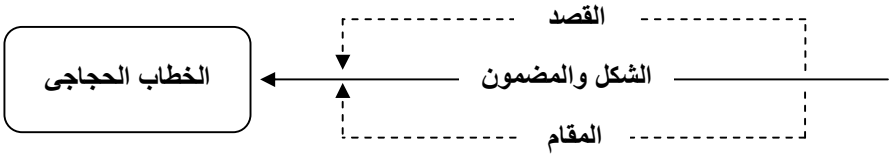

الشكل (٢-١-١)

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ١١-١٢، تونس: مسكيلياني للنشر، ط١، ٢٠١١م.

(٢) المرجع السابق ١٣.

(٣) المرجع السابق ١٥.

(٤) صولة، عبدالله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة برلمان وتيتيكا، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ٣١٧.

(٥) انظر الرقبي، رضوان، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ٨٤، مجلة عالم المعرفة (عدد خاص عن الحجاج) ، العدد الثاني للد (٤٠).

١-٢-١الموجِّهات الحجاجية[١]:

حصر الباحثان (برلمان وتيتيكا)الموجِّهات بالمعنى اللساني في أربعة، هي:

١- التوجيه الإثباتي:من شأنه أن يُستخدم في أيِّ حجاج.

٢- التوجيه الإلزامي: وصيغته اللغوية هي الأمر، لكن ليس لهذا النوع قوة إقناعية.

٣- التوجيه الاستفهامي:يفترض سؤالاً يوحي بحصول إجماع على وجود شيء.

٤- التوجيه بالتمني:مداره على الصيغ المفيدة تمنيًا، وتفيد الاعتماد على فكرة ما.

وتكمن ملامح الحجاج لديهما في خمسة أمور[٢]:

١-يتوجَّه إلى مستمع.

٢-مسلَّماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

٣-يعبرَّ عنه بلغة طبيعية.

٤- لا يفتقر تقدُّمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

٥- ليست نتائجه ملزمة.

ولعل أبرز اختلاف بين الباحثَين و نظرية ديكرو وأنسكومبر يكمن في طبيعة "القول" وعلاقته بالحجاج، فالقول لدىالباحثَين يرمي إلى تغيير موقف أو شيءموجود، لكن ليس كل قول حجاجًا أو ذا اتجاه حجاجي، على العكس من ديكرو وأنسكومبر اللذين يريان أنَّ كل قول حجاج، بمعنى تعميم الحجاج على كلِّ قول، بحيث يمثل المعادلة التالية: كل قول = حجاج[٣].

في حين ينتقد عبدالله صولة النظرة القائلة بأنَّ كل قول حجاج، فيقول[٤]:"الرأي عندنا أنَّه (...) ما كلُّ قول بحجاج، وليست اللغة بكلِّ وحدا المعجمية ذات طاقة حجاجية في ذاا، وفوق هذا وذاك فإنَّ لطبيعة النص دورًا أساسيًا في إكساب لغته بُعدًا حجاجيًا أو عدم إكسابا إيَّاه".

(١) صولة، عبدالله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة برلمان وتيتيكا، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ٣٢١.

(٢) العمري، محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ٢٢٠، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ب.ط، ٢٠٠٥م.

(٣) بنور، عبدالرزاق، الأطر الإيديولوجية لبعض نظريات الحجاج، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ٣١٢/٢.

(٤) صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن ٤٠.

١-٣ التداولية المندمجة:

يُعدُّ ما قدَّمه كلٌ من ديكرو وأنسكومبر (Ducrot&Anscombre) امتداداً لنظرية أفعال الكلام لدى أوستين وسيرل[١] ونظرا للتلفظ لدى بينفينست، فهما يريان أنَّ كثيراً من أفعال القول لها وظيفة دلالية، عندما تهدف إلى توجيه المتلقي، إمَّا بفعل شيء ما وإمَّا بتركه، ولذا فإنما يطلقان على الحجاج الخطابي "الحجاج داخل اللغة" بمعنى أنَّ الأمر يتعلق بحجاج يمكن تسميته بمنطق الكلام[٢].

غير أنَّما لا يريان الحِجَاج عنصراً خارجاً عن اللغة أو يضاف إليها[٣] بمعنى أنَّه ليس مقامياً، فهما ينطلقان في هذه النظرية من ثنائية العلامة، ويتخذان من نظرية شكل المقلاع (Y) كما في الشكل (٢-١-١) مرجعاً لتفسير نظريتهما[٤] ، فكأنا محاولة لتقريب تداوليتهما المندمجة من لسانيات اللسان النابعة من الفلسفة الصورية، وهي وإن كانت في حقيقتها نابعة من فلسفة اللغة التحليلية وبالأخص فلسفة اللغة الطبيعية التي تعتمد ثلاثية العلامة، إلا أنما عَمِلا على مقاربتها مع اللسانيات الصورية (البنيوية والتوليدية) ثنائية العلامة أو النظريات الخطيَّة[٥]، وهذا يعني أنَّا **"نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم"**[٦].

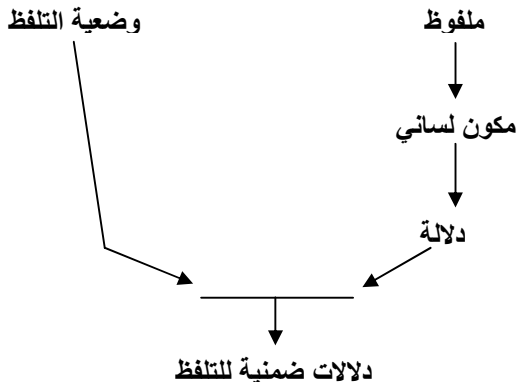

الشكل (٢-١-٢)

(1) See Ducrot, O, Slovenian lectures introduction into argumentative Semantics p29.

(٢) الرقبي، رضوان، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ٨٥، مجلة عالم المعرفة (عدد خاص عن الحجاج) ، العدد الثاني المد (٤٠).

(٣) المرجع السابق والصفحة.

(٤) الحباشة، صابر، مغامرات المعنى من النحو إلى التداولية ٤٩.

(٥) انظر عمر، أحمد مختار، علم الدلالة ٥٤-٥٦.

(٦) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٢٩.

وعلى الرغم من الانتقادات التي طالت التداولية المندمجة في هذا النمط من التداخل بين الصورية والاستعمالية الطبيعية،إلا أنَّ ديكرو قد وجد حلاً لمعضلة إقصاء العلامة الثالثة من نظريته (المتمثلة في المرجع الخارجي المقامي) في نظرية تعدد الأصوات.

و تعود نظرية تعدد الأصوات (Theory of Polyphony) إلى ديكرو، وهي نظرية ترى أنَّ الملفوظات لا تؤديها ذات مفردة فقط، بل مجموعة ذوات أو مجموعة أصوات، فهناك ذات خارجية وذات متكلمة، كما أنّا تمثل تعدد وجهات النظر، فهناك (الأنا) و (الأنت) و(الهو) الذي يمثل المرجع الخارجي، فالمتكلم وبمجرد تلفظه يكون قدتحوَّل إلى ذاتين متكلمتين من (الأنا) و (الأنت)، والمستمع بدوره يمثل ذواتاً متعددة، وكأنَّ الذات متقمصة ذاتين[1].

و يرى ديكروأيضاً أنَّ الحجاج جزء في نظام اللغة نفسها،و في الجانب الأكثر لغوية من البنية الكلامية [2]، وهذا يعني أنَّ التداولية المندمجة نظرية دلالية تدمج مظاهر التلفظ في اللسان، وليست مظاهر التلفظ في بعض وجوهها سوى عوامل حجاجية تندرج في الأقوال فتكيِّف تأويلها وفق غاية المتكلم، غير أنَّ ديكرو يفرِّق بين معنيين للحجاج:

١- الحجاج بالمعنى العادي: ويعني طريقة عرض الحجج وتقديمها بغرض التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعاً وفاعلاً، غير أنّه ليس معياراً كافياً؛ إذ إنّه لا يراعي السامع أو المتلقي، ونجاح الحجاج يكمن في مدى مراعاته لظروف السامع.

٢- الحجاج بالمعنى الفني: وهو يدلُّ على صنف مخصوص من العلاقات المودَعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية في هذه العلاقات تتمثل في السُّلَّمية وقابليتها للقياس بالدرجات[3].

والتداولية المندمجة لا تعطي أهميَّة كبيرة للوظيفة الإخبارية في اللغة بقدر اهتمامها بالوظيفة الحجاجية، ويُقدِّم ديكرو مثالين للتفريق بينهما، من خلال محتوى قضوي واحد، حيث القيمة الإخبارية لا تتأثر في كلا المثالين، عدا أنَّ القيمة الحجاجية تتأثر وبوضوح:

(أ) إنّا الثامنة.

(ب) إنّا الثامنة فقط.

---

(1) See Ducrot, O, Slovenian lectures introduction into argumentative Semantics pp 29,47.

(2) Ibid p60.

(٣) الحباشة، صابر، مغامرات المعنى من النحو إلى التداولية ٢١.

ففي الملفوظ (أ) يمكن للمرء أن يتصور أنَّ قائله يعني فعلاً "زال الوقت مبكراً"، إلا أنَّه يمكن للمرء أيضاً أن يتصور أنَّ قائلها يعني: "عجِّل، لقد تأخرنا"، لكن، لاحظ ما يعنيه الملفوظ (ب)، إنَّه من المستحيل أن يتصور مَن سمعه أن يكون قائلها قد عنى التأخير؛ حيث إنَّها ستبدو ملفوظاً لاحناً تداولياً، ذلك أنَّ مَن يسمعه سيفهم من المتكلم مباشرة أنَّ الوقت مازال مبكراً، فالقيمة الحجاجية مختلفة للغاية بين الملفوظين (أ) و(ب)، أمَّا القيمة الإخبارية فمتساوية ولا تحدث تأثيراً[1].

وإذا كانت نظرية أفعال الكلام لدى أوستين وسيرل قد عنيت بالفعل الكلامي البسيط، فإنَّ كلاً من فان إيمرين (Van Emeren) و جروتندورست (Grootendorst) قد قاما بتوسيع نظرية أفعال الكلام لتشمل الفعل الكلامي المركب، وهو ما سمح لهما بإدراج الحجاج ضمن أفعال الكلام المركَّبة، ومعنى ذلك أنَّ الحجاج فعل إنجازي[2] مكوَّن من أفعال [إنجازية] وموجَّهة[2]، وبحكم انتماء كلٍّ من ديكرو وأنسكومبر إلى اللسانيات التداولية، فقد أضافا هذا الفعل إلى الأفعال الكلامية، وسمَّياه فعل الحجاج[3].

وبناءً على ما تقدَّم يمكن أن نحدِّد منطلقات ديكرو وأنسكومبر الحجاجية في أربعة نقاط:

١- يقوم الحجاج على فكرة دمج التداولية في الدلالة، وأنَّه مسجَّل في نظام اللغة نفسها.

٢- أنَّ الحجاج ليس عنصراً من خارج اللغة، ووظيفته تكمن في التأثير على المتلقي.

٣-أنَّ الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة الحجاجية، أمَّا الإخبارية فلا تعدو أكثر من أن تكون ثانوية.

٤- يُعدُّ الحجاج امتداداً لنظرية الأفعال الكلامية من خلال فعل الحجاج (الكلامي المركب).

وكما هو ملاحظ فإنَّ هذه المقاربة متداخلة بشكل كبير، وتحاول الجمع بين عديد من المفاهيم، بل إنَّ منها ما استعصى على ديكرو نفسه[4]، ما دعاه إلى الاستمرار في تذييها وتنقيحها والإضافة إليها، وربما حاول العمل مع عدة أطراف لتكتمل ملامح مقاربته بشكل جلي.

---

(1) Ducrot, O, Slovenian lectures introduction into argumentative Semantics p55.

(٢) عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ٢٦٢.

يطلق المؤلف مصطلح "الفعل التكلمي" على ما اعتمد اصطلاحه في هذه الدراسة بـ "الفعل الإنجازي".

(٣) العوادي، سعيد، تلقي الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة عبدالله صولة أنموذجاً، ضمن كتاب: الحجاج والاستدلال الحجاجي ٢٧٢.

(٤) أقرَّ ديكرو بصعوبة ما يقوم به وأنّه يسير على غير هدى، وأنَّه أخطأ حين اعتقد بأنَّه بصدد بيان كيفية تحقق الحجاج (انظر) الرضي، رشيد، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو ٢٢٣، مجلة عالم المعرفة (عدد خاص عن الحجاج) ، العدد الثاني المد (٤٠).

١ - ٤ تعريف الحجاج:

١ - ٤ - ١ الحجاج لغة:

الْحَاءُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُعَادَّةِ الطَّرِيقِ قَالَ:

أَلَا بَلِّغَا عَنِّي حُرَيْثًا رِسَالَةً فَإِيَّاكَ عَنْ قَصْدِ الْمَحَجَّةِ أَنْكَبُ

ويمكن أن يكون الحجَّةُ مشتقة من قَصْدُ، أو ما يُقْصَدُ الحقُّ المطلوب. يُقال حَاجَجْتُ فلانا فحَجَجْتُهُ أي غَلَبْتُهُ بالحُجَّة، وذلك الظَّفَرُ يكون عند الخُصومَة والجُمْجَ، والمصدر الحِجَاجُ.

ويُقال أنا لا أُحَجُّ في كذا، أي لا أُشَقُّ بقولهم: حَجَّةٌ ولا لَجَّةٌ[1].

وفي اللسان: من أمثال العرب: معناه لجَّ فغَلَبَ من لاجَّه. ويُقال حَجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه أي غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها.

والحُجَّةُ: ما دُفِعَ به الخصم؛ وقال الأزهري: الوَجْهُ الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة. ومَحَجُّ اللجاج أي جَدِلٌ. التهذيب: والحُجَّاجُ: جَمْعُ الحُجَّةِ. وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نازَعَه الحُجَّةَ. يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَه على حُجَّتِه.

والحُجَّةُ: الدليل، والبرهان، وقيل: الحُجَّةُ ما دُوفِعَ به فأنا مُحاجٌّ وحَجِيجٌ فَعِيل بمعنى فَاعِل[2].

بناءً على ما تقدم يكون الحجاج مصدراً لـ حُجَّة ويكون معناه في اللغة واقعاً بين المعاني التالية: الحق المطلوب، الغَلَبة، الخصام، التشكيك، البرهان، الجدل، الظَّفَر، التنازع، الدليل.

وجميع هذه المعاني تدخل الحجاج في وجه ما، فهو طلب للحق ودليل إذا ما اعتبر وسيلة للفوز وتحقيق المطلوب كما أنَّه غَلَبَة إذا ما انتهى بالإفحام، وخصام وجدل وتنازع وفقاً لطبيعة المواجهة به، وتشكيك إذا ما أخذنا بعين الاعتبار توظيف تقنيات واستراتيجيات الحجاج وبرهان إذا ما أحدث إقناعاً أو تأثيراً.

---

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة ٢/٣٠-٣١.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب ٢/٢٢٨.

١ - الحجاج اصطلاحًا:

ليس الحجاج ببعيدٍ عن أثر تنوع المشارب التي حظيت بها التداولية، فالحجاج هو الآخر يحمل عدَّة تعريفات ينطلق فيها كلٌّ تعريف من الاتجاه الذي أخذت النظرية عنه، وهنا سيحاول الباحث أن يوضح تعريف الحجاج وفق المقاربتين اللسانيتين المطبَّقتين في هذه الدراسة (البلاغة الجديدة) و (التداولية المندمجة) وهذا بالطبع لا يعني أنَّ الدراسات الحجاجية اللسانية منحصرة فيهما، بل إنَّ ثمَّة مقاربات أخرى كثيرة تناولت الحجاج من منظور لساني، غير أنَّ الباحث آثر وهدف تحديد وتقنين أبعاد الدراسة الاقتصار على أبرز المفاهيم التي جاءت في هاتين المقاربتين.

يعرِّف كلٌّ من برلمان وتيتيكا الحجاج بأنَّه: درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدِّي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم[١].

وأمَّا تعريفه لدى ديكرو وأنسكومبر، فهو: ذلك التيار التداولي الذي يرفض التصور القائم على الفصل بين الدلالة وموضوعها معنى الجملة، والتداولية وموضوعها استعمال الجملة في المقام من جهة، والسعي إلى سبر كل ما له صلة داخل بنية اللغة بالاستعمال البلاغي المحتمل من جهة أخرى، فيكون مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة[٢]، إنما بذلك يدرسان الخطاب من ناحية الفعل الحجاجي باعتبار أنَّ المكون التداولي مدمج في اللغة نفسها وليس خارجًا عنها؛ إذ العلاقة بين الملفوظ ومتلفظه تقوم على الحجاج وليس الاستنباط فالحجاج يكون بتقديم المتكلم قولاً (ق١) أو (مجموعة أقوال) تفضي إلى التسليم بقول آخر (ق٢) أو (مجموعة أقوال أخرى).

إذن، فكلا التعريفين يحمل وجهة نظر لسانية، عدا أنَّ الأول ينطلق من بنى شكلية أو منطقية، وبالتالي فإنَّ غايته هي "الإقناع"، وأمَّا في الثاني فإنَّ الحجاج كامن في اللغة ذاتها، لا فيما ينطوي عليه الخطاب من بُنى منطقية أو شكلية ومعنى ذلك أنَّ المؤشر الحجاجي موجودٌ في كلِّ معنى حرفي حملي يستدعي مضمر السياق للإيحاء بنتيجة ما مقنعة أو غير مقنعة وبالتالي فإنَّ غايته "التأثير"؛ إذ الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معيَّنة، عبر إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب من خلال إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج[٣].

---

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ١٣.

(٢) المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ٣٥١.

(٣) بوقرة، نعمان، القيمة الحجاجية في النص الإشهاري، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ٢٧٩/٤-بتصرف-.

٢ - الظاهر والمضمر في الحجاج:

الحجاج مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها، واشتغالها داخل الخطاب، ففي المثال التالي:

-أنا متعب ، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

نجد المثال السابق يتكون من حجَّة ونتيجة، والحجَّة يتم تقديمها لتؤدي نتيجة معينة، التعب يستدعي الراحة، فالتعب دليل وحجَّة على أنَّ الشخص المعني بالأمر بحاجة إلى أن يرتاح.

إنَّ الحجة عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر [وبالتالي فعل كلامي مرتبط بفعل كلامي آخر، فيكون فعلاً كلامياً مركباً] والحجَّة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص أو قد تكون مشهداً طبيعياً أو سلوكاً غير تلفظي.

والحجَّة تكون ظاهرة كما تكون مضمرةً بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة إلى النتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما، ويمكن بيان ذلك من خلال الأمثلة التالية:

-أنا متعب ، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

(تمَّ التصريح بالحجَّة والرابط والنتيجة في هذا الملفوظ).

-أنا متعب ، أنا بحاجة إلى الراحة. (أُضمر الرابط في المثال السابق).

-أنا متعب . (لم يصرَّح هنا إلا بالحجَّة وأُضمرت النتيجة التي يتم استنتاجها من السياق).

- أنا بحاجة إلى الراحة. (ذكرت النتيجة وأُضمرت الحجَّة)[1].

إذن يمكن توضيح العلاقة الحجاجية فيما تقدَّم وفق الشكل (٢-٢-١)، فـ (ح) تمثل الحجة، و(∑ن) تمثل النتيجة، و (€) تمثل الرابط الحجاجي:

ح ——— € ——— ∑ن

الشكل (٢-٢-١)

اتزكنرمت، أحمد، الحجاج في المناظرة، ضمن كتاب: الحجاج والاستدلال الحجاجي ١٥٢-بتصرف-.

الميساوي، خليفة، قراءة القرطاجي في ضوء نظريات تحليل الخطاب الحديثة ٦ .

(١) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٣٢-٣٣ -بتصرف-.

٣- السلالم الحجاجية (Argumentative scales).

تدخل السلالم الحجاجية فيما أطلق عليه ديكرو "الحجاج بالمعنى الفني"، وهو مختص بالعلاقة الحجاجية، سواءً أحددت هذه العلاقة لسانياً أم تداولياً[١].

فالسُّلَّم الحجاجي عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة تراتبية، ولها شرطان:

١- كل قول يقع في مرتبة ما من السلَّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن الأقوال في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

كلُّ قول كان في السُّلَّم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبةً دليلاً أقوى عليه.

ويتبينَّ هذا في (الشكل ٢-٣-١):

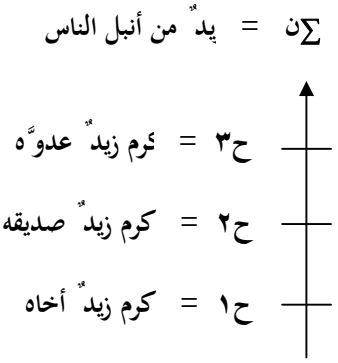

(الشكل ٢-٣-١)

حيث (ح١) و (ح٢) و (ح٣) رمز إلى الحُجج، و (∑ن) إلى النتيجة.

فحينئذ الملفوظ (ح٣) يلزم عنه الملفوظ (ح٢) الذي يلزم عنه بدوره الملفوظ (ح١)، كما أنَّ (ح٣) أقوى إثباتاً للنتيجة (∑ن) من الملفوظ (ح٢) الذي هو بدوره أقوى إثباتاً لهذه النتيجة من (ح١)[٢].

---

(١) الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص ٢١.

(2) See Ducrot, O, Slovenian lectures introduction into argumentative Semantics p76.

عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ٢٧٧-بتصرف-.

كما يشير ديكرو إلى نمط آخر من السلالم يُعرف بالنتيجة (لا-ن)[1] التي يؤدي فيها الرابطان (بل) و (لكن) وغيرهما دوراً في تغيير اتجاه النتيجة، من خلال علاقة حجاجية ثانية تسير في اتجاه النتيجة المضادة، وهي نتيجة مضمرة غير صريحة[2]، ويمكن التمثيل لها بـ (الشكل ٢-٣-٢):

الشكل (٢-٣-٢)

فمثلاً، لو سُئل قائدٌ عسكريٌ عن مدى مقدرة "زيد" على المشاركة في القتال، فأجاب: زيدٌ ذكيٌ ومثابرٌ وقويٌ، لكنَّه جبانٌ"، نلاحظ أنَّ الحجج (ذكي، مثابر، قوي) جميعها تقود لنتيجة (∑ن) زيدٌ مؤهل للمشاركة في القتال، غير أنَّه وبعد دخول (€ لكن) ثمَّ دخول حجَّة أخرى (ح) هي: "جبان" تغيرت النتيجة من خلال العلاقة الحجاجية في اتجاه النتيجة المضادة (لا-ن) زيدٌ غير مؤهلٍ للمشاركة في القتال.

وللسلَّم الحجاجي ثلاثة قوانين يمكن إجملها فيما يلي[3]:

١- قانون الخفض: إذا صدق الملفوظ في مراتب معينة من السلَّم، فإنَّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

فعند القول: الجو ليس بارداً"، فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أنَّ البرد قارس، والتأويل المقبول تداولياً هنا إذا لم يكن الجو بارداً، فهو دافئ أو حار.

٢- قانون تبديل السلم: إذا كان الملفوظ حجَّة على نتيجة، فإنَّ نقيض هذه الحجَّة نقيض نتيجتها.

و المثال التالي يوضح هذا القانون:

---

(١) (لا-ن) يرمز إلى النتيجة المضادة.

(٢) العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج ٢٤.

(٣) عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ٢٧٧-٢٧٨-بتصرف-.

عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٣٥.

-زيدٌ مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

-زيدٌ ليس مجتهداً، إنَّه لم ينجح في الامتحان.

٣- قانون القلب: إذا كان أحد الملفوظين أقوى من الآخر في التدليل على النتيجة، فإنَّ نقيض الثاني أقوى في التدليل على نقيض النتيجة.

- حصل زيدٌ على الماجستير و حتى الدكتوراه، (∑ن) = زيد عالم.
- لم يحصل زيدٌ على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير، (∑ن) = زيد ليس بعالم.

٤ - الروابط والعوامل الحجاجية (Argumentative connections and operators).

تتميز التداولية والحجاج موماً في انتمائهما إلى فلسفة اللغة الطبيعية بعدد من الروابط والعوامل التي تؤدي أدوراً حجاجية لا تؤديها الروابط والعوامل النحوية، أو تلك المنتمية إلى اللسانيات الصورية، يقول عبدالسلام عشير[١]: "مضمون الخطاب لا يحدد باعتباره مضموناً ثابتاً، ولكن باعتباره متغيراً، فهذه الروابط تفرض قيوداً دلالية على التأويل التداولي، ويعتبر قيداً ذا طبيعة استدلالية، ومن هنا يحقق الوصف اللساني بينةً دلالية عامة، في حين يقترح الوصف التداولي تأويلات تقترن بطبيعة هذه الروابط (القيود الاستدلالية)".

٤ - ١ الروابط الحجاجية (Argumentative connections):

تعدُّ الروابط علامات تعطي الانطلاقة لمتضمنات القول المتواضع عليها، وهي علامات تتداخل على مستوى الوصف الدلالي للغة الطبيعية[٢].

فالمتكلم يلجأ إلى استعمال [روابط] حجاجية تساعده على بناء خطته الحجاجية وتوجِّه عملية الفهم والتأويل عند المشارك في عملية التخاطب وتجعله يتقيد بما توفره هذه [الروابط] من توجيه أو تعديل أو تغيير في الرأي[٣].

---

(١) عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير ٨٢-٨٣.

(٢) المرجع السابق ٨٢.

(٣) الميساوي، خليفة، الوصائل الحجاجية في المقاربات اللسانية الغربية، ضمن كتاب: الحجاج والاستدلال الحجاجي ٧٧.

يستخدم المؤلف مصطلح "الوصائل" كمقابل للمصطلح الإنجليزي "connections" وأينما ورد هذا المصطلح في هذه الدراسة فإنِّي أستخدم "الروابط"؛ وذلك بهدف توحيد المصطلحات في هذه الدراسة.

وللروابط وظيفتان[١]:

١- الربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر.

٢- تؤدي دوراً حجاجياً للوحدات الدلالية التي تربط بينها.

والروابط وإن بدت أنماطًا كثيرة لا يمكن حصرها هنا، إلا أنَّه يمكن تمييزها وفق التالي[٢]:

(أ) الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأنَّ، الواو).

(ب) الروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، بالتالي).

(ج) الروابط التي تدرج حججاً قوية (حتى، بل، لكن).

(د) روابط التعارض الحجاجي والنتائج المضادة (بل، لكن، مع ذلك).

٤ - ٢ العوامل الحجاجية (Argumentative operators):

تُعدُّ العوامل الحجاجية عنصراً مساعداً لإظهار المنحنى الحجاجي في اللغة وأداة لتحقيق جلِّ وظائفها، هذه الأداة مرتبطة بالخطاب الحجاجي الذي لا يمكن فصله عن الوظيفة التأثيرية الإقناعية[٣].

ومن المهم الإشارة إلى أنَّ العوامل الحجاجية لا تقوم بربط متغيرات حجاجية، أي بين حجة بنتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنَّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما[٤]، وتضم العوامل أدوات كثيرة جداً من قبل: ربما/تقريباً/كثيراً/أولاً/أخيراً/ لو/ لولا/من أجل/ثمَّ/ بعد ذلك/ الواو/ في المقابل/إجمالاً/ مثل/مع أنَّ/ كما/ إضافة إلى/ لذلك/ ما .... إلا .../إنَّما/ في حين أنَّ/أيضاً/ بالرغم/ في الحقيقة/ اللهم إذا/ بشرط أن/ إلا إذا/ في الواقع/ بادئ ذي بدء/والدليل أنَّ.../ بأسلوب ما/ قبل ذلك/ من جهة أخرى/ ... إلخ.

---

(١) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٣٧.

(٢) العزاوي، أبو بكر، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ٦٤/١-٦٥.

(٣) الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ١٦-١٧.

(٤) العزاوي، أبو بكر، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ٦٣/١.

وقد أدرج ديكرو مفهوم العامل الحجاجي سنة ١٩٨٢م، ثمَّ فصَّل فيه القول في مقال نشره سنة ١٩٨٣م[١]،ويحدد كلٌّ من موشلار وريبول ثلاث وظائف للعامل الحجاجي تتمثل في التالي[٢]:

١- ربط الوحدات اللسانية الكبرى أو الوحدات الخطابية.

٢- الكشف عن بنية الوحدات اللسانية وتناسقها (الكلمة، النص).

٣- الكشف عن نتائج الملفوظ التي بدوا لا يمكن الظفر بأي معنى أو غاية من الملفوظ.

فعندما أقول:

(أ) جاء زيد.

لـمتجمٌّع لأصدقاء، وأحدهم ينفي مجيء زيد، فيرد عليه آخر:

(ب) إنّما جاء زيدٌ . (Ω إنّما = الحصر والتأكيد)

نلاحظ أنَّ (أ) ملفوظ تقريري قدَّم قيمة إخبارية (أو إبلاغية)تمثلت في قدوم زيد، ولكنَّ الملفوظ (ب) يحتاج إلى سياق تلفظي لنتمكَّن من تأويله؛ حيث قام العامل فيه بتوجيه الحجاج وحصر إمكاناته، مما أعطى عدولاً كميً ا تمثل في التأكيد والحصر، وذلك بعد دخول العامل الحجاجي (إنَّما)، وبالتالي أضاف الملفوظ (ب) قيمة حجاجية، ومع أنَّ الملفوظين (أ) و (ب) يؤ ديان نتيجة واحدة إلا أما يتباينان من حيث درجة قوة الحجاج (القيمة الحجاجية).

٥- المبادئ العامة المشتركة (Guarantor or Support).

يقصد كلٌ من برلمان و تيتيكا بالمبادئ العامة تلك القضايا التي يكون الانطلاق منها، والتي تمثِّل القضايا المشتركة بين جماعة المتكلمين، ويقسمالا إلى عدَّة أقسام منها: الوقائع، والحقائق، والافتراضات، والقيم ، والهرميات، و المواضع، فهي أشبه ما تكون بالمقدمة الكبرى لدى أرسطو التي تعدُّ بمثابة المسلَّمة العامة التي يتفق عليها الجميع غير أنَّ مبادئ الحجاج ليست مسلَّمة بالمعنى المنطقي الصوري أو الرياضي الصارم ؛ إذ إنَّا قابلة للحضور في سياقات تلفظية متعددة، أو كما وصفها ديكرو بأنَّا ليست عالمية[٣].

---

(١) المرجع السابق ٦٤/١.

(٢) الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ٢٣.

(3) See Ducrot, O, Slovenian lectures introduction into argumentative Semantics pp 65-67.

إنَّ وجود رابط أو عامل حجاجي لا يكفي لسلامة العملية الحجاجية، بل لابد من ضامن يضمن [إقامة العلاقة الصحيحة] بين الحجَّة والنتيجة، هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية(١).

ويضع ديكرو ثلاث خصائص لهذه المبادئ التي يختزلها في "المواضع" تتمثل فيما يلي(٢):

١- أنَّها تتمثل في المعتقدات المشتركة بين مجتمع معين.

٢- أنَّها عامة يمكن أن تقع في عدَّة مواضع تلفظية وتقوم على الاستنتاج.

٣- أنَّها نسبية لا يمكن تعميمها عالمياً.

ولتوضيح دور المبادئ العامة نستحضر التقسيم الذي قدَّمه تولمين (Toulmin)؛ حيث يفرِّع عناصر الحجاج إلى ثلاثة أقسام، يحاكي فيها ما أطلق عليه أرسطو "الشكل القاعدي للحجاج" والذي يتألَّف من مقدمتين، مقدمة كبرى و مقدمة صغرى (الحجَّة)، ونتيجة، فيطلق (تولمين) على المقدمة الصغرى أو الحجَّة "المعطاة" ويطلق على المقدمة الكبرى "الضامن أو السند" ثمَّ النتيجة(٣):

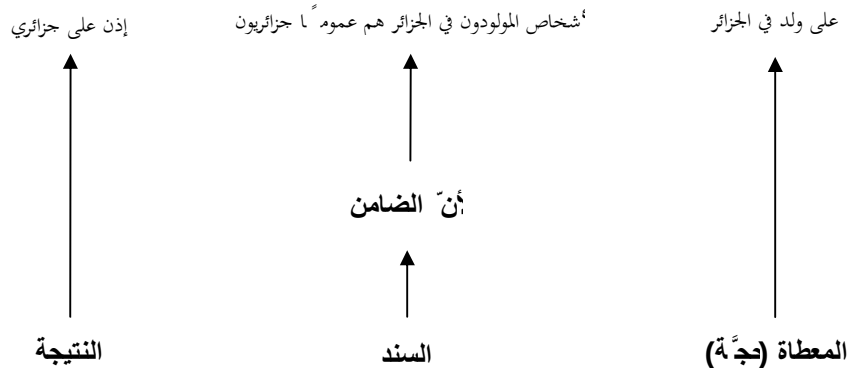

الشكل ٢-٥-١

ويرى قدور عمران أنَّ نموذج تولمين يمكن اعتباره شكلاً نموذجياً يعتبِّر صحيحاً عن عمليات الإسناد والدحض للملفوظات المميِّزة للمقطع الحجاجي النموذجي (انظر الشكل٢-٥-٢)(٤).

---

(١) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٣٨.

(2) See Ducrot, O, Slovenian lectures introduction into argumentative Semantics p 81.

(٣) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٤٠.

(٤) المرجع السابق ٤١.

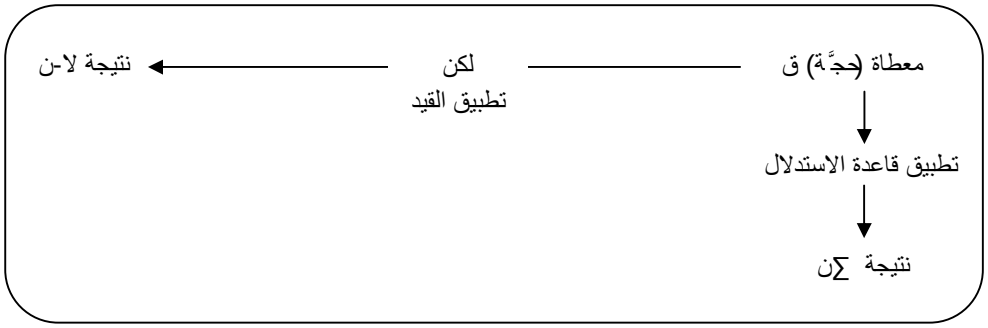

(الشكل ٢-٥-٢)

وبالعودة إلى برلمان وتيتيكا، فإنَّ هذه المبادئ تنقسم إلى ستة أنواع[١]:

(١) الوقائع: وتمثل ما هو مشترك بين عدَّة أشخاص أو بين جميع الناس.

(٢) الحقائق: وهي أنظمة أكثر تعقيداً، ومدارها على النظريَّات العلمية أو المفاهيم الفلسفية أو الدينية.

(٣) الافتراضات: وهي شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة، لكنَّ التسليم بها لايكون قوياً إلا أن يطرأ في مسار الحجاج ما يقوِّيها.

(٤) القيم: وهي مدار الحجاج بكل ضروبه، ومنها قيم مجردة كالعدل والحق، وقيم محسوسة كالوطن والمسجد.

(٥) الهرميات القيم ليست مطلقة، وإنَّما هي خاضعة لهرميَّة، ومنها هرميات مجردة، فالعدل أفضل من النافع، وأخرى محسوسة، فالإنسان أفضل من الحيوان.

(٦) المواضِع: وهي مصنفات مجعولة للاستدلال الجدلي، أو هي مخازن للحجج.

٦- الاستراتيجيات الحجاجية (Argumentative Strategies).

حتى تتحقق النتائج التي من أجلها تم عقد الحجاج، فلابد لها من وسائل وتقنيات يمكن من خلالها أن تتحقق الغاية التي قام من أجلها الحجاج.

(١) انظر صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٢٤-٢٧.

يتحدد منطق الاستراتيجية بالاستجابة لمتطلبا ت البيئة ومقتضيا، إذ تنجز الاستراتيجية ذلك بالتعبير عن منطقها في مصطلحات عقلانية ومتعالقة، هي: الغايات، والطرق، والوسائل، وتبدأ من الغاية فهي تعلو، وتنتهي بالوسيلة فهي تدنو(١).

وهذه الاستراتيجياتسواء ً أكانت غايات أم وسائل أم طرقً ا-كثيرةٌ جد ً ا ومتشعبة إلى درجة يصعب حصرها.

ويمكن تقسيمها من حيث الأدوار التي تضطلع ا إلى قسمين:

١- الوسائل: ومنها: الحجاج بالمثل، الحجاج بالسلطة، الحجاج بالتمثيل، الحجاج التقويمي، الحجاج بعدم الاتفاق، والحجاج بالتعدية، الحجاج بدمج الجزء في الكل، والحجة التواجدية، وحجة النموذج وعكس النموذج، والحجة القائمة على فصل المفاهيم، وغيرها.

٢- الغايات: و تتمثل في: الحجاج بالعاطفة،والحجاج بالتهكُّم والسخرية.

! ! !

(١) الشهري، عبدالهادي بن ظافر، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية ١٠٣.

الفصل الثاني

(لب نجاي تقيبط ت)

"ةقيبت ةقرد فيي طولنمملا تاظنلا بلاتكن مولأا ءزجلا"

لولأا حبلا انيولدلا دعبلا.

ني ماثلا لثحبلا: جلاحلا عبلاي.

لمبحث الأول

مفهوم التداولية

١- المخاطب.

٢- مقاصد المتكلم.

٣- مقتضيات الحال.

٤- نوع الخطاب ومقدار ما يحتاج إليه من الإطالة أو الإيجاز.

٥- الأحوال المشتركة بين المتكلم والمخاطب.

١ - المخدم:

ناكه ا تجلاليخ ل ا املهتقا المنفلوطي في مقالاته الموجَّهة إلى التمع وقضاياه من حوله أكبر الأثر في ظهور صبغة تداولية في كتاباته، وكان لصحيفة "المؤيد" التي صاغ من خلالها مقالات النظرات قبل أن تجمع في كتاب واحدحى ً تفاعلي بينه وبينالقرَّاء، وهذا التفاعل بلنظم ً ا في أطرٍ اجتماعية وعرفية ودينية من خلال ملفوظات تسعى لإنجاز شيء ما:توجِّه وتنصحوتحذِّر وترشد وتوعي و ....إلخ، وحقيقة الأمر أنَّ مثل هذه الملفوظات هو ما يحظى باهتمام الدرس التداولي؛ حيث تتجلى أبعاده في طبيعة الخطاب الأخلاقي الذي يتخذه المنفلوطي نطًا يسير به إلى لغة أدبية شعرية طبيعية يكمن مشروعها في إصلاح مجتمعه من خلال آلية تلفظية إنجازية.

وإذا كانت التداولية تقيم أهميةً للقصد وتجعله بديلاً للمعنى في تحليل القول، فإنَّ المنفلوطي يرسم خطَّة لطبيعة مقالاته تقع في صميم شروط النجاح والقوى الإنجازية المتضمنة، وتلامس مفاهيم التعاون والصدق، يقول في مقدِّمة النظرات[١]: "*لا أقرأ إلا ما أفهم، ولا أفهم إلا ما أشعر أنَّه قد خرج من فم قائله خروج السهم من القوس*"ويقول أيضً ا[٢]:"*فإنيِّ لا أحسن أن أكتب كلمة يفضي ا غيري، أو أعبر عن معنى لا يقوم بنفسي، أو أبكي على ما يحزنني فراقه، أو أندب من لا يفجعني موته، أو أستنكر ما أستحسن، أو أستحسن ما أستنكر ... إلخ*"، وفي موضع آخر يلمح إلى استهجانه لطبيعة اللفظ الخالي من القصد؛ حيث يطلق عليه "حديث اللسان، فيقول[٣]: *فأمَّا حديث اللسان فهو تلك العبارات المنمقة، والجمل المزخرفة، أو تلك الكلمات الجامدة الجافة التي لا يعني صاحبها منها سوى صورا اللفظية ...*".

كما أنَّ المنفلوطي بالدركً ا لأهمية الاستعمال الفردي عندما يُصدر المتكلم قوله بسجيته وطبعه فيكون من شأن ذلك مشا ته العرب الأولين، يقول[٤]: "*وليس البيان ذهاب كلمة ومجيء أخرى، ولا دخول حرفٍ وخروج آخر، وإنمَّا هو النظم والنسق والانسجام والاطراد والرونق واستقامة الغرض (...) فإذا صح ذلك لامرئ فهو الكاتب القدير والشاعر الجليل، فإن زلت به يده أصيل، أو كان ممن يفوته العلم ببعض قواعد اللغة أو بعض وجوه الاستعمال فيها، كان ذلك عيبً ا لاحقً ا بعلمه أو بحافظته، ومتى صدر القائل في قوله عن سجية وطبع، أصبح شبيهً ا بشأن العرب الأولين*".

---

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٣/١، بيروت:الدار النموذجية، ب.ط، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

(٢) المرجع السابق ٢٤/١.

(٣) المرجع السابق ٣٧/١.

(٤) المرجع السابق ٣٣/١-٣٤.

وفي موضع آخر يلمح أيضاً إلى دور اللغة الطبيعية، فيقول[1]: "*على أنَّ الكاتب لا يبلغ مرتبة الكتابة إلا إذا نظر إلى الألفاظ بالعين التي يجب أن ينظر إليها فلم يتجاوز منزلتها الطبيعية التي تنزلها من المعاني، وهي تكون خدماً لها وخولاً ، وأوعية وظروفاً*"، فكأنَّ المنفلوطي يشير هنا إلى عدم قدرة الخطاب الصوري على استيعاب مقتضيات الخطاب الطبيعي المستعمل في حياة تواصلنا اليومية؛ حيث ينصب الاهتمام فيه –الخطاب الطبيعي- على الأدوار التي يضطلع بها المتكلم والمتلقي وعلاقة التأويل القائمة بينهما، والمنفلوطي وإن كان لا يعني بـ "الطبيعية" مفهومها في فلسفة اللغة العادية الطبيعية بحذافيرها إلا أنَّ مقولته تمثل بُعداً في مسار الخطاب الذي يسلكه ويأمل من القارئ أن يتلمَّسه بالتأويل، إذ إنَّ به تتشكل ملامح خطط القول والملفوظ في استعمالها.

بل لربما حقَّق المنفلوطي اقتراباً أكبر من هذا البعد عندما يعترض على الحكماء في مقالته المعنونة بـ "الكذب"، فيقول[2]: "*عرَّف الحكماء الكذب بأنَّه مخالفة الكلام للواقع، ولعلهم جاروا في هذا التعريف الحقيقة العرفية*" وكأنَّه هنا يعارض كارنب في فلسفته الوضعية وفي تفسيرها للصدق والكذب متجهاً إلى رأي فتجنشتاين في فلسفته الطبيعية، ثم يقول بعد ذلك[3]: "*ولو شاؤوا لأضافوا إلى كذب الأقوال كذب الأفعال*"! فهو هنا بدا مدركاً للإنجازية في أفعال الكلام.

ويقسِّم المنفلوطي الأحاديث إلى ثلاثة أنواع[4]، أمَّا الأولان فهما: حديث اللسان، وحديث العقل، يرفضهما ويبين أنَّهما بعيدان كل البعد عمَّا ينبغي أن يكون عليه الكاتب تجاه القارئ، فهو يرفض حديث اللسان الخالي من المعاني؛ حيث لا يكون لقوة التصور ولا لذكاء القلب دخل في هذا ولا ذاك، وكأنَّه يتواطأ نوعاً ما مع سيرل في مفهومه للقصدية في كونها: "سمة العقل التي توجَّه بها الحالات العقلية أو تتعلق بها حالات عقلية أو تشير بها إليها، أو تهدف نحوها في العالم، ومما يميز هذه السمة أن الشيء لا يحتاج لكي يوجد فعلياً بها لكي تمثله حالتنا الشعورية (...)، وليست جميع الحالات القصدية شعورية، كما أنَّ الحالات الشعورية ليست قصدية جميعاً"[5].

فحديث اللسان لا يملك قوَّة التصور التي هي سمة العقل، كما أنَّه لا يملك ذكاء القلب المتمثل في الشعور، وبالتالي فإنَّه غير مفيد وليس للقارئ منه حظٌّ سوى في الشكل.

---

(١) المرجع السابق ١/٣٥-٣٦.

(٢) المرجع السابق ١/١٧٣.

(٣) المرجع السابق والصفحة.

(٤) المرجع السابق ١/ ٣٧.

(٥) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع ١٠٢.

وهو وإن رفض حديث اللسان فإنَّه أيضاً يرفض حديث العقل القائم على المنطق والتصورات، والمعاني التي ينحتها الناحتون من أذهانهم نحتاً، ويقتطعوا منها اقتطاعاً، وكأنَّه هنا يوافق منطق اللغة الطبيعيةفي كون هذا الشكل لا يمثل إلا استعمالياً بقدر ما يوافق المنطق والصورنة الجامدة.

ويبقى النوع الثالث الذي أطلق عليه "حديث القلب" الأجدر لديه بالتعاطي من خلاله مع الجمهور، ويصفه قائلاً [1]: "*ذلك المنثور أو المنظوم الذي تسمعه فتشعر أنَّ صاحبه قد جلس إلى جانبك ليتحدث إليك كما يتحدث الجليس إلى جليسه، أو ليصوِّر لك ما لا تعرف من مشاهد الكون، أو أسرار القلوب، أو ليفضي إليك بغرض من أغراض نفسه، أو لينفس عنك كربةً من كُرب نفسك، أو ليوافي رغبتك في الإفصاح عن معنى من المعاني الدقيقة التي تعتلج في صدرك*".

إذن فالمنفلوطي يقرر إرهاصات أبعاد تداولية في خطابه، فما هو نابع من القلب -بحسب تصنيفه-لزامٌ أن يراعي ملفوظه حال المتكلم والمتلقي، أو كما يقول: "*فتشعر أنَّ صاحبه قد جلس إلى جانبك ليتحدث إليك كما يتحدث الجليس إلى جليسه*"ولزامٌ أن يقيم أهميةً للمقام أو العالم الخارجي، أو كما يقول: "*أو ليصوِّر لك ما لا تعرف من مشاهد الكون*"ولزامٌ أن تدعمه ملفوظات ضمنية، أو كما يقول: "*أسرار القلوب والمعاني الدقيقة*"ولزامٌ أن يحوي ملفوظات إنجازية، تُنجَز أفعالا وليس مجرد أقول، أو كما يقول: "*أو ليفضي إليك بغرض من أغراض نفسه، أو لينفس عنك كربةً من كُرب نفسك، أو ليوافي رغبتك في الإفصاح عن معنى من المعاني الدقيقة التي تعتلج في صدرك*"، بل ربما لابد لحديث القلب هذا أن يسير به إلى آلية حجاجية حتى يصل إلى الإقناع والتأثير.

ولو دُقق النظر لوُجد أنّ مثل هذا الكلام يضاهي منطق اللغة العادية لدى فتجنشتاين الذي يرى أنَّ اللغة هي المفتاح السحري، يفتح مغاليق الفلسفة، ويراعي الجانب الاستعمالي، فالاستعمال هو ما يُكسب تعليم اللغة واستخدامها[2].

وبالتالي فمحمول ملفوظات المنفلوطي يشي بأبعاد تداولية كثيرة،انطلاقاً مما وسمه بحديث القلب، ليس أقلها أفعال الكلام، ومتضمنات القول، والتلفظ والحجاج.

ومفاد ذلك كله أنَّ طبيعة الملفوظ لديه -وهو يرسم لنفسه هذا النمط من الخطاب- ثريَّة الإنجاز والتأثير والإقناع، وهو ما سيحاول الباحث —بإذن الله تعالى- تسليط الضوء على نماذج منه في هذه الدراسة .

---

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٤١-٤٢.

(٢) انظر صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ٣٧.

٢ -يظفلة المعبـ ل ا:

يُعالج القول في المستوى الذهني بداية عن طريق النواقل العصبية، وبعد ذلك يعالج عن طريق القالب اللساني المتخصص، الذي يوافق تقليدياً الميادين التي تغطيها الفونولوجيا والتركيب والدلالة؛ حيث تقدم الشكل المنطقي للقول، وهذا الأخير يصلح بعد ذلك للدخول في العملية التداولية لتأويل القول التي بدورها توافق التوظيف غير المتخصص للقول عن طريق النظام المركزي للذهن.وبناءً على ذلك ينتظم التأويل التداولي في إطار مسار استقرائي يراعي الشكل المنطقي للقول من جهة، ومن جهة أخرى السياق الذي يتكون من اقتراحات توافق المعلومات المأخوذة من المحيط الفيزيقي للمخاطبين انطلاقاً من تأويل الاقتضاءات والمعلومات المأخوذة من المعارف العامة عن العالم، وبذلك نكون أمام نظام تأويلي مشكل من طابقين: الأول لساني يوافق الشكل المنطقي للقول، أي الفهم الحرفي، والثاني مركزي معرفي، يتكفل بالتأويل التداولي للقول أو التأويل الكامل(١)، وبالتالي يمكن تسمية هذا الأخير "ملفوظاً"، وهو مناط هذه الدراسة.

وبحسب ماينغينو (Maingueneau) فإنَّ كلَّ تواصلٍ مكتوب هشٌ (٢)، ونظرات المنفلوطي من الأدب المكتوب، فهي بالتالي تخطاباً هشاً؛ حيث إنَّ المتلقي لا يشارك المتلفظ مقام تلفظه، وقد شبَّه إيكو (Eco) طرح كتاب على الناس بإلقاء قارورة في بحر، فثمة في نظره انعدام تساوق بين موقعي التلفظ والتلقي(٣).

غير أنَّه وبالنظر إلى نظرات المنفلوطي يُلاحظ سير الملفوظ في اتجاهات متعددة، فهو يوظف المتلقي كعنصر متفاعل في مقالهمن خلال بريد القرَّاء يترك أثراً ويوجِّه ويثري الخطاب، وإذا كانت طبيعة التواصل في المقال المكتوب أحادية القطب على أبعتقدير، فإنَّ المنفلوطي جعل من مقاله مسرحاً متفاعلاً لذوات عديدة، لكلٍّ منها دوره في الملفوظ وبتعزيز من ملامح فنية خالصة.

فالمنفلوطي يمتطي صهوة الخيَال كثيراً ليعدو ا على أرض الواقع طِلاب تحقيق الغاية والقصد من ملفوظه في ذهن المتلقي أو السامع، يقول في مقدمته للنظرات(٤): "*إنيِّ ما كنت أكتب حقيقة غير مشوبة بخيال، ولا خيالاً غير مرتكز على حقيقة، لأني كنت أعلم أنَّ الحقيقة اردة عن الخيال لا تأخذ من نفس السامع خذاً ا، ولا تترك في قلبه أثراً ا*"وكأنَّ المنفلوطي يقوم ببناء مزدوج للتفاعل، فهو يكتب

(١) عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير ٣٢-٣٣ -بتصرف-.

(٢) العمامي، محمد نجيب، مقاربة النص السردي التخيلي من وجهة تداولية، ضمن كتاب:التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة ٢٣٣.

(٣) المرجع السابق والصفحة.

(٤) المنفلوطي، النظرات ٤٣/١.

كما لو كان السامع يشاركه كلامه، بل كما لو كان السامع هو الذي يتكلم، وإذا بلغ التقاصد غايته من نفس القارئ فإنَّه يقرأ كما لو كان المنفلوطي يشاركه قراءته مشاركة[١]. ولهذا ميَّزت آموسي (Amossy) بين صنفين من أصناف الجمهور الحاضر حضوراً مباشراً، والجمهور الافتراضي، فهي ترى أنَّ السامع أو المتلقي (المتلفظ له) حالة تُصنع، وأنَّ الخطاب يترجم حسيَّة الصورة التي عليها المتلفِظ، وأنَّ السامع أو المتلقي يتجلى في صور ومواقف في الخطاب الذي ينتجه المتلفِظ، وأنَّ السامع أو المتلقي أنموذج ومثال يصنعه المتلفِظ ويبني معالمه ويقيِّم هيآته[٢]، والمنفلوطي يحاول من خلال خطاب الخيال أن يصنع متلقياً أو يبني أنموذجاً في مستوى تواصلي ثانٍ لإيصال رسالته إلى المستوى التواصلي الأول الذي يمثل القارئ، ولهذا فهو يعقد المقال حاملاً من خلاله وظيفة إنجازية حجاجية يتفرَّع عنها إلى قصةٍ أو موقفٍ عيان بدورهما مستوى ثانياً من الذوات والسياقات التي بدورها تحمل بعداً تأويلياً إسقاطياً.

يقول بلانشيه في هذا الصدد[٣] "إنَّ الكاتب ينشئ شخصيات وأحداثاً خيالية بإخفائه الإحالة إلى أناسٍ وقصِّ أحداث جرت لهم، وفي خيال النزعة الواقعية أو الطبيعية يعمد إلى الإحالة على أماكن وظواهر واقعية مازجاً تلك الحالات بما هو من قبيل الخيال(...) وتبث أغلب الآثار الخيالية رسالة أو رسائل تمرر عبر النص لكنَّها لا توجد في النص".

ولأهمية الاقتضاءات أو الافتراضات المسبقة في عملية التلفظ التي تشكل بدورها بعداً سياقياً مهماً، يعلل المنفلوطي هذا المزج بين الحقيقة والخيال في مقالته بقوله[٤]: "*وأحسب أنَّ السبب في ذلك أنَّ أكثر ما تشتمل عليه النفوس من العقائد والمذاهب والآراء والأخلاق، والخواطر والتصورات، إنَّما هو أثر من آثار الخيالات الذهنية التي تتراءى في سماء الفكر، ثم لا تزال الأيام تكسوها طبقة بعد طبقة ... إلخ*".

وهذا يصبح بالإمكان مقاربة المكتوب تداولياً، فالقارئ متلفظ مشارك ماثل في خطاب المؤلف، والنص منتوج يجب أن ينتمي مصيره التأويلي إلى آليته التكوينية الخاصة[٥]،ذاك أنَّ طبيعة الملفوظ افتراضية تكهنية تفسيرية تتغير بتغير مقام التخاطب، ومن ثمَّ فإنَّ ما يميز كل ملفوظ هو قبوله لقراءات متعددة[٦]،

---

(١) انظر عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ٢٦٦.

(٢) الشبعان، علي، الحجاج بين المنوال والمتتال ٢٣-٢٥-بتصرف-.

(٣) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ١٩٣-١٩٤.

(٤) المنفلوطي، النظرات ٤٣/١.

(٥) انظر العمامي، محمد نجيب، مقاربة النص السردي التخيلي من وجهة تداولية، ضمن كتاب:التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة ٢٣٣.

(٦) انظر سرحان، إدريس، التأويل الدلالي التداولي للملفوظات، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ١٢٤-١٢٥.

فيكون القارئ بذلك جزءاً من خطاب المنفلوطي في تأوله لملفوظه، وفق مقامات تستدعي استلزامات حوارية، أو سياقات لغوية تقتضي افتراضات مسبقة؛ حيث يعمل المنفلوطي بوصفه مرسلاً على تقديم ملفوظات مشحونة بطاقة تأويلية، ويسترسل معتقداً موافقة ضمنيَّة من قِبل المتلقي أو القارئ.

٢-١ مظاهر التواصل والتداول في الجزء الأول من نظرات المنفلوطي:

تتنوع مظاهر التواصل في نظرات المنفلوطي التي تزاوج بين الواقع والخيال والماز، ويمكن تحديد معالم النشاط التلفظي فيهطن خلال الوظيفة التواصلية؛ حيث يُعدُّ التواصل أحد أهم وأبرز وظائف المظهر الاستعمالي التداولي للغة.

يُلاحظ أنَّ المنفلوطي ينطلق في مقالاته من ثلاثة مظاهر تواصلية:

١-مظهر يلعب فيه دور الموجِّه المباشر لجمهور القراء، فيبرز المتلقي الواقعي، ويتضاءل دور المتلقي المتخيل.

٢- مظهر يبرز فيه دور المتلقي الخيالي الذي يثير تفاعلاً تواصلياً مجموماً في مقالته، ويشكل بدوره مستوى تواصلياً ثانياً ينطلق من "الرسالة" ذاتها، ليتفرع إلى ترسيمة تواصلية أخرى.

٣- مظهر يمثل حديث النفس، ويطغى فيه المتلقي المازي؛ حيث يعتمد القارئ بصفته يمثل مستوى تلقٍ أول على تأويل الإسقاطات من خلال "الوظيفة الإفهامية".

وقد وقع الاختيار على ثلاث مقالات لتشكل نماذج مختلفة لهذه المظاهر الثلاثة، وهي: مقالة " أيُّها المحزون"[(١)]، و مقالة "الصيَّاد"[(٢)]، ومقالة "مناجاة القمر"[(٣)].

أمَّا المظهر الأول فتمثله مقالة "أيُّها المحزون"؛إذ يمكن تحديد ملامح التواصل المباشر الموجَّه إلى المتلقي من خلال الشكل (٣-٢-١)؛ حيث اشتمل النص على أقطاب التواصل الرئيسة المتمثلة في (الرسالة – المرسل- المستقبل)في مستواها الأول دون أيٍّ مظهر من مظاهر التواصل التخيلي؛ فالمرسل هو المنفلوطي، والمستقبل أو المتلقي هو القارئ المباشر؛ وقد بدت رسالته موجَّهة إلى كل محزون، على

(١) انظر المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٨٢/١.

(٢) انظر المرجع السابق ١٦١/١.

(٣) انظر المرجع السابق ٦١/١.

اعتبار أنَّ هذه الرسالةمنتَج تلفظي في صورة تواصلية مباشرة مع القارئ الذي يوعز إليه فك شفرات هذه الرسالة وتأويلها.

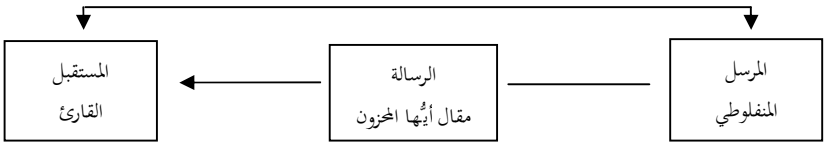

الشكل (٣-٢-١)

في حين يبرز المظهر الثاني مستوى توصلي ًا ثاني ً ا من خلال محاولة المنفلوطي تقديم رسالته إلى القارئ في قصتخذ أدوار ً ا متعددة في أشكال الخطاب التواصلي، ليس أقلها الإسقاط على الواقع من خلال الرمزية التي تحملها في طياا، والأثر الكبير الذي تتركه في نفس المتلقي لتحقيق المضمون التداولي بتغيير أفكاره، أو حمله على الاقتناع بقضية ما، وهذا ما نجده في مقالة "الصيَّاد"؛ حيث ينتقل بالتخاطب إلى مستوى ثان يتمثل في حكاية أحد أصدقائه: "*حدَّث أحد الأصدقاء قال: بينا أنا في منزلي صبيحة يوم إذ دخل عليَّ رجل صياد يحمل ...*" حيثيتجرد المنفلوطي من ذاته ليصبح ذاتً ا أخرى مستقبلة وهو يستمع إلى قصة صديقه مع ذلك الصياد، فهو كمرسل يبعث رسالة إلى المتلقي الذي هو جمهوره من القراء، وصديقه يصبح مرسلاً بدوره إلى متلقٍ هو المنفلوطي من خلال رسالة تتمثل في قصة، وهذه القصة تتفرع إلى مستوى تواصلي ثالث يتمثل في صديقه والصياد، عبر حوار تفاعلي يتناوبان فيه بين مرسل ومتلقٍ كما في الشكل (٣-٢-٢).

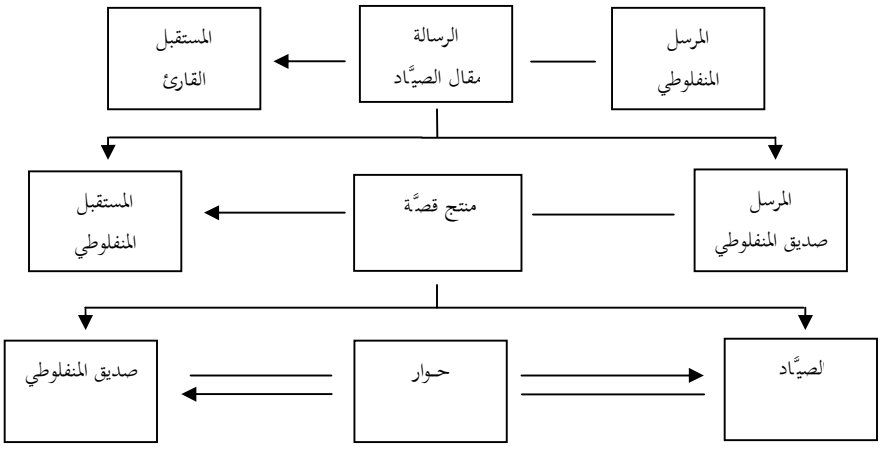

الشكل (٣-٢-٢)

فالمنفلوطي باعتباره مرسلاً يستهل حديثاً (قصة صديقه مع الصيَّاد) موجهاً للقارئ، ثم ما يلبث أن يتحوَّل المنفلوطي والقارئ إلى ذوات مستقبلة، ليفسح الميدان أمام صديقه الذي بدا متعجباً من سعادة الصيَّاد النفسية التي لا يجدها في سعادة المال وكيف أنَّه راضٍ بما يصطاده من السمك لينال كفاف يومه، ليعود عند حلول المساء إلى زوجه وولده فيجد بشاشة الوجوه بانتظاره، مؤمناً أن لا فرق بينه وبين ذلك الغني حينما جعل اليقين أكبر سبب في عزائه، لتستحيل غرابة صديقه بعد ذلك إلى إعجاب وإكبار لهذا الصيَّاد، ويستمر المنفلوطي في سرد قصة صديقه إلى النهاية، حتى يختتم بها مقالته.

ولتفسير مثل هذا المظهر التلفظي التواصلي، يقول طه عبدالرحمن عن علاقة الاشتراك بين طرفي الحوار: "فما تكلَّم أحدٌ إلا وأشرك معه المخاطَب في إنشاء كلامه كما لو كان يسمع كلامه بأذن غيره، وكأنَّ الغير ينطق بلسانه"(١)، أو هو ذلك التزاوج الظاهر أو التزاوج المفترض الذي يطلق عليه طه عبدالرحمن "الذات الاعتبارية" للمتكلم والمخاطَب، وهذه الذات تقوم بالاعتراض وتشرك معها المخاطَب في الاعتراض(٢).

ولئن تحوَّل المرسل الحقيقي المتمثل في المنفلوطي إلى ذات أخرى مستقبلة في مثل هذا المظهر، فإنَّه يظل الفاعل الأساس؛ لأنَّه المسؤول عن رسم خطة التأثير [والتواصل]، ثمَّ توجيهها الوجهة [الإنجازية] والإقناعية المناسبة(٣) مستدرجاً المتلقي (القارئ) إلى الهدف المتمثل في الرضا والقناعة بما قدَّر وقسم الله للمرء في حياته؛ حيث إنَّ السعادة قبل كلِّ شيء هي صنيعة قناعاتنا وأفكارنا.

وأمَّا المظهر الثالث، فإنَّه ذو مستويين تواصليين؛ حيث يسير به المنفلوطي إلى خلق ذات أخرى مرتنفحيه عنصراً مجازياً رمزياً، ليترك مساحة كبيرة من التأويل لدى القارئ، بما يحفِّز فيه تلك العلاقة القوية بحسن فهمه ويقظة قريحته من جهة، وبمقاصده وطواياه من جهة ثانية(٤)، والتأمل في عمليتي بناء معنى الملفوظ وتأويله يكشف أنَّ دور المتلقي في هاتين العمليتين لا يقل عن دور المرسل(٥).

---

(١) عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ١٣٥.

(٢) المرجع السابق ٢٦٥.

عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير ١٣٠.

(٣) انظر بوقرة، نعمان، القيمة الحجاجية في الخطاب الإشهاري، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ٢٩٤/٤.

لم يذكر صاحب المقال كلمتي "التواصل" ولا "الإنجازية" لأن كان التأثير مرهون بالتواصل، والإقناع وظيفة للحجاج باعتبار هذا الأخير فعلاً لغوياً إنجازياً، ولانطباق المفاهيم التي ذكرها صاحب المقال مع المفاهيم التلفظية وبالتالي التواصلية، تمت إضافة هاتين الكلمتين لمناسبتهما للحديث.

(٤) انظر سرحان، إدريس، التأويل الدلالي التداولي للملفوظات، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ١٣٠.

(٥) انظر المرجع السابق ١٣٣ -بتصرف-.

وبالنظر في مقالة "مناجاة القمر" فإنَّ المنفلوطي يُبقي المال مفتوحًا أمام مهارته في فنِّ القول، وإظهار كفاءته الإبداعية، لكي يصل بسهولة إلى إفهام الآخر، وتقريبه من أطروحاته حتى يتسرب إلى ذهنه وعواطفه وعقله، ومن هنا يأتي الالتباس عن طريق المجاز الذي هو الاستدلال بعبارة الدعوى على إشارة؛ إذ لا تتم هذه العلاقة فقط عن طريق الصورة البلاغية التي تتيحها اللغة بواسطة المجاز، بل تتم بصفة عامة عن طريق العلاقات الرمزية التي تدخل فيها كل العلامات اللسانية وغير اللسانية كما يرى عبدالسلام عشير[1].

فالمنفلوطي في هذه المقالة يوجِّه خطابه إلى القمر في حديث نفس يعبرِّ من خلاله عن أحزانه ولأواء نفسه، وهذا القمر ما هو في هذا المقال إلا متلقٍ شكلي، لا يظهره بمظهر المتلقي المتفاعل حواريًا، بل إنَّ المؤلف وحده هو من يخلق هذا التفاعل من خلال علاقات رمزية غير لسانية توحي بأنَّ القمر يتكلم في سطور من نور، أو ربما يلامسه ضياؤه، ويعقد مقارنة بين نفسه وبينه، فقمره وحيد كما هو وحيد في عتمة الليل، وقمره يحظى بثغر باسم ووجه طلق كما هو، غير أنَّ أحدًا لا يشعر بالهموم التي تكتنفهما معًا، وربما بدا يبوح له بما تعالجه نفسه من العشق كما لو كان يبوح لصديق يسامره.

هذا التجسيد الرمزي الذي يسبغه المنفلوطي على القمر يجعل منه إنسانًا رامزًا كما يقول كاسرر (Cassirer) يقع بشكل سريع تحت تأثير الرموز التي تقيم علاقات مركبة بين الأشياء والأشياء، وبين الأشياء والأفكار، أو العكس؛ حيث تنفذ هذه الرموز إلى داخل الإنسان دون مقاومة[2]، وبالتالي ينشأ مظهر تلفظي تواصلي مع الرمز، ليس هو الغاية في حدِّ ذاته، بل إنَّه وسيلة لرسالة تحملها مقالته التي يتركها لتأوُّل المتلقي أو القارئ في المستوى التواصلي الأول، ولتوضيح ذلك (انظر الشكل ٣-٢-٣)، وهذا التجسيد الرمزي لا يتوخى الدقة والوضوح، بل يعمل على تجميل القول أو الفكرة للتأثير على مخيلة المتلقي[3]، مثل: "*أيُّها الكوكب المطل من علياء السماء. أأنت عروس حسناء تشرف من نافذة قصرها؟*".

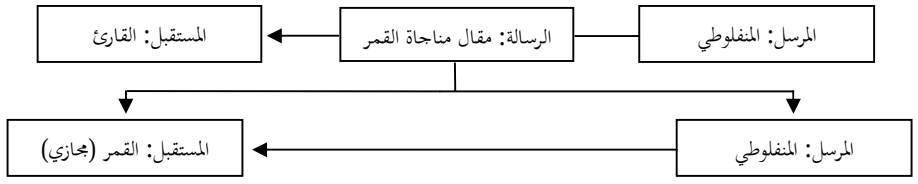

الشكل (٣-٢-٣)

(١) انظر عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير ١٣١.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

(٣) المرجع السابق ١٤٤.

٢-٢المعيار المقامي:

لابد لهذا التأوُّل من بروز المقام، فالنظرية التأويلية تؤكِّد على اعتماد السياق في تأويل الخطاب التواصلي، لأنَّ المعاني التي ينتجهاالخطاب هي معانٍ ضمنية تُنتج الإيحاءات التي يفرزها السياق اللساني، وتكشف عنها العملية التأويلية، أمَّا النظرية التداولية فتضيف المقام (سياق غير لساني) إلى السياق اللساني ليعزز هذه التضمينات والإيحاءات(١).

ويبدو المنفلوطي من خلال مظاهر التواصل التلفظيالثلاثة ميَّالاً إلى إبراز مقامات التلفظ غير اللسانية، فأشعر الشعراء وأكتب الكتَّاب لديه أوصفهم لحالات نفسه أو أثر مشاهد الكون فيها(٢)، ففهم طبيعة الملفوظ وتأويله لديه نابع من فهم مقامات التبليغ والتلفظ، ومفاد ذلك أنَّ الملفوظ لا سبيل لإدراكه دون استيعاب زمان ومكان ومناسبة وأحداث التلفظ، ففي مقالته "إلى الدير" يقول(٣):

مسكين ذلك الفتى الذي رأيته صباح أمس منزوياً في ركن من الأركان في أحد الأندية، وقد ظللت جبينه الوضاح سحابة سوداء من الحزن".

وفي مقال آخر بعنوان "الحريَّة" يقول(٤): *"استيقظت فجر يوم من الأيام على صوت هرةٍ تموء بجانب فراشي وتتمسح بي، وتلح في ذلك إلحاحاً غريباً، فرابني أمرها، وأهمَّني همها وقلت:لعلَّها جائعة، فنهضت وأحضرت لها طعاماً فعافته، وانصرفت عنه. فقلت: لعلَّها ظمآنة، فأرشدتها إلى الماء فلم تحفل به (...)كان باب الغرفة مرتجاً، فرأيت أنَّ تطيل النظر إليه وتلتصق بي كلما رأتني أتجه نحوه، فأدركت غرضها وعرفت أنَّ تريد أن أفتح الباب، فأسرعت بفتحه (...) وانطلقت تعدو في سبيلها، فعدت إلى فراشي".*

وبالنظر إلى هذين النموذجين ينطلق الكاتب من زمن الملفوظية أي الزمن الذي يتحدد فيه الحدث الذي هو إنتاج الملفوظ، ويمكن الإشارة إليه داخل الملفوظ نفسه، ومن بين الكلمات التي تؤدي هذه الوظيفة(٥)، من مثل "صباح أمس" أو "فجر يوم من الأيام"، وهو زمن متعلق بشخص المتحدِّث، وهذا بدوره يقود إلى الصيغة اللازمانية، إنَّ بالنسبة إلى غيوم (Guillaume) تلك التي ترتبط بالدرجة

(١) انظر المرجع السابق ١٣٢-١٣٣.
(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٦/١.
(٣) المرجع السابق ٤٨/١.
(٤) المرجع السابق ١٣٣/١.
(٥) انظر سيرفوني، جان، الملفوظية ٣٧.

القصوى لتحقيق القضية، بمعنى أنَّها تحدد القضية بالنسبة لشخص المتحدث، وفي لحظة فعل اللغة[1]. كما أنَّ الملفوظين "*صباح أمس*" و"*فجر يوم من الأيام*" يشيران إلى أنَّ الحدث غير قائم لحظة التلفظ.

أضف إلى ذلك أنَّ المنفلوطي يشير إلى عنصر المكان في إنتاج التلفظ بملفوظات من مثل: "*أحد الأندية*" أو "*بجانب فراشي*" هذه العبارات تمنح المتلقي بُعداً تلفظياً وبالتالي تداولياً، فالملفوظ "*أحد الأندية*" يستبعد رؤية الكاتب لذلك الشاب في أحد المساجد، وملفوظ "*بجانب فراشي*" يستبعد أن تكون القطة قد ماءت خلف النافذة.

وإذا كان النموذج الأول جاء لمناسبة الحزن، فإنَّ النموذج الثاني قد جاء لمناسبة الحريَّة، فملفوظٌ مثل "*مسكين ذلك الفتى*" قد ترد في سياقات متعددة، فربما يكون مسكيناً لأنَّ من حوله قد سخر منه، أو أنَّه قد خسر في صفقة من الصفقات، غير أنَّ المقام كان له دور في تحديد وتوضيح طبيعة الملفوظ، وهو "*ظَلَّلت جبينه الوضاح سحابة سوداء من الحزن*"، كما أنَّ الملفوظ في "*صوت هرةٍ تموء*" هو الآخر يأتي في سياقات متعددة، فربما كانت تموء بسبب جوعها أو عطشها، وربما كانت تموء لأنها فقدت صغيرها، وربما كانت تموء ألماً، لكنَّ المقام والأحداث التي ساقها الكاتب ساعدت في تحديد معنى الملفوظ المتمثل في رغبة الخروج عبر الباب لتنطلق إلى حريَّتها. فالمقام يعمل على تحديد ملامح التلفظ.

ويمكن توضيح أثر المقام على الملفوظين وفق الشكلين التاليين:

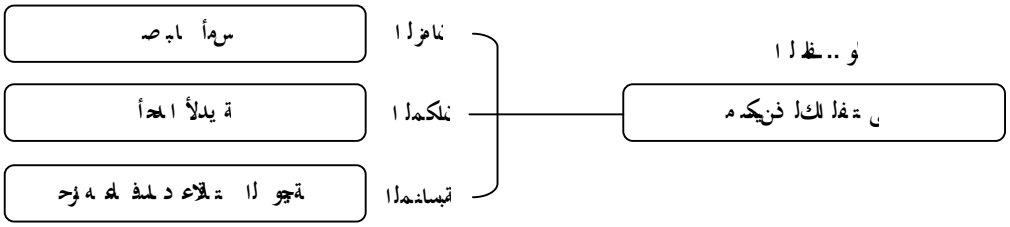

شكل (٣-٢-٤)

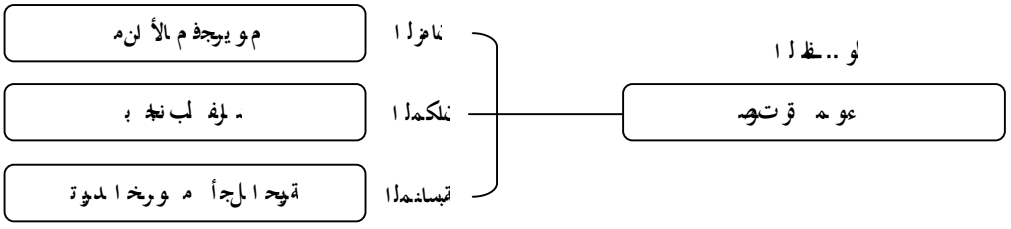

شكل (٣-٢-٥)

(١) انظر المرجع السابق والصفحة .

٢-٢-١ البعد المقامي التبليغي:

يلعب المقام دوراً بارزاً في تحديد ملامح الاستعمال اللغوي للملفوظ من جانب المرسل، وكذلك في عملية التأويل من جانب المتلقي.

فعلى مستوى إنشاء الملفوظ مثلاً، يسمح المقام للمرسل باللجوء إلى العبارات الإشارية بدل تسمية الأشياء التي يرغب في الإشارة إليها بأسمائها وأوصافها التفصيلية، كما يساعده على اختيار أدوات النداء الملائمة تبعاً لقرب أو بعد الأشخاص الذين يناديهم.

ويتجلى الجانب الاقتصادي لهذا العامل بشكل أوضح عندما يلجأ المتكلم إلى حذف مكون أو أكثر من مكونات الملفوظ تقديراً منه أنَّ المقام كفيل بمساعدة المتلقي على إكمال العناصر المحذوفة[1].

ومثال ذلك ما جاء في مقالة "الزوجتان":

لـ امرأة تشكو إلى الكاتب اختلاف زوجها عنها إلى امرأة أخرى، بعد أن آثره أبوها وفضَّله على جميع الخاطبين من عِلية القوم، وتقول قاصدةً أباها:

"*وأنا لا ألومه على ذلك*"[2]؛ حيث استخدمت عدة عناصر إشارية دون تسميتها أو وصفها وصفاً تفصيلياً على اعتبار أنَّ المقام سيتكفل بإيضاح تلك العناصر المحذوفة للمتلقي، ولو أعدنا الملفوظ دون حذف فسيصبح على النحو التالي:

- وأنازوجتَه الأولى لا ألوم أبي علىتفضيله لزوجي على جميع الخاطبين من عِلية القوم.
- وأنا زوجتَه الأولى لا ألوم أبي على ذلك.
- وأنا لا ألوم أبي على ذلك.
- وأنا لا ألومه على ذلك.

فالملفوظات الأربعة توضح بشكل متدرج مدى تأثير المقام في العامل الاقتصادي من خلال حذف المكونات التي تكفَّل المقام بإيضاحها.أمَّا على مستوى التأويل فيتجلى البعد التداولي في مقدرة المتلقي على تقدير هذه المحذوفات؛ لاشتراكه مع المرسل في عملية التلفظ.

كما أنَّ مقام التبليغ يعمل على تحديد قرب أو بُعد المنادى من خلال أدوات النداء، كما في الملفوظين التاليين:

---

(١) سرحان، إدريس، التأويل الدلالي التداولي للملفوظات، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ١٥٨-١٥٩.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٠٤/١.

- "يا طالب العلم كن عالي الهمَّة"(١).
- "أيَّتها الشعرة البيضاء!"(٢).

فأداة النداء "يا" في الملفوظ الأول جاءت لنداء البعيد "طالب العلم"، في حين جاءت أداة النداء "أي" لنداء القريب "الشعرة البيضاء"مع الإشارة إلى أنَّ كثيرً ا من أدوات النداء في المقالات ذات الصبغة الأدبية تخضع لدلالات وأغراض بلاغية،وقوى إنجازية، كالتعظيم أو التقرب والتودد ونحو ذلك.

٢-٢-٢ البعد المقامي التلفظي:

يُفرِّق محللو الخطاب بين مفهومين للمقام: سياق التأليف أو الإنتاج، ومفهوم آخر هو "مشهد التلفظ" ويعني المقام الذي يظهر من خلاله النص، وإذا كان سياق التأليف يتعلق بما هو خارج فعل التلفظ، أي بما يحيط بهذا الفعل، فإنَّ مشهد التلفظ يتعلق بما هو داخل هذا الفعل(٣).

ويحوي هذا الشكل من المقام وفق ماينغينو (Maingueneau) ثلاثة أنواع فرعية، هي: المشهد الجامع، والمشهد النوعي، والسينوغرافيا؛ حيث يمكن أن تحدد هذه المشاهد الملامح المقامية لعملية التلفظ لدى المنفلوطي من خلال ما يظهر في النَّص ذاته.

٢-٢-٢-١ المشهد الجامع:

سبقت الإشارة إلى أنَّ هذا المشهد يتعلق بنمط الخطاب والقدرة على تحديد مرجعية الخطاب الشاملة، ومن ثمَّ تحديد موضع وطبيعة التأويل المناسب لهذا النمط(٤).

وعند الوقوف على الصيغة التي يخاطب بها المنفلوطي قارئ نصه، والقصديَّة التي يؤسسها عليه تظهر طبيعة قضيةهذا النص متمحورة في الخطاب الأدبي الميَّال إلى الإصلاح الاجتماعي في مصر خاصة وفي العالم العربي بشكل عام؛ فأمَّا طبيعة الخطاب الأدبي فتظهر في إتخام نصه بالصور والاستعارات والإنشائيات والمحسنات البديعية،التي تظهر بشكل كثير، من مثل الملفوظات التالية:

لـ يتَّضح المنفلوطي عن أهمية الحريَّة لكلِّ إنسان ولكلِّ حيوان على حدٍّ سواء، فيقول:

---

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٤٨/١. من مقالة "النبوغ".

(٢) المرجع السابق ١٥٦/١. من مقالة "الشعرة البيضاء".

(٣) طلحة، محمود، التداولية وتحليل الخطاب، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة ٢١٥.

(٤) انظر ص ٤٤ من هذا البحث.

الحريَّة شمسٌ يجب أن تشرق في كلِّ نفس"[١].

تشبيه بليغ

ـ استهجانه تقليد المصري الشرقي لمدنيَّة الغربي في كل شيء، فيقول عنه:

"يريد أن يقلِّده في السياحة، فلا يزال يترقَّب فصل الصيف ترقُّب الأرض الميتة فصل الربيع "[٢].

استعارة

ليتحدَّث على لسان امرأة سرق عفتها رجلٌ خدعها بالزواج فتخلى عنها، فيقول:

وأيُّ لذةٍ في العيش لامرأة لا تستطيع أن تكون زوجةً لرجل ولا أما لولد؟!"[٣].

جملة إنشائية .. استفهام يفيد النفى

ـ إبعاد السوريين على إثر إعلان الدستور العثماني الجديد، يقول:

"ولا ندري هل نحن بين يدي هذا النظام العثماني الجديد في هناء أم في عزاء"[٤].

محسِّن بديعى (سجع)

وأمَّا طبيعة الخطاب الاجتماعي فتظهر في الموضوعات التي تتأسس على القيم لتمعية، التي يقدم من خلالها الحلول والإرشادات كرؤية خاصة كفيلة بالإصلاح، فهو يحكي قصة صديق كانت الكأس الأولى سببًا في إدمانه وضياعه: "*كان لي صديق أحبه وأحب منه سلامة قلبه وصفاء سريرته (...) ففرَّق الدهر بيني وبينه فراق حياة لا فراق ممات*"[٥] وينعي الفضيلة التي لم يعد يجد إليها سبيلاً في مجتمعه فتَّشت *عن الفضيلة في حوانيت التجَّار فرأيت لصًا في أثواب بائع (...) فتَّشت عن الفضيلة في مجالس القضاة فرأيت أنَّ أعدل القضاة من يحرص الحرصَ كلَّه على أن لا يهفو في تطبيق القانون الذي بين يديه هفوةً يحاسبه عليها من منحه هذا الكرسي (...) فتَّشت عن الفضيلة في قصور الأغنياء فرأيت الغنيَّ إمَّا شحيحًا أو مِتلافًا (...) فتَّشت عنها في مجالس السياسة، فرأيت أنَّ المعاهدة والاتفاق والقاعدة*

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٣٦/١. من مقالة "الحريَّة".
(٢) المرجع السابق ١٤٣/١. من مقالة "المدنيَّة الغربية".
(٣) المرجع السابق ١٧٩/١. من مقالة "غرفة الأحزان".
(٤) المرجع السابق ٢٠٢/١. من مقالة "أهناء أم عزاء".
(٥) المرجع السابق ٥٠/١. من مقالة "الكأس الأولى".

والشرط ألفاظ مترادفة معناها الكذب ... "[1] ، ويعطف على أحوال الفقراء وتعنُّت الأغنياء في الإحسان: *أستطيع أن أتصور أنَّ الإنسان إنسانٌ حتى أراه محسناً؛ لأني لا أعتمد فصلاً صحيحاً بين الإنسان والحيوان إلا الإحسان*"[2]، ويتحدَّث عن شركاء ارم في جرمه: " *أيُّها ارم الفاتك الذي يسلب الخزائن نفائسها، والأجسام أرواحها، لست أحمل عليك من العتب فوق ما يحتمله ذنبك (...) لأني أعتقد أنَّ لك شركاء في جريمتك ...*"[3]

٢-٣-٢-٢ المشهد النوعي:

حتى يمُنح نمط الخطاب لدى المنفلوطي حقائق أشمل للمتلقي، فليس بالضرورة استيعابه لكل أجناس الخطاب الأدبي[4]؛ فالمنفلوطي ينطلق من جنس أدبي محدد هو "المقالة"، وهذا الجنس له خصائصه التي تميزه عن غيره، ولهذا فالقارئ لنظرات المنفلوطي يتلقى خطابه باعتباره مقالاً، وهذا الاعتبار يعدُّ إطاراً مشهديًّا، يمكن أن يعده مقاماً للتلفظ[5].

٢-٣-٢-٣ السينوغرافيا:

يشكِّل المشهدان السابقان ما يمكن تسميه بالإطار المشهدي للنص، هذا الإطار هو الذي يحدد الفضاء الثابت الذي من خلاله يحمل الملفوظ معنى، ويتجلَّى مفعول السينوغرافيا من خلال تخطِّيها الإطار المشهدي إلى مستوى آخر؛ حيث يأتي منها الخطاب، وما يولِّده هذا الخطاب، وتمنح الملفوظ شرعية وتقره، وهو بدوره -أي الملفوظ-يمنحها شرعية ويقوِّيها، إلَّا تسمح أيضاً بتحديد الأشياء وملاحظتها عن قرب، وهذا المفهوم يسمح بتحديد المكانة التي يتمتع بها المتلقي[6].

وكثيراً ما يظهر إخراج الشكل المقامي للتلفظ لدى المنفلوطي من داخل التلفظ ذاته؛ حيثُ يبرز إخراجه تلك الأشكال المقامية التلفظية تمكنٌ لتصوير المشهد ، كما تنعكس تلك الأشكال بدورها على إخراج المشهد ذاته[7]من خلال عناصر إشارية تعطي بعداً تلفظيا تداولياً ما،وكأنمَّا المشهد ماثل أمام المتلقي أو القارئ، ولهذا يتفنَّن المفلوطي في تصويره وإخراجه للعالم الخارجي ففي مقدمة النظرات يرى أنَّ

(١) المرجع السابق ٦٤/١-٦٦. من مقالة "أين الفضيلة؟".

(٢) المرجع السابق ٧٢/١. من مقالة "الغني والفقير".

(٣) المرجع السابق ١١٨/١. من مقالة "أفسدك قومك".

(٤) قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٢١.

(٥) طلحة، محمود، التداولية وتحليل الخطاب، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة ٢١٦.

(٦) قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٢١ -بتصرف-.

(٧) طلحة، محمود، التداولية وتحليل الخطاب، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة ٢١٦.

حديث القلب هو ذلك المنثور أو المنظوم الذي يصوِّر لك ما لا تعرف من مشاهد الكون[1]، وفي موضع آخر يرىأنَّ أكتب الكُتَّاب لديه أقدرهمعلى تمثيل تلك المشاهد وتصويرها كأنَّما هو يعرضها على أنظارهم عرضًا[2].

ومن أمثلة تلك الملفوظات التي يتفنن من خلالها في إخراج المشهد ذلك التصوير المازي للغد، حيث يقول: "أنِّي بالغد وهو كامن في مكمنه، رابض في مجثمه، متلفع بفضل إزاره"[3].

أو تصويره لابنه وهو يحتضر، فيقول: "حتى نظرت فإذا أنت بين يديَّ جثة باردة لا حراك بها، وإذا قارورة الدواء لا تزال في يدي"[4].

ويصوِّر جمال الطبيعة فيقولمستشرفًا الفضيلة، وأنَّه لم يعد يأنس بكل جميل حوله بعد غياب ضالته (الفضيلة)"إنِّي لأرى الرياض الغنَّاء نمو أشجارها، وترنُّ أطيارها، وأرى جداول الماء تنساب بين أنوارها وأزهارها انسياب الأفاعي الرقطاء في الرمال البيضاء، وأرى أنامل النسائم تعبث بمنثورها الأوراق، وأسمع ما بين صفير البلابل، وخرير الجداول نغمات شجيَّة تبلغ من نفس الإنسان ما لا تبلغ أوتار العيدان"[5].

مثل هذه الملفوظات تقدم إلماحات من خلال ما تتضمنه من عناصر إشارية مقامية ينطق بها النص ذاته لتشكل ما يشبهتصميمًا فنيًّا تقنية لتنفيذ عناصر مشهدية أو ديكورًا للسينما والتلفزيون والمسرح، وبالنظر في الشكل (٢-٢-٦)، فإنَّ تلك العناصر في الملفوظ الأول لكل تصميمًا فنيًّا يتأوله القارئ ليستوحي منه مقامًا تلفظيًّا يتمثل في صورة لرجلٍ منزوٍ يراقب ما حوله في مكان لا تدركه الأنظار:

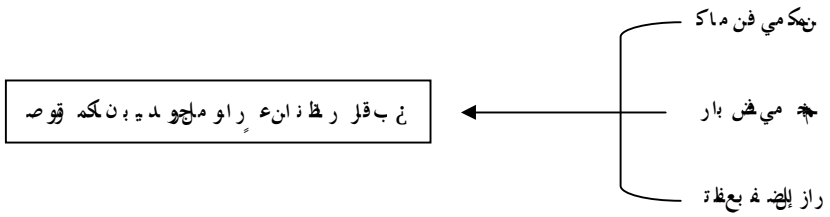

الشكل (٢-٢-٦)

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٤١/١.
(٢) المرجع السابق ١٦/١.
(٣) المرجع السابق ٤٧/١، من مقالة "الغد".
(٤) المرجع السابق ٥٦/١، من مقالة "الدفين الصغير".
(٥) المرجع السابق ٦٨/١، من مقالة "الفضيلة".

وأمَّا الملفوظ الثاني فإنَّ تلك العناصر توضِّح أنَّ مقام التلفظ من خلال السينوغرافيا يتمثل في تصوير فراش الموت، كما في الشكل (٢-٢-٧):

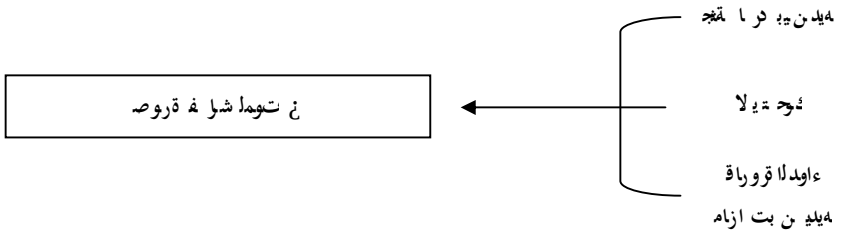

الشكل (٢-٢-٧)

وفي الملفوظ الثالث تشكل تلك العناصر السينوغرافية صورة الطبيعة الساحرة، كما في الشكل (٢-٢-٨):

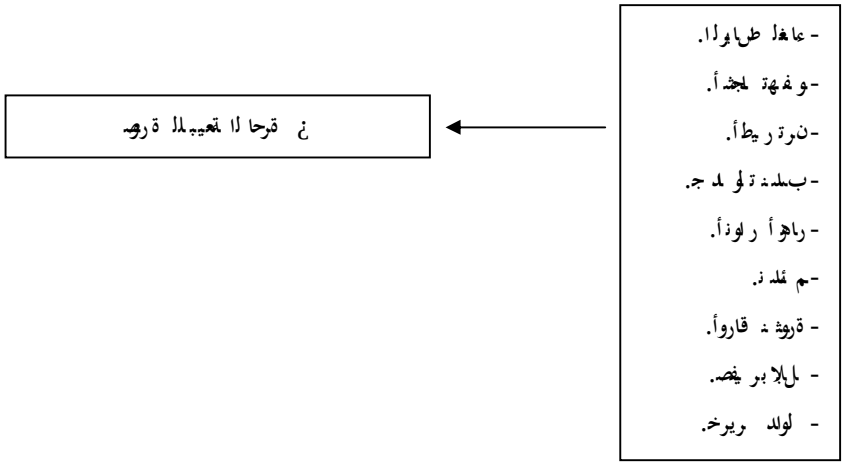

الشكل (٢-٢-٨)

٢-٢-٣ البعد الإشـــاري:

يتجسَّد الخطاب باللغة في مستوياتها كافة، والكلمات جزء من نظام اللغة، فتحيل كل كلمة على مدلول معين، إلا أنَّ بعضاً منها يوجد في المعجم الذهني دون ارتباطه بمدلول ثابت، فلا يتضح مدلوله إلا من خلال التلفظ بالخطاب في سياق معين[١]. وما يعطي هذه الإشاريات دورها التداولي في لحظة التلفظ ومكانه هو اجتماع (الأنا و الهنا والآن)، فهي أشكال إحالية ترتبط بسياق المتكلم[٢].

(١) الشهري، عبدالهادي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ٧٩.

(٢) المرجع السابق ٨١.

٢-٢-٣-١ الإشاريات الشخصية (Personal Deixis):

وتتمثل في أسماء تأخذ مدلولاً ثابتاً إذا جردت من السياق[١]، كما أنَّ أوضح العناصر الإشارية الدالة على الشخص (Person) هي ضمائر الحاضر، والمقصود بالضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده "أنا" أو المتكلم ومعه غيره مثل "نحن"والضمائر الدالة على المخاطب مفرداً أو مثنى أو جمعاً، مذكراً أو مؤنثاً، وضمائر الحاضر هي دائماً عناصر إشارية؛ لأن مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه، وليس من شكٍ في أنَّ الضمير "أنا وأنت"ونحوهما له دلالته في ذاته على المتكلم أو المخاطب، لكنَّ السياق لازمٌ لمعرفة من المتكلم أو المخاطب الذي يحيل عليه الضمير[٢]، وذلك كما في الملفوظات التالية:

تاه للكاتب في أحد الأزقة، فطَرَقَ باباً لتفتح لهصدفةً ابنة صديقه المتواري منذ عدة أعوام.

(١)- " *فتحت ليفتاةٌ صغيرةٌ لم تكد تسلخ العاشرة من عمرها*"[٣].

ـ يتألم الكاتب على حال صديقه.

(٢)- " *أنا لا أبكي إلا حياته*"[٤].

ـ يخاطب المنفلوطي محزوناً.

(٣)- "*أخزيتي لأنَّ نجماً زاهراً من الأمل كان يتراءى لك في سماء حياتك*"[٥].

ـ يواسي المنفلوطي أحد قرائه في تحمُّله تبعات الصدق.

(٤)- " *لأنتأرفع في نظري من كثير من أولئك*"[٦].

ـ يصور الكاتب نفسه واقفاً مع صديق له يوم الحساب، فإذا فاطمة بنت محمد همُّ بالخروج.

(٥)- "*فإنَّذلك، وإذا بمنادٍ ينادي أن غضُّوا أبصار كم*"[٧].

---

(١) قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٢٢.

(٢) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ١٨.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٧٦/١، من مقالة "غرفة الأحزان".

(٤) المرجع السابق ٥٠/١، من مقالة "الكأس الأولى".

(٥) المرجع السابق ٨٢/١، من مقالة "أيها المحزون".

(٦) المرجع السابق ١٢٩/١، من مقالة "الصدق والكذب".

(٧) المرجع السابق ٩٩/١، من مقالة "رسالة الغفران".

ـ يخاطب لرم َ ويلقي باللوم على شركائه في جرمه.

(٦)- " شريكك في الجريمة حكومتك، لأ ّ ا كانت تعلم أنّ الجريمة هي الحلقة ..."[١].

ـ يتحدّث على لسان زهير بن أبي سلمى عندما التقاه يوم الحساب.

(٧)- "كنتُ في جاهليتي أترقّب مبعث محمد"[٢].

فالعنصر الإشاري الشخصي في الملفوظ (١) يشير إلى "فتاة" وهو ثابت داخل لتمع اللغوي الواحد مهما نوّعنا في محيط تلفظه[٣].وأمّا الملفوظان (٢) و (٣) فهما يحويان ضمائر منفصلة حاضرة دالّة على شخص، فالعنصر الإشاري "أنا" في الملفوظ (٢)يدل على المنفلوطي نفسه؛ حيث ميّزه السياق، وأمّا العنصر الإشاري في الملفوظ (٣) "أنت"فهو يدلُّ على المحزون الذي يواسيه الكاتب. ويحوي الملفوظ (٤) ثلاثة عناصر إشارية "أنت" الذي يشير إلى القارئ الذي كتب يشكو له حاله مع الصدق، و "ياء المتكلم" التي تشير إلى الكاتب، و"أولئك" حيث يشير المنفلوطي ذا العنصر الإشاري إلى م َ ن ْ يعدُّهم الناس سعداء.وأمّا الملفوظات (٥) و(٦) و(٧) فهيتحوي ضمائر متصلة حاضرة أيض ً ا، فالعنصر الإشاري (نا) في الملفوظ (٥)يدلُّ على الكاتب وصديقه، والعنصر الإشاري "كاف الخطاب" في الملفوظ (٦) تدلُّ على لرم، والعنصران الإشاريان "تاء المتكلم" و "ياء المتكلم" في الملفوظ (٧) يدلان وفق السياق على الشاعر زهير بن أبي سلمى.

٢-٢-٣-٢ الإشاريات المكانية (Spatial Deixis):

وهي عناصر تشير إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان التكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطَب أو السامع أو [القارئ]، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرب ً ا أو بعد ً ا أو جهة[٤].

ومن أبرز العناصر الإشارية المستخدمة "هنا" للإشارة إلى المكان القريب، و "هنالك" للإشارة إلى المكان البعيد.

---

(١) المرجع السابق ١١٩/١، من مقالة "أفسدك قومك".

(٢) المرجع السابق ١٠٥/١، من مقالة "رسالة الغفران".

(٣) انظر قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٢٢.

(٤) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٢١.

كما تدخل في العناصر الإشارية مجموعة اسمية محددة باسم إشارة، نحو "هذه المدينة" [1].

يطمحو الكاتب فجر ً ا على صوت هرة تموء قد حُ بست في غرفته.

(٨)- "*ا هتذكرت أنَّ كثير ً ا من أسرى الاستبداد من بني الإنسان لا يشعرون بما تشعر به الهرة المحبوسة في الغرفة*"[2].

لـيذهب الكاتب باحثً ا عن صديقه في منزله بعد أن عاد من سفرٍ طويل، فلا يجده.

(٩)- " *هنالك فرت من الوجد دموعً ا لا يذرفها إلا من قلَّ نصيبه من الأصدقاء*"[3].

لـ يرى الكاتب في منامه مدينة مثالية تقوم على العدل والصدق، وتخلو من الظلم والكذب.

(١٠)- " *تلك هي مدينة السعادة التي رأيتها فأحببتها وأحببتُ العيش فيها*"[4].

يبدأ الملفوظ (٨) بعنصر إشاري مكاني "هنا" حيث يشير الكاتب من خلاله إلى "غرفته" التي اُعتمد في تفسيرها على مكان التكلم وفي زمنه، ولهذا فإنَّ المنفلوطي يستخدم هذا العنصر للدلالة على المكان القريب الذي يتمثل في غرفته، وحيث يتواجد.

أمَّ ا الملفوظ (٩) فيبدأ بعنصر إشاري مكاني: "هنالك" للإشارة إلى مكان بعيد؛ وهو "منزل صديقه" حيث إنَّه لحظة التلفظ لم يكن ً ا منه، وإنمَّ ا جاء لاحقً ا حينما شرع في حكاية القصة.

ويمثل الملفوظ (١٠) من خلال العنصر الإشاري المركب في قوله: "تلك هي مدينة السعادة" عنصر ً ا إشاريا يشترك فيه اسم إشارة "تلك" واسم "مدينة"، وهذا الاسم قد جاء حاملاً لمدلول مستقل عن مقام التلفظ.

٢-٢-٣-٣ الإشاريات الزمانية (Temporal Deixis):

وهي كلمات تدلُّ على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمن التكلم، فزمن التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام؛ فإذا لم يُعرف زمن التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ[5]. وهذا النوع يحوي ظروفً ا زمانية، وأسماء أزمنة، وأفعال العربية الزمانيَّة الثلاثة.

---

(١) انظر قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٢٣.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٣٤/١، من مقالة "الحرية".

(٣) المرجع السابق ١٧٥/١، من مقالة "غرفة الأحزان".

(٤) المرجع السابق ٨١/١، من مقالة "مدينة السعادة".

(٥) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ١٩.

ـ يتحدث الكاتب عن ألمه وهو يدفن ابنه بعد أن قدَّر الله عليه وفاة ثلاثة أبناء قبله.

(١١)- " *الآن* نفضتُ يدي من تراب قبرك يا بني"[١].

ـ يحكي للقارئ قصته مع الشعرة البيضاء الوحيدة التي ظهرت في مفرق رأسه.

(١٢)- " *مررت صباح اليوم* أمام المرآة، فلمحت في رأسي شعرةً بيضاء"[٢].

ـ يستشهد للقارئ بقصة الرجل الغني الذي فرَّط في جنب الله وفي جنب زوجه وولده.

(١٣)- " *في ليلة من ليالي الشتاء* حالكة الجلباب(...) *أفاق* صاحب القصر من غشيته"[٣].

ـ يتحدَّث الكاتب على لسان أبٍ يخاطب ابنه ويؤمله بمستقبل واعد.

(١٤)- " *تكون غدًا* ابني مديرً اكهذا المدير"[٤].

يحوي الملفوظ (١٤) عنصرًا إشاريا زمانيا أو مركز إشارة زمنية آنية، هو "الآن"، ومفاد ذلك أنَّ الكاتب يتلفظ به لحظة المحتوى القضوي.

وربما كان من المستحيل أن يكون الكاتب في لحظة كتابيَّة في ذات الوقت الذي ينفض فيه يديه من التراب، **في حين أن عنصر الزمن في لحظة كتابة ذلك، فتستخدم صيغة الحال للدلالة على المضي، فينشأ بينهما تعقيدات لا تحلُّها إلا المعرفة بسياق الكلام ومرجع الإشارة، فالزمن النحوي لا يطابق الزمن الكوني في كثير من أنواع الاستعمال، وعليه يمكن التغاضي عن ذلك باعتبار الزمن الذي يقوم فيه المتكلم بإنتاج الكلام مستعملاً العنصر الإشاري "الآن"، فمن الأهمية بمكان التمييز بين لحظة كلامية وبين لحظة كتابية**[٥].

أمَّا الملفوظ (١٢) فهو يشير إلى دلالتين زمانيتين، تتمثل الأولى في الفعل الماضي "مررت" لتدلَّ على أنَّ زمن الفعل قد انقضى، والثانية في "صباح اليوم" لتشير إلى أنَّه قريب عهد بالحدث، وهذا بدوره يحدد أو يقرِّب المتلقي من معرفة وتفسير لحظة التلفظ التي ربما كانت "مساء ذلك اليوم". ويشير الملفوظ

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٥٦/١، من مقالة "الدفين الصغير".
(٢) المرجع السابق ١٥٦/١، من مقالة "الشعرة البيضاء".
(٣) المرجع السابق ١١١/١، من مقالة "عبرة الدهر".
(٤) المرجع السابق ١٦٨/١، من مقالة "الانتحار".
(5) Livinson, Stephen C, Pragmatics p 73.
وانظر نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٢١.

(١٣) من خلال عنصرين زمانيين "ليلة من ليالي الشتاء" والفعل الماضي "أَفَاقَ " إلى كون الحدث قد حصل في الماضي، وإلى أنَّتلك الليلة قد جاءت مُنكَّرةً لاستغراق الإبام، فهي ليست محددة القرب أو البعد، غير أنَّ الكاتب قد تركها دون تحديد لأسباب فنية ولعدم مركزيتها في قصته، فكلُّ ما يمكن القارئ معرفته أنَّ مركز الإشارة الزمنية في ليل وليس ارًا، وأنَّه زمنٌ قد مضى.وفي الملفوظ (١٤) يتمثل العنصر الإشاري الزماني في "السين" اللاحقة بالفعل المضارع التي تحصره فيما يستقبل من الزمان، بالإضافة إلى العنصر غدًا "الذي يشير هو الآخر إلى حدث لم يتحقق بعدُ ، فمركز الإشارة الزمانية في هذا الملفوظ يشير إلى أنَّ المحتوى القضوي "التحول إلى مدير" لم يتحقق بعدُ في لحظة التلفظ، وما تحقق فعلاً هو الأمل باستشراف المستقبل، كما سيأتي في الأفعال الإنجازية.

٢-٢-٣-٤ الإشاريات الاجتماعية (Temporal Deixis):

ترد الإشاريات الاجتماعيةعادةً تحت مباحث إشاريات الخطاب، وهي تدور حول ما ينبغي التقيُّد به من عبارات تستدعي جوانب من بنية اللغة التي تعمل على مطابقة المنزلة الاجتماعية بين المشاركين على نحو لائق بأدوارهم أو علاقاتم الاجتماعية، إنَّا عناصر إشارية تعتمد على الأعراف الاجتماعية الملائمة أكثر من اعتمادها على المدلولات اللغوية الخالصة، كتلك العبارات التي تقيمعتبارًا لمقام التأدب في الخطاب، أو الألقاب الدالة على الحميمية من عدمها، أو المستويات الرسمية و التشريفية[١].

يتحدَّث المنفلوطي على لسان صيَّاد فقير يخاطِب رجلاً ميسورًا من عِلية القوم في مجتمعه.

(١٥)- " *ولا أكتمك يا سيدي أنَّني لا أستطيع الجمعَ بين توحيد الله، والاعتراف بالعظمة لأحدٍ من الناس*"[٢].

يخاطب الكاتب فتى حزينًا منزويًا في ركن من أركان أحد الأندية.

(١٦)- "*سألته: ما بالك أيُّها الصديق*؟"[٣].

يخاطب الكاتب قرَّاءه معنفًا لرمين وأفعالهم وشركاءهم.

(١٧)- " *أيُّها لرم الفاتك الذي يسلب الخزائن نفائسها*"[٤].

---

(1) See Livinson, Stephen C, Pragmatics pp 89-90.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٦٤/١، من مقالة "الصيَّاد".

(٣) المرجع السابق ٨٤/١، من مقالة "إلى الدير".

(٤) المرجع السابق ١١٨/١، من مقالة "أفسدك قومك".

لـ يخاطب طلاب المدارس الذين أخفقوا في دراستهم فأقدم بعضهم على الانتحار.

(١٨)- "*أيُّها الناشئ لقد جهل أبوك، وغشَّك أستاذك، وخدعك هذا اتمع الفاسد*"[١].

لـيخاطب الكاتب ابنه وهو على فِراش الموت.

(١٩)- "*رأيتك يا بنيفي فراشك عليلاً فجزعت*"[٢].

لـرجل غني يأمر عبدَه واسمه بلال بالتوقف عن إلقاء اللوم عليه بتردي أحوال أسرته.

(٢٠)- "*حسبك يا بلال؛ فقد بلغت مني*"[٣].

يأخذ العنصر الإشاري الاجتماعي في الملفوظ (١٥)شكل لقبٍ اجتماعي يوحي بأنَّ المتلقي أرفع منزلة منالمرسل، فطبقًا للأعراف الاجتماعية لا ينادي أحدهم الآخر بـ "يا سيدي" إلا حينما يكون ذا مكانة اجتماعية مرموقة.أمَّا الملفوظ (١٨)فهو يحوي عنصرًا إشاريًّا يكون فيه كلٌّ من المرسل والمستقبل في منزلة سواء "أيُّها الصديق"، فالصداقة في العرف الاجتماعي تعني الرباط الحميمي الذي يضع الكلفة بين الأفراد.ويُظهر الملفوظ (١٧)لونًا تعنيفيًا ذا دلالة اجتماعية عرفية تغيب فيها الحميمية من قِبل المرسل عندما يناديه " أيُّها لرم". وفي الملفوظ (١٨)يكون المرسل أعلى منزلةً من المتلقي، حينما يناديه بـ "أيُّها الناشئ" فهي العرف الاجتماعي تحمل بُعدًا توجيهيا من شخص "مرسل" ذي خبرة في الحياة إلى شخص "مستقبل" في مقتبل عمره تنقصه التجربة في الحياة.كما يُظهر الملفوظ (١٩) في العنصر الإشاري الاجتماعي "يا بني" مقام الأبوة وما يكتنفها من تودد وعطف ورحمة. وعلى النقيض منه العنصر الإشاري الاجتماعي في الملفوظ (٢٠)حيث جاء مجردًا من الألقاب توحي بحدَّة قول تدل على غياب الجانب الحميمي بين العبد وسيده.

٢-٢-٤ البعد التنغيمي والإيمائي:

يرى أوستين أنَّ أهم نقطة ينبغي إثارا في دراسة الأفعال الكلامية إزاء المعجم والنحو هي مسألة تحسين الصوت وإيقاعه وتنغيمه؛ إذ يمكن أن يحُاكى ويُقلد كما يمكن أن يتجدد حصوله، ويدخل في ذلك تجميل الصوت وتنغيمه، والغمز بالعين وحركات الجسم وإشاراته[٤].

(١) المرجع السابق ١٦٩/١، من مقالة "الانتحار".

(٢) المرجع السابق ٥٦/١، من مقالة "الدفين الصغير".

(٣) المرجع السابق ١١٣/١، من مقالة "عبرة الدهر".

(٤) انظر أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة ١١٧.

ويقصد بالتنغيم ذلك الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة بحسب ما يقتضيه المقام التواصلي، وهو ظاهرة شائعة في معظم اللغات الإنسانية، فالتنغيم في اللغة العربية يقوم بوظيفة تمييزية واضحة بين الجملة التقريرية والجملة الاستفهامية والجملة المنفية ... إنَّه نوع من التلون الصوتي الذي يكسو به المرسل نطقه للجمل أو العبارات، فتبدو هابطة النغمة أو عالية أو متوسطة أو قصيرة أو لينة أو خشنة[١].

ويتجسد البعد التداولي في التنغيم عبر نبر الكلمات في الجملة، أو كلمة واحدة في الجملة، لإظهارها على بقية كلمات الجملة، فيبدو سياقيًا دلاليا، ولا يكون في الجمل إلا لمعنى؛ حيث يعمد المرسل إلى استعمال التنغيم، للتركيز على جزء من الخطاب الذي هو محط العناية، كما يستدعيه السياق، وقد يكون هدف المرسل هو إثارة انتباه المتلقي، وتوجيه ذهنه إلى مناط اهتمام المرسل في خطابه[٢].

وتُصنَّف هذه النغمات وفق مستويات الثبات والتغير صعودًا وهبوطًا إلى خمسة أنواع[٣]:

١- النغمة المستوية، ورمزها: (———).

٢- النغمة الصاعدة، ورمزها: (↖).

٣- النغمة الهابطة، ورمزها: (↙).

٤- النغمة الصاعدة الهابطة، ورمزها: (∩).

٥- النغمة الهابطة الصاعدة، ورمزها: (∪).

وتؤدي كل نغمة من هذه النغمات دورًا تداوليا وفق ما أطلق عليه تمام حسَّان الموازين التنغيمية[٤]، وهي كالتالي:

١- الإيجابي الهابط، ويستعمل في تأكيد الإثبات وتأكيد الاستفهام بكيف وأين ومتى، وبقية الأدوات عدا هل والهمزة، نحو:

لـ يصف الكاتب مدى تفاوت مقاييس الجمال بين الناس.

---

(١) بدوح، حسن، المحاورة مقاربة تداولية ٩٤.

(٢) الشهري، عبدالهادي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ٧١ -بتصرف-.

(٣) قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات ١٦٧.

(٤) حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة ١٦٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ب.ط، ١٩٩٠م .
وانظر قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات ١٦٨.

- إنَّ كثيرًا من الناس يستحسنون الأنف الصغير في الوجه الكبير"[1].

شكوى أحد القرَّاء إلى المنفلوطي جوَعُ أحد الطلبة بعد سقوطه في امتحان البكالوريا، ورفضه تعزية الناس متذرعًا بعدم قدرته على ملاقاة من حوله بعد إخفاقه.

- "كيف أستطيع معاشرة إخواني ومعارفي؟ وكيف أستطيع مقابلة والدي وأهلي؟"[2].

يصف حلمه الذي رأى نفسه فيه واقفًا في المحشر يوم الحساب، وقد اعترض دخوله إلى الجنَّة خازنا رضوان.

- "أين جوازك؟"[3].

٢- الإيجابي الصاعد، ويستعمل في تأكيد الاستفهام بل أو الهمزة.

يخاطب القارئ معاتبًا في البشرية غياب الرحمة عنها.

- أتدري متى يكون الإنسان إنسانًا؟"[4].

يصف حلمه يوم الحساب، وقد التقى الشاعر عدي بن زيد العبادي، فيسأله[5].

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١/١٧٠، من مقالة "الجمال".

(٢) المرجع السابق ١/٢٤٢، من مقالة "الجزع".

(٣) المرجع السابق ١/١٠٠، من مقالة "رسالة الغفران".

(٤) المرجع السابق ١/٩٣، من مقالة "الرحمة".

(٥) هو شاعر من القرن الخامس الميلادي، كان من دهاة الجاهليةو كان نصرانيا من أهل الحيرة، فصيحا يحسن العربية والفارسية. هو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى الذي جعله ترجمانا بينه وبين العرب، فسكن المدائنولما مات كسرى وولي الحكم هرمز الرابع أعلى شأنه ووجهه رسولا إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هند بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان الثالث بما أوغر صدره فسجنه وقتله بأن خنقه النعمان بنفسه في السجن.

(الموسوعة الحرة ويكيبيديا، بتاريخ ٢٠١٤/٧/٢٦م، الرابط:

(http://ar.wikipedia.org/wiki/عدي_بن_زيد_العبادي

- "هل لك علم بجماعة الشعراء والرواة"(١).

٣- النسبي الهابط، ويستعمل في الإثبات غير المؤكد كالكلام الجاري في التحية والنداء.

ـ يخاطب قارئًا شكا إليه ما آل به صدقه من تبعات أدخلته السجن.

- "أيُّها السجين الشريف"(٢).

٤- النسبي الصاعد، ويستعمل في الاستفهام بلا أداة، أو بل أو بالهمزة.

ـ يخاطب أحد القرَّاء مواسيًا له بعد أن تسبب صدقه في دخوله السجن.

- "أيحزنك انصراف الأغنياء عن حانوتك؟ وأنت تعلم أنَّ الفاضلين قد بذلوا قبلك أكثر مما بذلت؟"(٣).

٥- السلبي الهابط،ويستعمل في الكلام الجاري في الأسف والتحسُّر والتسليم، مع خفض الصوت.

ـ يعود الكاتب إلى فراشه بعد أن ساعد هرة حُبست في غرفته، فيتذكر أحوال البشرمتأسفًا.

- "ليست جناية المستبد على أسيره أنَّه سلبه حريَّته، بل إنَّ جنايته أنَّه أفسد عليه وجدانه"(٤).

٦- السلبي الصاعد، ويستعمل في التمني والعتاب، مع نغمة ثابتة أعلى مما قبلها.

ـ تململ الكاتب من طول الليل بعد أن فجع بفقد أبنائه.

- "ليت الليل لم يطلع حتى أرى وجه النهار، بل ليت النهار يأتي فقد مللت هذا الظلام"(٥).

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٠٣/١، من مقالة "رسالة الغفران".
(٢) المرجع السابق ١٢٩/١، من مقالة "الصدق والكذب".
(٣) المرجع السابق والصفحة.
(٤) المرجع السابق ١٣٥/١، من مقالة "الحريَّة".
(٥) المرجع السابق ٥٨/١، من مقالة "الدفين الصغير".

أمَّا البعد الإيمائي التداولي فيتجلى حين يعمد المنفلوطي عند التلفظ بخطابه إلى استثمار أكثر من علامة، من خلال المزج بينها في الخطاب، ويعتمد تحديد ذلك على السياق، مثل العلامات غير اللغوية التي تصحب اللغة الطبيعية، كاستعمال الإشارات الجسدية أو نظرات العين[1].

و هالإيماءات التي ترد في الملفوظ إنَّما تقدِّم توضيحاً لبعض السياقات والمقامات غير اللغوية الغائبة في الجانب التلفظي الكتابي الهش، كما أنَّها تعد صورة سيميائية تتضمن أفعالاً لغوية غير صريحة تحوي بدورها قوى إنجازية.

ولو نُظر إلى الملفوظين التاليين:

لـ يصف فتاة صغيرة بائسة رآها عند زيارته لحاكم البلدة زوَّجها ذووها لرجل متوحش.

(١) تُدير في الحاضرين عيوناً حائرة مضطربة "[2].

علو الكاتب على صديقه الذي غيَّبه الدهر عنه، وقد بدا عييًا سقيماً.

(٢) فأشار إليَّ أنَّه يجب النهوض، فمددت يدي إليه، فاعتمد عليها حتى استوى جالساً"[3].

يظهر الملفوظان السابقان في شكل عبارات إيمائية سيميائية عوضاً عن العبارات اللغوية الإنجازية الصريحة، كما يعوض المنفلوطي غياب قارئه عن المقام مما هو خارج اللغة بإثراء مقام التلفظ بملفوظات إيمائية، فتلك الفتاة في الملفوظ (١) أظهرت نظرا التي تنقِّلها بين الحاضرين قوة إنجازية ضمنيَّة تمثلت في الاضطراب والحيرة والخوف. وأمَّا الملفوظ (٢) فقد عبرَّت الإشارة عن طلب المساعدة، وقد حظي هذا الطلب باستجابة تمثلت في فعل تأتيري إيمائي آخر، هو "مدُّ اليد" الذي حمل قوة إنجازيَّة هي الموافقة على المساعدة.

٢-٣ الجهاز الشكلي:

يرى بينفنيست أنَّ العناصر الإشارية بمثابة علامات لحدث التلفظ، وتأويلها يتطلب معرفة مجموعة ثابتة من مقاييس مقام المحادثة. من أجل هذا فإنَّ صيغة وضعها في علامة مع الحقيقة خارج اللسانية هي التي تحدد طبيعة هذه العناصر، وبوجه آخر وظيفتها المرجعية، وكل محادثة هي ممارسة وتوظيف لذوات حقيقية ملموسة (هذه جامعتكم)، أو خيالية (دينصور)، التي تشكل موضوعات التبادل

(١) الشهري، عبدالهادي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ٧٢ .

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٥٢/١، من مقالة "البائسات".

(٣) المرجع السابق ١٧٧/١، من مقالة "غرفة الأحزان".

اليومي في المحادثة، وهذه الذوات تسمى مراجع (References) وتحديدها يتم بإنجاز فعل مرجعي (Reference act)[1].

وهو ذاته ما يشير إليه سيرل في المواقف التلقائية التي تشمل وجود عالم واقعي يوجد بشكل مستقل عنا، وبمعزل عن تجاربنا، وأفكارنا، ولغتنا. كما أنَّنا نتلقَّاه إدراكيًا مباشرًا للدخول في العالم من خلال حواسنا، لا سيما اللمس والرؤية. والكلمات في لغتنا من نوع (شجرة) و (أرنب) لها معانٍ واضحة بصورة معقولة، وبسبب معانيها يمكن استخدامها للإحالة والحديث عن الأشياء الواقعية في العالم[2].

إنَّ أمثل نموذج يمكن أن يُتَّخذ كمعيار لتوضيح هذه الإحالة المرجعية على العالم الخارجي تتمثل في المثلث السيميائي الدلالي لكلٍّ من أوجدن وريتشارد اللذين طورا من خلاله ما يمكن تسميته بالنظرية الإشارية في رسم يميز ثلاثة عناصر مختلفة للمعنى، دون وجود علاقة مباشرة بين الكلمة كرمز، والشيء الخارجي الذي تعبر عنه.

جاء في النظرات في مقالة يوم الحساب استعراض المنفلوطي لحلم رأى فيه أنَّه انتقل من العالم الأول إلى العالم الثاني، حيث التقى صاحبًا له هناك، وظلا ينظران إلى أصناف الناس بين ذاهب إلى جنة أو نار، وبين سعيد أو شقي، قبل أن يشير إليه صاحبه إلى رجلين يتناجيان أحدهما شيخ جليل أبيض اللحية وآخر كهل نحيف، فلمَّا دققا النظر، فإذا بالأول رجل الإسلام "محمد عبده" والآخر رجل المرأة "قاسم أمين" فجلس وصاحبه يسترقان نجواهما، وهما يتجادلان، فيقول أمين معاتبًا عبده: أوَّلت لهم بعض آيات الكتاب، فاتخذوا التأويل قاعدة حتى أوَّلوا الملك والشيطان والجنَّة والنار! وبيَّنت لهم حكم العبادات وأسرارها، وسفَّهت لهم رأيهم في الأخذ بقشورها دون لبا ..."[3].

فملفوظات من مثل: "الملك، الشيطان، الجنة، النار" جميعها تحيل إلى عالم خارجي غير لساني، وتؤدي وظيفة مرجعية والمتلقي بدوره يملك إدراكًا من خلال حواسه يستطيع به تمثل هذه الرموز بعد إحالتها إلى عالمه الخارجي.

---

(١) قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ١٨.

(٢) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع ٢٣.

(٣) انظر المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١/١٤٨-١٥٤.

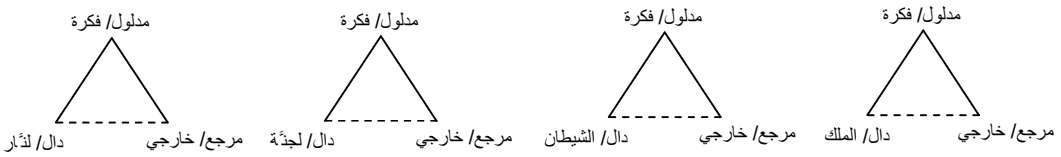

الشكل (٣-٢-١٠)

ومن الملفوظات الخيالية التي يتفنن المنفلوطي في رسمها كثيراً، تلك الذوات المازية الخيالية التي تفسح المال رحباً لتصورات المتلقي الذي يحاول ربطها بمراجع خارجية من خلال قرائن لصور معقولة مجازياً في ذهنه.

يقول المنفلوطي مخاطباً الغد[١]:"*أيُّها الملثَّم بلثام الغيب، هل لك أن ترفع عن وجهك هذا اللثام قليلاً لنرى صفحة واحدة من صفحات وجهك المقنَّع؟*".

فتجارب المتلقي وتصوراته المنطقية في عالمه الخارجي الواقعي لا تسمح له بأن يعتبرالغد إنساناً أو ذاتاً تسمع من يخاطبهلحرفياً لولا تلك القرائن "لثام" و "وجه" التي جعلته يحيل تلك الإشاريات إلى عالم خارجي متخيَّل، ليتصور الغدرجلاً يخاطبه المنفلوطي كما لو كان يحس بما يقوله.

ويمكن تفسير هذا الملفوظ المازي والخيالي لدى المنفلوطي من خلال ما أطلق عليه سيرل "الفعل غير المباشر" عبر تصورات تعنى باتجاه الملاءمة من العالم إلى العقل[٢]؛ حيث يوجِّه سيرل اهتمامه إلى تفسير الافتراض الذي اقتضى منه التمييز بين عمل لا قولي مباشر، هو العمل الأولي المقصود من القول والذي تكون دلالته دلالة حرفية، وعمل لا قولي غير مباشر، هو العمل الثانوي المتحقق في القول، والذي تكون دلالته غير حرفية؛ حيث يبلغ المرسل إلى المتلقي أكثر ممَّا يقوله من خلال التعويل على ما يتقاسمانه من معلومات مشتركة خلفية لغوية وغير لغوية في آن واحد مع القدرات العامة للتفكير السليم أو العقلاني والاستدلال من جهة المتلقي[٣].

(١) المرجع السابق ٤٨/١، من مقالة "الغد".

(٢) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع ٢٢١.

(٣) التهامي، ريم، الاقتضاء وانسجام الخطاب ٤١٤.

وعلى هذا الأساس استخلص سيرل عشر مراحل تمكنه من الانتقال من العمل الأولي إلى العمل الثانوي[1]، ومن خلال ملفوظ المنفلوطي يمكن تحليلها وتطبيقها وفق التالي:

١- يتواصل المنفلوطي معي من خلال مخاطبة الغد (مقام أدبي).

٢- أفترض أنَّه يتعاون في هذا الملفوظ، فإذن لملفوظه هدف أو غرض يقصده (تطبيق مبدأ التعاون لدى جرايس).

٣- ليس في ظروف الملفوظ ما يدل على فائدة نظرية بقدرته على مخاطبة الغد (معلومة خلفية مشتركة).

٤-أضف إلى ذلك أنَّ المنفلوطي يعلم بأنَّ المتلقي قد يعلم بأنَّ مخاطبته للغد غير ممكنة (معلومة خلفية مشتركة) تسهل الانتقال إلى مرحلة "٥" ولكنَّها ليست أساسية).

٥- إذن قد لا يكون ملفوظه على الحقيقة، فقد تكون له قوة إنجازية أخرى (هنا يكون الاستدلال من المرحلة "١"و"٢"و"٣"و"٤") فما هي القوة الإنجازية الممكنة من قول المتكلم؟

٦-إنَّ الشرط التمهيدي لأيِّ عمل توجيهي غير مباشر هو قدرة المتلقي على إنجاز العمل (تصوره)الذي يمثل محمولاً في شرط المحتوى القضوي (أحد شروط سيرل للمحتوى القضوي).

إذن يخاطب المنفلوطي الغد بكونه شبحاً مستلزماً جواباً إثباتياً في أن يكون الشرط التمهيدي لملفوظه مجازياً (الاستدلال من المرحلة "١" إلى "٦").

٨أنا الآن أقرأ مقالاً أدبياً، وعادة ما يخاطب الكتَّاب أشياء على غير الحقيقة (معلومة خلفية مشتركة).

٩- إذن أللمنفلوطي إلى توفر الشرط التمهيدي لإمكانيَّة مخاطبة الغد مجازاً، فقد يكون يريد مني أن أوجد شرط الامتثال بالقبول (الاستدلال من المرحلة "٧" إلى "٨").

١٠- إذن، في حالغياب أيِّة قوة إنجازية معقولة، فقد يكون المنفلوطي أراد بمخاطبته للغد باعتباره شبحاً متلثماً ملفوظًا مجازياً خيالياً على غير الحقيقة (الاستدلال من المرحلة "٥" إلى "٩").

كما يقع تحت طائل الجهاز الشكلي ما أطلق عليه د. مارتن (D.Martin) الفاعل المنطقي في كتابة: من أجل منطق للمعنى، فالفاعل المنطقي هو البرهان الذي نحتاج إليه لنقررشيئاً آخر غير اللغة

(١) انظر المرجع السابق ٢١٤-٢١٦.

في مقابل اللغة؛ لأنَّ أي لغة يجب أن تقوم على شيء آخر غير ذاا مع أا تستطيعأيضاً أن تقدمشيئاً في هذا اال، كما يبينه الاستخدام الماوراء لغوي (Metalinguistics) للألسن الطبيعية[١].

وهذا ما ينطبق في اللغة العربية على الفعل المبني للمجهول، واسم المفعول، وبالنظر إلى الملفوظين التاليين:

- "*إنَّ البذورتُلقى في الأرض فلا تنبت إلا إذا حرث الحارث تربتها*"[٢].
- *إنَّ علماء الضاد الذين عرَّفوا الشعر بأنَّه الكلام الموزون المقفَّى لم يكونوا شعراء*"[٣].

فالفاعل وفق التركيب غير مذكور في تُلقى" و "الموزون" و "المقفَّى"، وهذا بدوره يحيل إلى فاعل منطقي في العالم الخارجي، فمن يلقي البذور هو حارث الأرض، ومن يزن ويقفِّي الشعر هو الشاعر؛ حيث تُركِّب المدلولات في هذين الملفوظين على أشياء العالم، فالفعل المبني للمجهول واسم المفعول يعدَّان أثراً للعملية التعيينية، وترسيخ لماقيل في العالم، أو بعبارة أخرى هما برهان على تلك الإسنادات التي تنقلها تلك الملفوظات، أو هو الفاعل المنطقي[٤].

ولهذا يقرر ديكرو بأنَّ الشغل الشاغل للتداولية هو إبراز أنَّ اللغة وسيلة لتحقيق أفعال معيَّنة، وأنَّ الملفوظ -وليس الجملة- هو الذي يبين علاقة اللغة بالعالم[٥].

---

(١) سيرفوني، جان، الملفوظية ٣٣.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٩٠/١، من مقالة "الرحمة".

(٣) المرجع السابق ١٣١/١، من مقالة "الناظمون".

(٤) انظر سيرفوني، جان، الملفوظية ٣٤.

(٥) بدوح، حسن، المحاورة مقاربة تداولية ١٥.

٣-يئظ تلا امد عبل ا:

وبركدوسيل . لجيير . يفنت . وأل علن م ل و ق ا ه .. يخا . ما و . سين حقه لاظ ن.مم هـ غو معانٍ ، كانوا ينطلقون من التجربة الإنسانية التي كرَّست مجموعة من القواعد التي تحكم التواصل في مختلف مستوياته، فالتجربة الإنسانية تجعل الأفراد يختزنون مضامين المعلومات خلال تعرضهم في ممارسلم وتفاعلام إلى عدد لا يحصى من التجارب (...)فكل تجربة تتر ك بصملا على شاشة الذاكرة، وتخدم النفس، ولهذا يسهل على الأفراد استنتاجها من الأقوال والأفعال أو الظواهر أو الكيانات بواسطة عمليات ذهنية استدلالية تشغل كل الإمكانات التي يتوفر عليها الذهن البشري[١].

اقترح ديكرو اعتبار الاقتضاء [فعلاً كلاميلا] أنَّ له آثار ً ا شبيهة بتلك التي لسائر [الأفعال الكلامية][٢]، ففي كل تواصل لساني ينطلق شركاء التواصل من معطيات و افتراضات معترف ا ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة[٣]، وللاقتضاءدوران مهمَّان، الأول منهما معرفي ذو ظاهرة لها علاقة بتكوين النص، وفهم أجزائه المكونة للعمليَّة التواصلية التي تتم بين الكلام المنطوق والمسكوت عنه خصوص ً ا تدرك بالقرائن وإيحاءات الكلام، وآخر لغوي يتصل بالأغراض اللغوية التي لها علاقة بالمدرك الحرفي والمدرك الذهني[٤].

وحتى يتمَّ تواصل المنفلوطي مع القارئ، فإنَّه يعمد إلى تقديم إلماحات لغوية تشكل تلك الافتراضات المسبقة من خلال هذين الدورين، ليهيئ الطريق لإيجاد خلفية تواصلية بينه وبين من يتلقى خطابه مع إدراكه بأنَّ المتلقي سيستطيع وفق تجاربه وإمكانات ذهنه البشري أن يتأول تلك المضامين، و هذه الاقتضاءات لا تظهر في الإطار التلفظي للمقالة التي وردت فيها،وإنمَّا هي مدوَّنة في الملفوظ ذاته، ويقدِّم من خلالها المنفلوطي أكثر مما يقوله، في حين يتلقَّى القارئ أكثر مما يقرأه.

فليس من المقبول في خطاب اللغة الطبيعية أن يتناول الكاتب كلَّ صغيرة ليست بذات أهمية، وإنمَّا يحمل هذا الخطاب قواعد تداولية، تجعله يصرف تلك الملفوظات غير ذات الأهمية التي تشكل حشو ً ا لا فائدة منه؛ حيث تضطلع مفاهيم "الاقتضاء"بدورٍ في إيضاحها عبر السياق اللغوي.

---

(١) عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير ٤٩-٥٠.

(٢) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ١٥٠.

(٣) صحراوي، مسعود، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ٤٣.

(٤) كروم، أحمد، أدوار الاقتضاء وأغراضه الحجاجية في بناء الخطاب، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ١٤٣/١-١٤٥.

إنَّ الميزة الأبرز في الاقتضاء اللساني التداولي تكمن في عدم اقتصار البحث فيه على قيم القضايا في الجملة الخبريَّة كما يعمد المناطقة، بل إنَّه يراعي تلك الاشتراطات التي تحظى بها الأفعال اللغوية عامة في علاقتها بين المشاركين في عملية التواصل(١).

وبذا نكون أمام ضرورتين حتميتين في نجاح عملية تواصل المنفلوطي مع قرائه، هما: قدرة المنفلوطي على تقديم خطابه الأدبي في ملفوظات تحمل طاقاتٍ اقتضائية قابلة للتأويل بناءً على افتراضات ومعتقدات مسبقة، والثانية قدرة قارئ النظرات على فك شفرات هذه الاقتضاءات واستنتاجها وفق ما يختزنه ذهنه من تجارب حياتية سابقة. وبدون هاتين الضرورتين، أو بدون أحدهما، فإن مصير الاستعمال اللغوي (التداولية) في خطابه سيبوء بالفشل.

والحقُّ أنَّ المتأمِّل جيدًا من ملفوظات المنفلوطي جاء محمَّلًا بمثل هذه الاقتضاءات التداوليَّة، سواءً تلك التي تحمل قيم قَضايا إخبارية أو قيمَ قضايا إنجازية.كما يبدو أنَّه كان مدركًا لتلكما الضرورتين؛ حيث يقول في مقدمة النظرات(٢): " من جهل قانون اللغة أغمض الأغراض وألمها".

ويمكن تحليل ذلك بالنظر في الملفوظات التالية:

(١) لـ يحكي المنفلوطي للقارئ قصته مع صديقه الذي فارقه وغاب عنه بعد أن أدمن شرب الخمر:

- *"فرَّق الدهر بيني وبين صديقي"*(٣).

✓ لدى المتكلم صديق عاشره مدَّة من الزمن، والصداقة تقتضي الألفة والإخلاص والوفاء.

(٢) لـ يعبرِّ الكاتب عن بثه وحزنه لفقد ابنه:

-*ما"أسمجَ وجه الحياة من بعدك يا بني"*(٤).

✓ لدى المتكلم ابن قد فقده، ومفردة "الابن" تحمل مدلولات ضمنيَّة، فهو أب وهذا يتضمن معانٍ كالحنان والشفقة.

---

(١) انظر علوي، عبدالسلام إسماعيلي، مالتداوليات؟، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ٢٠-٢١.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٣٦/١.

(٣) المرجع السابق ٥٠/١، من مقالة "الكأس الأولى".

(٤) المرجع السابق ٥٦/١، من مقالة "الدفين الصغير".

(٣) يعبر الكاتب عن استنكاره تقليد المصري الشرقي المسلم المدنية الغربية في كل شيء:

-إنَّ "محاولا على التاريخ المصري أن يعرِّف المسلم الشرقي في مصر من تاريخ بونابارت"[١].

/ وجود تاريخ مصري، يتضمن وجود مؤرخين مصريين.

(٤) ← يحكي قصته مع شيخ يعيش في مدينة مثالية رآه في منامه:

-عرَضتُ على الشيخ أن يزيرني في المدينة"[٢].

/ وجود رجل كبير لديه المعرفة بأحوال تلك المدينة، ولديه القدرة على أن يأخذه إليها.

(٥) ← يتحدَّث على لسان فتى يحكي للكاتب قصة فشله في زواجه:

- هيَّأ لي الحظُّ ملاصقًا"[٣].

/ لدى المتكلم منزل.

(٦) ← يخاطب المنفلوطيالقارئ حاثًا إياه على الرحمة بمن تملك مسؤولية رعايته:

- "ارحم الزوجة أمَّ ولدك وقعيدة بيتك"[٤].

/ المخاطَب متزوج ولديه ولد وبيت، وكلها تتضمن وجود "المسؤولية".

(٧) يخاطب المنفلوطي مجرمًا،ويحمِّل شركاءه مسؤولية جرمه:

- "هؤلاء شركاؤك في الجريمة"[٥].

/ وجود مجرم، وحدوث جريمة، ووجود شركاء في الجريمة.

(٨) ← يحكي شكوى وصلته عبر البريد من أحد القراء:

- "جاءني هذا الكتاب من أحد الفضلاء"[٦].

/ معرفة المتكلم المسبقة بأحد الرجال الفضلاء، وتتضمن مفردة "الفضلاء" الصدق والوقار.

---

(١) المرجع السابق ١٤٦/١، من مقالة "المدنية الغربية".

(٢) المرجع السابق ٧٧/١، من مقالة "مدينة السعادة".

(٣) المرجع السابق ٨٧/١، من مقالة "إلى الدير".

(٤) المرجع السابق ٩٥/١، من مقالة "الرحمة".

(٥) المرجع السابق ١٢٠/١، من مقالة "أفسدك قومك".

(٦) المرجع السابق ١٢١/١، من مقالة "الصدق والكذب".

(٩) لـ يتحدث على لسان أحد قرائه وهو يشكو عدم صدق بعض رجال الدين من المنتفعين:

- "*زفر الشيخ زفرة الغيظ*"(١).

∠ وجود عالم دين.

(١٠) لـ يتحدث المنفلوطي على لسان أحد قرائه، وما لحقه من أذى جراء تمسُّكه بالصدق:

- "*لا أكتمك ياسيدي أني كنت أبغض زوجتي بغضاً لا يتصدَّع له القلب*"(٢).

∠ أنَّ المتكلم متزوجٌ ، والزواج يقتضي الحب والرحمة وإكرام الزوجة.

(١١) لـ يتحدث عن غياب الحرية في العالم الإنساني:

- "*صنع الإنسان القوي للإنسان الضعيف سلاسل وأغلالاً* "(٣).

∠ يحوي العالم صنفين من البشر قوي وضعيف. والملفوظ يقتضي جملة من القيم الإنسانية.

(١٢) لـ يستهجن قصَّة قرأها لأحد الكُتَّاب:

- "*قرأتُ في بعض الملات قصةً* "(٤).

∠ ليس المتكلم أمِّياً .

(١٣) لـ يتناول استشارة من قرائه حول رجل شريف أشفق على امرأة بغي فتزوجها:

- "*أخذته الرأفة بها فتزوجها*"(٥).

∠ لم تكن الفتاة متزوجةً . ويتضمن مفهوم الزوجية الشرف والعرض والرعاية والرحمة.

(١٤) يتحدَّث المنفلوطي عن قصور همَّة بعض النشء، فيورد قصة لأحد الأئمة يسأل ابنه:

- "*أيُّ غايةٍ تطلب في حياتك يابني؟* "(٦).

---

(١) المرجع السابق ١/١٢٣، من مقالة "الصدق والكذب".

(٢) المرجع السابق ١/١٢٤.

(٣) المرجع السابق ١/١٣٤، من مقالة "الحرية".

(٤) المرجع السابق ١/١٨٦، من مقالة "الحب والزواج".

(٥) المرجع السابق ١/٢٢٢، من مقالة "الإحسان في الزواج".

(٦) المرجع السابق ١/٢٤٦، من مقالة "النبوغ".

∠ لا يعلم الإمام بغاية ابنه من الحياةويقتضي أيضاً حرص الأب على ابنه، واستشرافه لمستقبل زاهر مشرق له.

(١٥) ليحكي المنفلوطي للقارئ ما رآه من قصص البؤس لفتيات كُنَّ قد حضرن إلى مجلس الحاكم فراراً من قسوة اتمع عليهن.

زرتُ منذ أيام حاكم بلدةٍ في منزله"[1].

∠ وجود بلدة، ولحاكم لديه منزل، ويحمل الملفوظ أيضاً متضمنات اقتضائية تشير إلى نفوذ ذلك الحاكم، وفتحه باب منزله للناس، وتقريبه لأهل الفضل، وأنَّه متواضع أو أنَّه ليس بفاحش الثراء بدليل أنَّه يسكن منزلاً لا قصراً.

أوَّل أمر ملاحظ في متضمنات القول الواردة في الملفوظات السابقة أنَّ استنتاج القارئ لها يأتي عبر آلية لسانية غير مقامية، وهذا ممَّا يميز الاقتضاء عنالاستلزام الحواري؛ حيث يقدِّم كل ملفوظ تلميحاً يفضي إلى اقتضاء لم يرد صراحةً في الملفوظ والمحتوى القضوي، غير أنَّ السياق اللغوي، والجانب العرفي والافتراضات المسبقة وإعمال ذهن القارئ كلَّها كانت كفيلة بإيضاح تلك الاقتضاءات الضمنيَّة، فالمنفلوطي -و لاعتبارات تداولية- يلجأ إلى الإضمار ثقة منه بقدرة القارئ على فهم تلك الجزئيات الغائبة في الملفوظ،واعتماداً على تلك الإلماحات والقرائن القولية، وذا تكون مهمَّة التأويل واقعة على عاتق كل من المرسل ويمثله المنفلوطي، والمتلقي الذي يتمثل في القارئ.

ففي الملفوظ (١)لم يصرِّح المنفلوطي بعبارة "ليَّ صديق" كما أنَّه لم يصرح بما يقتضيه مقام الصداقة من ألفة وإخلاص ووفاء، غير أنَّ الملفوظ ألمح إلى تلك الاعتبارات في صورة ضمنيَّة، ولو اُختبر شرط عدم تغيرُّ الاقتضاء بتغير السياق وعدم تأثر مضمونهفي أو استفهام أو تشكيك لوُجدأنَّ الاقتضاء ثابت لا يتأثر مضمونه بتغير السياق:

-هلفرَّق الدهر بيني وبين صديقي ∠ لديه صديق يألفه ومخلص له عاشره مدَّة من الزمن.

لم يفرِّق الدهر بيني وبين صديقي ∠ لديه صديق يألفه ومخلص له عاشره مدَّة من الزمن.

أظنُّ أنَّ الدهر فرق بيني وبين صديقي ∠ لديه صديق يألفه ومخلص له عاشره مدَّة من الزمن.

(١) المرجع السابق ٢٥٢/١، من مقالة "البائسات".

والحال ذاته ينطبق على الملفوظ (٢) عند تلوين سياقاته:

هل وجه الحياة سمجٌ من بعدك يا بني؟ ← أنَّبٌ ولديه ابن قد فقده.

- ما سمج وجه الحياة من بعدك يا بني! ← أنَّه أبٌ ولديه ابن قد فقده.

-أظنُّ وجه الحياة قد سمج من بعدك يابني ← أنَّه أبٌ ولديه ابن قد فقده.

فجميع السياقات تؤدي الاقتضاء ذاته وهو أنَّه أب فقد ابناً، وإن كان لم يذكر ذلك صراحة، خلا بعض الإلماحات السياقية اللغوية.

ويحمل الملفوظ (٣) اقتضاءً بعدياً اقتضائيا لا يتأثر مضمونه بتغير السياق:

- هل من العار على التاريخ المصري أن يعرف المسلم الشرقي في مصر من تاريخ بونابارت؟

← وجود تاريخ مصري كتبه مؤرخون مصريون.

-ليس من العار على التاريخ المصري أن يعرف المسلم الشرقي في مصر من تاريخ بونابارت.

← وجود تاريخ مصري كتبه مؤرخون مصريون.

-أظنُّ أنَّه من العار على التاريخ المصري أن يعرف المسلم الشرقي في مصر من تاريخ بونابارت.

← وجود تاريخ مصري كتبه مؤرخون مصريون.

وفي الملفوظ (٤) يبقى الاقتضاء كذلك دون تأثر:

- هل عرضتُ على الشيخ أن يزيرني في المدينة؟

← وجود رجل كبير على علم بأحوال المدينة، ووجود مدينة.

- لم أعرض على الشيخ أن يزيرني في المدينة.

← وجود رجل كبير على علم بأحوال المدينة، ووجود مدينة.

-أظنُّ بأنيِّ عرضت على الشيخ أن يزيرني المدينة.

← وجود رجل كبير على علم بأحوال المدينة، ووجود مدينة.

الملفوظ (٥):

- هل لذالي الحظُّ جاراً ملاصقاً؟ ← لدى المتكلم منزل.

لم يهيئ لي الحظُّ جارً ا ملاصقً ا. ⁄ لدى المتكلم منزل.

أظنُّ-بأنَّ الحظ قد هيَّأ لي جارً ا ملاصقً ا. ⁄ لدى المتكلم منزل.

الملفوظ (٦):

- كيف ترحم الزوجة أمَّ ولدك وقعيدة بيتك؟

⁄المخاطَب متزوج ولديه ولد وبيت ومسؤوليَّة.

- لم ترحم الزوجة أمَّ ولدك وقعيدة بيتك.

⁄المخاطَب متزوج ولديه ولد وبيت ومسؤوليَّة.

- أشك في أنَّك ترحم الزوجة أم ولدك وقعيدة بيتك.

⁄المخاطَب متزوج ولديه ولد وبيت ومسؤوليَّة.

الملفوظ (٧):

- هل هؤلاء شركاؤك في الجريمة

⁄ وجود مجرم، وحدوث جريمة، ووجود شركاء في الجريمة.

- ليس هؤلاء شركاءك في الجريمة.

⁄ وجود مجرم، وحدوث جريمة، ووجود شركاء في الجريمة.

- أشك في أنَّ هؤلاء شركاءك في الجريمة.

⁄ وجود مجرم، وحدوث جريمة، ووجود شركاء في الجريمة.

الملفوظ (٨):

- متى جاءني هذا الكتاب من أحد الفضلاء؟

⁄ معرفة المنفلوطي المسبقة بأحد الفضلاء.

- لم يأتني هذا الكتاب من أحد الفضلاء.

⁄ معرفة المنفلوطي المسبقة بأحد الفضلاء.

- أشك في مجيء هذا الكتاب من أحد الفضلاء.

∠ معرفة المنفلوطي المسبقة بأحد الفضلاء.

الملفوظ (٩):

- هل زفر الشيخ زفرة الغيظ؟ ∠ وجود رجل دين.
- لم يزفر الشيخ زفرة الغيط. ∠ وجود رجل دين.
- أظنُّ الشيخ زفر زفرة الغيظ. ∠ وجود رجل دين.

الملفوظ (١٠):

- متى كنت أبغض زوجتي بغضاً يتصدَّع له القلب. ∠ أنَّ المتكلم متزوج.

لم أكن أبغض زوجتي بغضاً يتصدَّع له القلب. ∠ أنَّ المتكلم متزوج.

أشكُّ في أنِّي كنت أبغض زوجتي بغضاً يتصدَّع له القلب ∠ أنَّ المتكلم متزوج.

الملفوظ (١١):

- كيف صنع الإنسان القويُّ للإنسان الضعيف سلاسل وأغلالاً .

∠ يحوي العالم صنفين من البشر قوي وضعيف.

- لم يصنع الإنسان القويُّ للإنسان الضعيف سلاسل وأغلالاً .

∠ يحوي العالم صنفين من البشر قوي وضعيف.

أشكُّ في أنَّ الإنسان القوي قد صنع للإنسان الضعيف سلاسل وأغلالاً .

∠ يحوي العالم صنفين من البشر قوي وضعيف.

الملفوظ (١٢):

- متى قرأت في بعض الملات قصةً ؟ ∠المتكلم ليس بأُمِّي.
- لم أقرأ في بعض الملات قصَّةً . ∠المتكلم ليس بأُمِّي.

أظنُّ أنِّي قرأت في بعض الملات قصَّةً . ∠المتكلم ليس بأُمِّي.

الملفوظ (١٣):

- هل أخذته الرأفة فتزوجها؟ ∠لم تكن الفتاة متزوجةً .

- لم تأخذه الرأفة بها؛ ولذا لم يتزوجها. ⁄لم تكن الفتاة متزوجةً .

- أظنُّه رأف بحالها فتزوجها. ⁄لم تكن الفتاة متزوجةً .

ومن المهم الإشارة إلى أنَّ الملفوظ (١٤)جاء في صيغة استفهامِ فعلٍ إنجازي غير صريح، وعند تقديره في صيغة الفعل الإنجازي الصريح فإنه يكون:**أسألك أيُّ** غايةٍ تطلب في حياتك يا بني؟".

- هل سألتك:أيُّ غاية تطلب في حياتك يا بني؟

⁄ لا علم للإمام بغاية ابنه في الحياة.

- ألم أسألك عن الغاية التي تطلبها في حياتك يا بني!

⁄ لا علم للإمام بغاية ابنه في الحياة.

-أظنُّ بأنيِّ سألتك عن الغاية التي تطلب في حياتك يا بني.

⁄ لا علم للإمام بغاية ابنه في الحياة.

الملفوظ (١٥):

متى زرتُ حاكمَ البلدة في منزله؟

⁄ يوجد حاكم بلدة ليس بثري يستقبل الناس، ولديه منزل.

-أزلتَ حاكمَ البلدة منذ أيامٍ في منزله؟

⁄ يوجد حاكم بلدة ليس بثري يستقبل الناس، ولديه منزل.

أظنُّ أنيِّ زرت حاكمَ البلدة منذ أيامٍ في منزله؟

⁄ يوجد حاكم بلدة ليس بثري يستقبل الناس، ولديه منزل.

وهكذا يظهر أنَّ جميع الملفوظات السابقة مهما تعددت مضامينها وسياقاتها تقود إلى اقتضاء واحد، وهو ما لا يظهر في النمط الثاني من متضمنات القول، وهو الاستلزامات الحوارية التي تعتمد على الجوانب المقامية غير اللغوية، وبالتالي تتأثر بتغير السياق والمضمون، كما سيأتي.

٤- نو لعتا لمب مقرخ ير احدا لملسلا ا:

ةَّيجلخا ةقعلا وديتة قما دد عَوهف ي "ةاعتلا" و"ير والجامز لسلا ا"ة قيقو ةَّلاعف صد ي ر بلآان ع همدح أ صفا .همز ربد لأل ر نخب ب . سنة يح ؛ الثاني، وسبقت الإشارة[١] إلى أنَّ جرايس عندما عمل على تنظير المبادئ والقوانين التعاونية لم يكن يعني الالتزام والتقيُّد بها، بقدر اهتمامه بالخروقات التي تنالها، تفُولِّد بذلك أشكالاً من أشكال اللغة الطبيعيَّة العاديَّة المتمثل في ظاهرة متضمن قول، هي الاستلزام الحواري.

وما دامت هذه الدراسة تعالج البعد الاستعمالي التداولي فإنَّ التركيز ينصبُّ بطبيعة الحال على ظاهرة الخرق التي ظهرت وبشكل جلي وكثير في ملفوظات المنفلوطي؛ إذ تعتمد لغة الاستعمال العاديَّة على ظاهرة الاستلزام الحواريَّة في توجيه قصد المرسل وتأوُّله من قِبل المتلقي وفق معايير يظهرها المقام خارج اللغة.

يفترض مفهوم الدلالة غير الطبيعية أن لا يخُ تزل دائم ً ا تأويل قول ما في الدلالة اللغوية التواضعيَّة للجملة الموافقة له، فثمَّة فرق بين ما قيل (الدلالة اللغوية التواضعيَّة للجملة) وما تمَّ نقله أو ما تمَّ تبليغه (تأويل القول؛) وعليه فالدلالة هي ما قيل، والاستلزام الحواري هو ما تمَّ تبليغه، ويختلف ما قيل عمَّ ا تمَّ تبليغه[٢].

وبدا رصد سيرل لهذه الظاهرة على أساس أنَّ كثير ً ا من الملفوظات تنجز فعلين كلاميين اثنين: فعلاً كلاميا مباشر ً ا وفعلاً كلاميا غير مباشر؛ حيث ينتقل من أولهما إلى ثانيهما عبر سلسلة من الاستدلالات، وذلك الفعل الكلامي غير المباشر يواطئ بشكل ما مفهوم الاستلزام الحواري[٣]، غير أنَّ سيرل أهمل فكرة ما قيل وما تمَّ تبليغه، فركَّز على السياقات اللغوية أكثر من تركيزه على الجانب المقامي في تفسير فعله الكلامي غير المباشر[٤].

أمَّ ا جرايس فلاحظ أنَّ ملفوظات اللغات الطبيعيَّة يمكن في بعض المقامات أن تدلَّ على معنى غير المعنى الذي يوحي به محتواها القضوي أو معناها الحرفي[٥].

---

(١) انظر ص ٤٧ من هذا البحث.

(٢) روبول، آن- موشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ٥٦.

(٣) المتوكل، أحمد، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ٢٦.

(٤) روبول، آن- موشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ٥٦.

(٥) المتوكل، أحمد، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ٢٦.

ولو دُقق النظر في الملفوظ التالي:

ـ يحكي المنفلوطي قصته مع صديقه الذي افتقده لأعوام، ثمَّ وجده مصادفةً عند تيهه في أحد الأزقة، عندما طرق باب منزل قريب سمع أصوات استغاثة تصدر من خلاله، لتفتح الباب فتاة راحت تستنجده بإدراك حال والدها،فلمَّا رآه إذا هو صديقه الغائب،غير أنَّ هذا الصديق بدا مريضاً لجداً، ولهذا يصوِّر المنفلوطي لحظة دخوله إلى غرفة صديقه المريض بقوله:

فخُيِّل إليَّ أني قد انتقلت من عالم الأحياء إلى عالم الأموات"[1].

فالمحتوى القضوي (المعنى الحرفي) في الملفوظ السابق لا يدل على المعنى الذي أراده المنفلوطي، حيث يظهر خرق في مبدأ من مبادئ التعاون بين المنفلوطي وقارئ مقاله، يتسبب في ظهور استلزام حواري، دلَّ عليه مقام التلفظ، ويمكن تحليله وفق ما يلي:

⊥ انتقال المنفلوطي من عالم الأحياء إلى عالم الأموات = (موته).

ـ دخوله على صاحبه وهو يصارع المرض = (قام تحسُّر).

⊄ مبدأ التعاون (قاعد الكيف= لا تقل ما تعتقد أنه كذب).

⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الطريقة= يجب أن تكون ألفاظك واضحة).

النتيجة الضمنيَّة:

⟸ رؤية صديقه يحتضر.

فالمحتوى القضوي (⊥) "انتقال المنفلوطي من عالم الأحياء إلى عالم الأموات"غير معبرٍ عن قصده هذا المقام التلفظي، بل إنَّ ما يُعبرِّ عن قصده الذي يريده معنى آخردلَّ عليه مقام التلفظ، هو ⟸ رؤية صديقه يحتضر.

٤-١نعجتدل يرلحل ملا تلا ا مكل ألمبق رخ:

ينشأ الاستلزام الحواري الناتج عن الإخلال بقاعدة الكم أو خرقهعندما لا يُقدِّم المتكلم أو الكاتب المعلومات اللازمةسواءً بزيادة أو نقص، كثرة أو قلَّة، وبما أنَّ الإخلال لا يمكن إرجاعه إلى

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٧٦/١، من مقالة "غرفة الأحزان".

قصور في معرفة المتكلم، فالمفترض أنَّه تجنَّب التصريح بالإفادةالمطلوبة لسببٍ ما، فالمتكلم أبدى رغبة في التعاون غير أنَّه رغب في تقديم قصده بشكل غير صريح (ضمني)[1].

وفي الملفوظ التالي نُلاحظ خرق لقاعدة الكم بالزيادة على المطلوب:

ـ يصف المنفلوطي ما يحلُّ بالبخيل عندما يضع يده في كيسه، ويحاول القبض على شيء مما فيه.

-*أحسَّ كأنَّ تياراً اكهربائيا قد سرى من نفسه إلى يده فتشنَّجت أعصابها، وتصلَّبت أناملها، وأعيت على الالتواء والانثناء، فأخرجها صفراً اكما أدخلها*"[2].

⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الكم: لا تجعل مساهمتك في الإفادة أكثر مما هو مطلوب).

⟸ شديد الحرص على المال.

فالمنفلوطي وهو يصف البخيل لم يسهم بإفادة لازمة، بل تجاوزها إلى أكثر من ذلك، لأغراض بلاغية بيانيَّة من جهة، ولغاية الإطناب من جهة أخرى، فقدَّم ملفوظه بشكل ضمني غير مباشر ثقة منه في مقدرة المتلقي على تأويل الملفوظ باستنتاجه للاستلزام الحواري.

وعند تطبيق قاعدة تأثر المضمون بالاستفهام، أو النفي، أو التشكيك نجد أنَّ المضمون في الملفوظ السابق يتأثر:

-لم يحس كأنَّ تياراً اكهربائيا ... ⟸ ليس شديد الحرص على المال (ملفوظ لاحن).

هل يحسُّ كأنَّ تياراً اكهربائيا ... ⟸ يتساءل عن إحساسه، فليس لديه علم.

أظنُّ بأنَّه يحسُّ كأنَّ تياراً اكهربائيا ... ⟸ يشكك في ذلك، فربما كان يحس فعلاً أو لا.

ومثله أيضاً في خرق قاعدة الكم بالزيادة أو الكثرة:

ـ يغفو المنفلوطي فيرى في نومه أنَّه انتقل إلى مدينة السعادة التي التقى فيها شيخاً استضافه في منزله، فلمَّا جنَّ الليل على المدينة قام الشيخ وأهل المنزل يتعبدون الله ويبتهلون إليه بفطرم، فيسأل الكاتب ذلك الشيخ ممتحناً إيمانه:

س: "*أين تذهبون بعد الموت؟*

(١) العياشي، أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ١١٤-بتصرف-.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات، ٢٣١/١، من مقالة "البخيل".

ج: *إلى النعيم المقيم أو العذاب الأليم*"[1].

⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الكم: لا تجعل مساهمتك في الإفادة أكثر مما هو مطلوب).

⟸ إلى الجنَّة أو النَّار، لذا فهو (مؤمن).

حيثبدت إفادة الشيخ خرقًا بالزيادة فوق المطلوب، لينتج عنها استلزام حواري يتأوله المتلقي.

وبتطبيق قاعدة تأثر المضمون، نجد أنَّ "جواب الشيخ" يتأثر في كل مرة يتغير فيها سياق التلفظ:

- لا نذهب إلى النعيم المقيم ولا إلى العذاب الأليم.

⟸ لا نذهب، لا إلى جنَّة ولا إلى نار (غير مؤمن).

- هل نذهب إلى النعيم المقيم أم إلى العذاب الأليم.

⟸ لا علم له بمصيرهم بعد الموت، لذا فهو (غير مؤمن).

- أشكُّ بأنَّنا نذهب إلى النعيم المقيم أو العذاب المقيم.

⟸ متشكك في ذهابه إلى الجنَّة أو النار، إذن فهو (غير مؤمن).

ومن خروقاتقاعد الكمِّ بالزيادة والكثرةأيضًا:

لـ يتحدَّث المنفلوطي عن اختلاف مقاييس الجمال لدى البشر، وأنَّه ليس للجمال قاعدة مطردة.

إنَّ"*كثيرًا من الناس (...) لا يفرقون بين البرص في الجسم الأسود، والخال في الخدِّ الأبيض*"[2].

⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الكم: لا تجعل مساهمتك في الإفادة أكثر مما هو مطلوب).

⟸ كثيرًا من الناس مخدوع بأنَّ الجمال في المظهر.

فالمنفلوطي في الملفوظ السابق قد خرق قاعدة الكمِّ بالزيادة، فأطنب في الكلام لغاية محسِّنٍ بديعي هو "المقابلة".

---

(١) المرجع السابق ٧٦/١، من مقالة "مدينة السعادة".

(٢) المرجع السابق ١٧٠/١، من مقالة " الجمال".

وهذا الملفوظ ملفوظ مقامي شأنه شأن ما سبقه، يتأثر مضمونه، فلو تم إلغاء نفي الملفوظ، وعوِّض بالإثبات أو الاستفهام أو التشكيك لتأثر مضمونه:

إنَّ كثيرًا من الناس يفرِّقون بين البرص في الجسم الأسود والخال في الخدِّ الأبيض.

⟸ كثير من الناس غير مخدوع بجمال المظهر.

هل كثيرٌ من الناس يفرِّق بين البرص في الجسم الأسود والخال في الخدِّ الأبيض؟

⟸ لا علم له .إن كان كثير الناس مخدوعًا بجمال المظهر أم لا.

أشكُّ في أنَّ كثيرًا من الناس يفرِّقون بين البرص في الجسم الأسود والخال في الخدِّ الأبيض.

⟸ لا يمكن للكاتب أن يغلِّب إن كانوا مخدوعين أم لا.

أمَّا خرق قاعدة الكَمِّ كثيرًا أو قلَّةً ، فمن أمثلته ما يلي:

ـ يحكي المنفلوطي قصَّة السيد الثري الذي استيقظ في هزيع الليل فلم يجد زوجته في القصر، فيسأل عبده "بلال":

- "*ألم تعد سيدتك إلى الآن؟ قال (بلال)*: لا"[1].

⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الكم: اجعل مساهمتك وفق المطلوب).

⟸ لا، لم تعد سيدتي.

فالملفوظ السابق، يحوي خرقًا في قاعدة الكمِّ ، فالعبد بلال لم يقدِّم مساهمته وفق المطلوب، أو وفق الكمِّ المطلوب في إجابته لسيده؛ ثقةً منه بأنَّ المتلقي سيتمكن من تقدير ذلك الكمِّ المضمر في كلامه، ولغاية بلاغيَّة هي الإيجاز.

ومن أمثلة خرق قاعدة الكمِّ أيضًا:

ـ يخاطب المنفلوطي معشر الكُتَّاب وهو أحدهم، حاثًّا إياهم على تعهد تلك الوديعة من نفوس الأمَّة في معرض حديثه عن أثر المدنيَّة الغربية على الأمة المصرية الشرقية المسلمة، والاحتفاظ بها حتى يؤدوها أخلافهم من بعدهم، كما أدَّاها إليهم أسلافهم سالمة. ثمَّ يقول:

(١) المرجع السابق ١/١١١، من مقالة "عبرة الدهر".

- "فإنْ فعلنا فذاك أو لا"[1].

⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الكم: اجعل مساهمتك وفق المطلوب).

⟸ فإن أدَّى لكُتَّاب تلك الوديعة فقد تعهدوهاوحفظوا الأمَّة، أو إذا لم يؤدِّ الكُتَّاب تلك الوديعة فلم يتعهدوا ويحفظوا الأمَّة.

ويُظهر هذا الملفوظ عدم امتثال المنفلوطي لقاعدة الكمِّ، فمساهمته لم تكن وفق القدر الكمِّي المطلوب، غير أنَّ مقام التلفظ الذي يشارك فيه القارئ (المتلقي)جعله على ثقة بقدرته على تأوُّل ذلك الكمِّ الكلامي المضمر.

٤-٢ن عج تدل يرلوحل ملا تلا ا لدب ق رخيكل ا:

يظهر هذا النمط من الخرق عندما يكون ما سمعه أو قرأه المتلقي غير مطابق لما صرَّح به المرسل أو الكاتب في حال افترض المتلقي أنَّه لا يرغب بتحقيق التعاون في حديثلكن عندما يُدرك أنَّه أراد أن يصل بملفوظه إلى أمر ما، فلابد للمتلقي من أن يبحث عن قضيَّة لها علاقة بما قيل في الملفوظ؛ حيث من المؤكَّد أنَّ القضيَّة المقصودة هي في هذا السياق نقيض ما صرح به المرسل، ومن ثمَّفهناك غرض ما من هذا التناقض[2].وبذلك يتمُّ خرق قاعدة الكيف لدى جرايس: " لا تقل ما تعتقد أنَّه كذب" أو كما يفسِّرها جازدار: " قل فقط ما تعلم "[3].

ويُظهر ملفوظ المنفلوطي التالي هذا النمط من الخرق:

ـ يتحدث المنفلوطي عن عدم تمكنه من النوم.

- "ساهرتُ الكوكب ليلة أمس حتى ملَّني ومللته".

⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الكيف: لا تقل ما تعتقد أنَّه كذب).

⟸سهرتُ ليلة البارحة.

---

(١) المرجع السابق ١٤٢/١، من مقالة "المدنيَّة الغربية".

(٢) العياشي، أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ١١٤-بتصرف-.

(٣) انظر ص ٤٦ من هذا البحث.

فهذا الملفوظ يشير إلى خرق المنفلوطي لقاعدة الكيف، إذ إنَّ القارئ يدرك أنَّ الكوكب ليس بإنسان حتى يسهر بصحبة الكاتب، أو حتى يملَّه، وهذا كذب من حيث المبدأ غير أنَّ ثقة القارئ في كون المنفلوطي ملتزماً بتعاونه فيما يكتبه تحتِّم عليه أنيبحث عن معنى غير المصرَّح به، وبالتالي فهو يريد أن يقول إنَّه سهر وملَّ من السهر، وأنَّ ما صرَّح به كان من قبيل وسيلة بيانيَّة بلاغية، هي المجاز.

كما عمل المقام التلفظي على إيضاح الاستلزام الحواري الذي أنشأه هذا الخرق، ولو تمَّ تطبيق قاعدة مدى تأثر المضمون بتغير السياق نفياً على سبيل المثال، لاتضح تأثر المضمون:

- لم أُساهر الكوكب ليلة البارحة ⟸ لم أسهر ليلة البارحة.

ففي حين كان الاستلزم الحواري يفيدإثبات سهره ليلة البارحة، تحوَّل إلى السلب عند نفيه.

ومن أمثلة خرق مبدأ الكيف أيضاً:

يحكي المنفلوطي قصَّة صاحبه الذي تولَّع بشرب الخمر حتى تردَّت صحته، فيسأله:

- "ممَّ تشكو؟ فيجيب صاحبه: *أشكو الكأس الأولى!* ".

⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الكيف: لا تقل ماتعتقد أنَّه كذب).

⟸ أشكو ممَّا سببته لي أول كأس خمر، حتى غدتُ متعلقاً بها فأودت بي إلى هذه الحال.

فالمنفلوطي هنا يتحوَّل إلى متلقٍ ، يدرك أنَّ ملفوظ صاحبه لا يعني معناه الحرفي، ولابد له أن يبحث عن قضيَّة ذات علاقة تفسر له شكوى صاحبه من الكأس الأولى.

وفي ملفوظ آخر يظهر خرق لمبدأ الكيف وفق صياغة جازدار" قل فقط ما تعلم ":

يحكي المنفلوطي قصَّة الرجل الثري الذي أهمل زوجته بين الملاهي والمومسات، فلمَّا تمكن منه المرض، وأمسى طريح الفراش، قامت زوجته بالانتقام منه، بأن اتخذت من صديقهخدناً لتلتقيه ليلاً خارج القصر تاركةً زوجها يصارع مرضه و ألمهوحيداً، فيصف المنفلوطي تغير الأحوال قائلاً :

- "*ورأى صديقه أووليَّ عهده يأمر في القصر وينهى*"(١).

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١١٦/١، من مقالة "عبرة الدهر".

⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الكيف: قل فقط ما تعلم).

⟸ رأى صديقه الذي يخطط للزواج من أرملته بعد موته يأمر في القصر وينهى.

إذ إنَّ عبارة "ولي عهده"التي ساقها المنفلوطي تمثل خرقًا في الكيف، فالصديق لا يمكن أن يوصف بولي العهد، وإنمَّا يوصف به الابن، ومؤدَّى ذلك أنَّ المنفلوطي لا يملك دليلاً على قوله، كما أنَّه قال شيئًا لا يعلمهممَّا يحدو بالمتلقي أن يبحث عن القضيَّة المعنيَّة فعلاً بعيدًا عن مضموا القضوي الحرفي، إذا ما كانت لديه القناعة والثقة برغبة المنفلوطي في التعاون، وبالتالي يرجَّح أنَّ الملفوظ أخفى مضمونًا استلزاميًا حواريا قصد منه المنفلوطي التهكم والسخرية من حال هذا الرجل الثري، مع أنَّ تلك العبارة "ولي عهدهتُعدُّ ملفوظًا مهذبًا.

وحول السخرية، فإنَّ ليتش (Leech) ينظر إليها باعتبارها قاعدة من المرتبة الثانية التي تستفيد من مبدأ التلطف لديه، وتتخذ علىنحو أنموذجي أسلوب التهذيب ووضوح الأدب الجمِّ في المناسبات، فإذا ما فاق أسلوب تقدير المتكلم لمبدأ التلطف بخرقه السافر –على حد قول ليتش-لمبدأ التعاون، قصدًا به دعم مبدأ التلطف، فإنَّه حينئذٍ يؤدي إلى حصول خرق واضح لمبدأ الكيف[1].

٤-٣-عجز مبدأ الطريقة عن تفسير السخرية:

ينصب مبدأ الطريقة أساسًا على التزام الوضوح في الكلام وتجنب الغموض والالتباس القصدي الذي يحصل عادة عندما تحتمل العبارة معنيين أو أكثر، دون أن توجد قرينة تمنع ذلك، أمَّا المعاني التي تنتج عن خرق لمبدأ الطريقة فهي ذلك اللون من الماز[2]، ومعنى ذلك أنَّ الغموض والالتباس ينتج استلزامًا حواريا يقوم المتلقي باستنتاجه مقاميا ليتمكن من التمييز بين الحقيقة والماز.

والملفوظ التالي يوضح كيفيَّة خرق مبدأ الطريقة:

لم يذكر المنفلوطي في قصة يسوقها ما كتبته إحدى الفتيات المغرر بهن تخاطب الرجل الذي غدر بها حينما زعم أنَّه يحبها ويعدها بالزواج، فلمَّا تمكن من عفتها تركها ورحل:

- "*سرقت عفتي، فأصبحت ذليلة النفس حزينة القلب*"[3].

---

(١) انظر ليتش، جيوفري، مبادئ التداولية ١١١.

(٢) العياشي، أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ١١٥-بتصرف-.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٧٩/١، من مقالة "غرفة الأحزان".

⊄ مبدأ التعاون (قاعد الطريقة: يجب أن تكون ألفاظك واضحة؛ بحيث تكون: غير غامضة، وغير ملبسة).

⟸ زنيت بي.

فعندما تقول الفتاة المغرر لها أحدًا ما سرق عفَّتها، يقع المتلقي في لبس وغموض، إذ إنَّ المسروق لا يكون إلا شيئًا ماديا، والعفَّة شيء معنوي، وهو يفترض أن الفتاة كمرسلٍ في مستوى ثانٍ، وكذلك المنفلوطي كمرسلٍ في مستوى أول كلاهما يرغبان في التعاون، وبالتالي عليه أن يبحث عن معنى غير المعنى الحرفي الذي ظهر في المحتوى القضوي، وإذا ما ربط الملفوظ بمقام التلفظ فإنَّ المرسل كان مراعيًا التهذيب واللطف واللامساس، أدرك أنَّ سرقة العفَّة لم تأتِ على سبيل الحقيقة، بل أتت على سبيل الاستعارة، وبذلك يمكن له أن يتأوَّل استلزامًا حواريًا مفهومًا مضمرًا يتمثل في كون ملفوظ "سرقة العفة" قصد به المرسل "الزنا".

ومن أمثلة خرق مبدأ الطريقة أيضًا:

يخاطب المنفلوطي القارئ ممتعضًا من أولئك الأدنياء الذين يتصورون أنَّهم شرفاء، ويطلبون الشرف ويخطئون مكانه:

-*أولئك الذين يحتقرون الموتُ ورحَتى يغسل الدمَ بالدمِ فيعظمونه*"[1].

⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الطريقة: يجب أن تكون ألفاظك واضحة؛ بحيث تكون: غير غامضة، وغير ملبسة).

⟸ حتى يثأر وينتقم.

تبدو عبارة "غسل الدم بالدم"غامضةً ملبسة، فالمتلقي يدرك أن ما يغسل الدم هو الماء، وأنَّ الشيء لا يُغسل بذاته، ولكون القارئ يفترض من المنفلوطي رغبة في التعاون لنجاح العملية التداولية، فإنَّه يعمل بحثًا عن معنى ضمني آخر لا يظهر عبر حرفية المحتوى القضوي، وعند محاولته ربط الملفوظ بمقام التلفظ يدرك أن الكلام جاء في سياق الشرف المزعوم، فيتأوَّل "غسل الدم بالدم" بأنَّ الدم قرينة للقتل، وأنَّ بعضهم ممن يُقتل له قتيل يتصوَّر مخطئًا أن الثأر والانتقام هما ما سيغسل شرفه المتلطخ .

(١) المرجع السابق ١٨٣/١، من مقالة "الشرف".

٤ - ٤ن عج تدل يرطح ل مل ة لا ا لد ب ق خ ة علام ا:

عندما لا يناسب المقام ما يُفترض قوله والمساهمة به، تحدث ظاهرة خرق مبدأ الملاءمة، فيبدو الملفوظ كما لو كان انفصالاً عن سياق التلفظ من أجل تحقيق غرض ما، يُفترض على المتلقي تأوُّله على غير محموله القضوي ذي المعنى الحرفي.

ومن أمثلة ذلك:

لـ يحكي قصته مع الشيخ الذي رآه ـا من قيم فضلى وحياة مثالية، فيطلب من ذلك الشيخ أخذه إلى مدرسة من مدارس المدينة ليعلم كيف يربي أبناؤهم حتى ظهرت مثل هذه القيم في مدينتهم:

- الكاتب: "*هل لك أن تزيرني مدرسة من مدارسكم؟*".
- الشيخ: "*ما المدرسة؟*"(١).

⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الملاءمة: يجب أن تكون المساهمات ملائمة للأهداف الراهنة والمفترضة من قبل الأشخاص المعنيين).

⟸ لا أعرف المدرسة، وليست لدينا مدرسة.

يتوقع المنفلوطي باعتباره متلقٍ بعد توجيهه لسؤالٍ طرحه على الشيخ أن ينتظر إجابةً من قبيل:

- حسنًا، دعنا نذهب.
- سآخذك إليها ولكن غدًا.
- أعتذر عن عدم أخذك إلى المدرسة.
- المدرسة بعيدة لا يمكن الوصول إليها.

غير أنَّ إجابة الشيخ جاءت مخلَّةً بمبدأ من مبادئ التعاون هو مبدأ الملاءمة، الذي يرغب السائل في تحقيقه عبر مساهمة ملائمة وفق الحال الراهنة لهدفه من السؤال الذي يحوي قوة إنجازية طلبية تتمثل في تحقيق،أفعاله ما يطلب أحدهم أمرًا من آخر، إمَّا أن يلبِّي أو يُرفض، إلا أنَّ الإجابة جاءت على هيئة سؤال مثله، وبالتالي ينبغي على المتلقي أن يبحث عن سبب هذا الخرق،فيعمل على تأوَّله بعدم وجود مدرسة في المدينة، وعدم معرفة الشيخ بماهيَّةالمدرسة، وأنَّ ثمَّة طريقة أخرى يتعلم ـا ناشئة هذه

(١) المرجع السابق ٧٩/١، من مقالة "مدينة السعادة".

المدينة غير المدرسة، وبالفعل، فبعد أن شرح المنفلوطي -الذي مازال في حلمه- للشيخ ماهيَّة المدرسة، أخبره بطرق أخرى يسلكوا لتعليم ناشئتهم غير غرف الدراسة.

ومن أمثلة خرق مبدأ الملاءمة أيضًا:

ـ يغفو الكاتب إغفاءة طويلة فيرى نفسه في يوم المحشر، وتتابع الأحداث، فيدخل الجنَّة ليتعجب من وجود الشاعر النصراني عدي بن زيد العبادي ا، فيسأله:كيف دخل الجنَّة؟ فيجيبه قائلاً :

- "*ليس لصاحبك على أحدٍ حجَّة إلا بعد ظهوره، وبلوغ دعوته*"(١).

⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الملاءمة: يجب أن تكون المساهمات ملائمة للأهداف الراهنة والمفترضة من قبل الأشخاص المعنيين).

⟸ ليس للنبي محمد r الذي تتبع دينه على أحدٍ حجَّة إلا بعد ظهوره، وبلوغ دعوته.

يُظهر الملفوظ السابق خرقًا لمبدأ التعاون من خلال الملاءمة ذاك أنَّ كلمة "الصاحب"إنَّما تطلق على الإنسان الذي لقيه المرء وعاشره وخالطه، وثمَّة بون زماني شاسع بين المنفلوطي، والرسول محمد r ، وعندما يصفه الشاعر عديٌّ بأنَّه صاحب للمنفلوطي فإنَّ ذلك لا يعبر عن مساهمة ملائمة منه لأهداف راهنة ينبغي أن تقوم في هذا الحوار، فالمتلقي يفترض أنَّ الشاعر يبدي رغبة في التعاون؛ لذا كان لابد أن يعمل على البحث عن معنى مضمر لم يصرح به، يتأوَّل معنى "الصاحب" في صاحب الدين الذي يتبعه، وقد دلَّ السياق المقامي على ذلك.

٤-٤-١ الملاءمة معيار واحد لجميع خروقات مبدأ التعاون:

ولدت نظريَّة الملاءمة التي قدَّمها كل من سبير برو ويلسون سنة ١٩٩٥م من رحم علم النفس المعرفي(٢)؛ حيث تختزل جميع المبادئ الأربعة لنظريَّة مبدأ التعاون في معيار واحد هو الملاءمة، وهو معيار لا يتحكَّم في العلاقات بين الشركاء، بل يتخذ مظهرًا من مظاهر الاقتصاد السيميائي؛ إذ يفترض بأنَّ يكون الشركاء على قدر غير قليل من الثقة والتفاؤل بالكيفيَّة التي يصطنعوا أثناء تبادل المعلومات، فالملاءمة تقتضي فعلاً قصديا حتى تحصل الفائدة من العمليَّة التواصلية التي قد يكون لها أكثر من استراتيجية في تحقيق أهدافها، تلك الاستراتيجيات هي ما نعبرِّ عنه بالكم والكيف والطريقة والملاءمة في

(١) المرجع السابق ١٠٣/١، من مقالة "رسالة الغفران".

(٢) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب ١٧.

مبدأ التعاون، وإذا كان هذا الأخير يبحث عن الاستلزامات الحوارية داخل التواءات التلفظ، فإنَّ الملاءمة تُعنى باستكشاف العمليات الذهنية التي يخوضها طرفا الحوار لتحقق أقصى حد يمكن الوصول إليه من المعلومات المفيدةالمرجوة من التصريحات، مع القليل من الجهد التأويلي الذي قيلت من أجله (١).

ففي الملفوظ التالي، يمكن تفسير الاستلزام الحواري من خلال نظرية الملاءمة تفسيرًا ذهنيا مختلفًا يقوم به طرفا الحوار انطلاقًا من الثقة:

يصف أحد القرَّاء للمنفلوطي ما لحقه من أذى جراء تمسكه بالصدق عندما حضر مجتمعًا يضم بين حاشيتهجماعة من الفضوليين الذين لا همَّ لهم سوى الخوض في أعراض الناس، فيشرع في توبيخهم على صنيعهمواجيًا الخير لهم، غير أنَّهم أرادوا به شرا، فيقول:

- *"فما خلصتُ من بينهم إلا وأنا أتلمس رأسي بيدي لأعلم أين مكانا من عنقي"* (٢).

ولو دقق النظر في الملفوظ السابق لوجد أنَّه مشتمل على جميع الخروقات الأربعة، ومؤدَّى ذلك أنَّ نظريَّة الملاءمة قادرة على استيعاب جميع مبادئ التعاون.

- ⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الكم: لا تجعل مساهمتك في الإفادة أكثر مما هو مطلوب).
- ⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الكيف: لا تقل ما تعتقد أنَّه كذب).
- ⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الطريقة: يجب أن تكون ألفاظك واضحة؛ بحيث تكون: غير غامضة، وغير ملبسة).
- ⊄ مبدأ التعاون (قاعدة الملاءمة: يجب أن تكون المساهمات ملائمة للأهداف الراهنة والمفترضة من قبل الأشخاص المعنيين).
- ⊄ اجتمعوا عليَّ ضربًا.

فالملفوظ يخرق قاعدة الكمِّ زيادة، ومساهمة المتكلم كانت فوق ما هو مطلوب التكلُّم به، كما أنَّه يخرق قاعدة الكيف؛ إذ لم يقل ما يعتقد صدقه؛ حيث إنَّ ملفوظه يفضي إلى عدم معرفته بمكان رأسه من عنقه وهذا متعذر، ويخرق أيضًا قاعدة الطريقة، فكلامه بدا غامضًا من خلال بحثه عن رأسه وموضعه من عنقه،ثمَّ إنَّه يخرق قاعدة الملاءمة؛ إذ إنَّ إسهامه بدا غير ملائم للهدف الراهن في ذات

---

(١) انظر يوسف، أحمد، السيميائيات التداولية من البنية إلى السياق، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة ٤٦-٤٧.

See Griffths, Patrick, An introduction to english semantics and pragmatics pp 142-143.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١/١٢٥، من مقالة "الصدق والكذب".

الموقف، فالحديث كان عدم تقبُّل تلك الجماعة من الفضوليين لحديثه وتوبيخه إيَّاهم، فما علاقة ذلك بتلمس موضع رأسه بيديه بحثاً عن مكانه من عنقه؟.

وبناءً على ذلك يتم اختزال جميع أنماط الاستلزام الحواري الناتجة عن خرق مبادئ التعاون الأربعة في نظريَّة واحدة هي الملاءمة، والحقيقة أنَّ نظريَّة الملاءمة لا تركز على تلك الخروقات التي بدت في هيئة التواءات تلفظية، بل إنَّما تعالج الملفوظات وفقعمليَّة ذهنيَّة لا يشارك فيها المتلقي فقط، بل يشارك فيها المرسل نفسه، فيعمل كلاهما لتحقيق الحدِّ الأقصى وصولاً إلى القصد بناءً على ما يتضمَّنه السياق من معلومات ذات فائدة توضِّح معنى الاستعمال، مع التقليل من جهد المتلقي في عملية التأويل، فإذا كان السياق يشير إلى عدم رضا تلك الجماعة من الفضوليين بما نصحهم المتكلم به، وجاء خطابه في معرض التوبيخ واستخدام أشد الألفاظ تقريعاً، فمن المتوقع حصول الضرر به والنيل منه، وبذلك يُفهم الاستلزام الحواري على أنَّ ملفوظه يعني اجتماعهم عليه بالضرب.

٤- من عجز المدارس اللسانية عن الإحاطة بالاستلزام الحواري:

فتحت القواعد التي قدَّمها جرايس باباً واسعاً في تطوير التداوليات اللسانية؛ حيث اقترحت جملة إضافات وأدخلت عدَّة تعديلات؛ كي تستجيب لمقتضيات أخرى، ولتتسق والمستجدات التي برزت في مختلف العلوم.

ومختلف الأعمال التي انتقدت جرايس ذهبت إلى الإقرار بأنَّ النموذج الحواري الذي قدَّمه أغفل السلوكيات اليومية العادية التي تتوفر على دلالة أكبر، بالإضافة إلى إسقاطه الجانب التهذيبي من اعتباره.

وبالرغم من إشارة جرايس إلى وجود أنواع شتى لقواعد أخرى من قبيل "كن مؤدباً"، إلا أنَّ شيئاً من هذا لم يمنع انتقاده، بل لم يؤبه به.

ومن تلك القواعد التي أضيفت إلى ما اقترحه جرايس:

مبدأ التهذيب "تكن مؤدَّباً"، وهذا المبدأ الذي صاغته لايكوف (Lakoff) تفرَّع عنه ثلاث قواعد كليَّة، وإن كانت لا تستغني عن مبدأ التعاون:

أ. قاعدة التعفف: "لا تفرض نفسك على المخاطب".

ب. قاعدة التشكيك: "لتجعل المخاطب يختار بنفسه"، وتقضي بتجنُّب أساليب التقرير، والأخذ بأساليب الإنجاز، كما لو كان متشككًا في مقاصده، بحيث يترك للمخاطب مبادرة اتخاذ القرارات.

ج. قاعدة التودد: "لتظهر الودَّ للمخاطب"، وتوجب على المتكلم معاملة المخاطَب معاملة النظير للنظير، ولا تفيد هذه المعاملة إلا إذا كان المتكلم أعلى مرتبةًمن المستمع، أو مساويًا له.

وقد ادَّعت لايكوف أنَّ قواعد التهذيب كلِّية في طبيعتها وعددها، بحيث تأخذ بها كل اتمعات البشرية، كما تأخذ بها كل الجماعات اللغوية داخل اتمع الواحد،أمَّا ما نشاهده من الاختلاف في التأدب، فلا يتعلق إلا بترتيب هذه القواعد فيفضل بعضها على بعض، وهكذا يتضح أنَّ مبدأ التهذيب الذي اقترحته لايكوف يفضل مبدأ التعاون الذي قال به جرايس، على اعتبار أنَّه يجمع بين الجانبين التبليغي والتهذيبي من الخطاب(١).

وهذه القواعد الثلاث يمكن تمثُّلها في الملفوظ التالي:

يشاهد المنفلوطي فتى مسكينًا صباح ذات يوم منزويًا في ركن من الأركان في أحد الأندية، فيشفق على حاله، ويتوجه إليه يسأله عمَّا ألمَّ به:

- "*سألته: ما بالك أيُّها الصديق؟ قال لا شيء، قلتُ أنتَ تكتمني ما في نفسك، ولو عرفتني ما كتمتني، قال: ما جهلتك مذ عرفتك، ولكنَّني أعطيت الله عهدًا مذ خُلقت ألا أشكو إلا من أرجو عنده البرء، وما أنا براجٍ عند أحد من الناس براءً من دائي، قلتُ هبني طبيبًا، والطبيب وإن كان لا يشفي إلا نادرًا، فإنَّه يسكِّن غالبًا ويعزِّي دائمًا (...) فأصغى إلى كلماتي واستحذى لها، وأنشأ يحدثني حديثًا تمازجه العبارات وتقطِّعه الزفرات ...*"(٢).

يتضح في الملفوظ السابق امتثال المنفلوطي لقواعد التأدب الثلاث:

- لم يفرض نفسه على المخاطَب، (والمقصود بالفرض هو فرض الرأي بالقوة والتعنيف والإصرار بالتهديد في القول) بل بدا متعففًا في إقناعه بأن يبوح عمَّا يعتلج صدره من أحزان وآلام.

---

(١) العياشي، أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ١١٧-١١٩-بتصرف-.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٨٤/١، من مقالة "إلى الدير".

- ترك المال رحبًا للمخاطب كي يختار بين البوح فيجد البرء لديه، أو يمتنع، وحاول أن يحاججه وفق إستراتيجية تمثيلية متجنبًا أساليب التقرير، آخذًا بأساليب الإنجاز، من مثل: "ما بالك؟"،"هبني طبيبًا" باستثناء خرق ذلك في عبارة "أنت تكتمني ما في نفسك".
- بدا متوددًا إلى المخاطَب، وعامله معاملة النظير للنظير، فبالرغم من كونه فتى، وكون الكاتب أديبًا وشخصيَّة اجتماعية معروفة إلا أنَّه ناداه بالصديق.

ولكن هل يعني هذا أنَّ مبدأ التهذيب ليس عرضةً للخرق، فينشأ عنه استلزام حواري؟!

الواقع أنَّ هذا المبدأ يتعرَّض لخروقات شأنه شأن مبدأ التعاون الذي تفرَّع عنه، فينشأ خرق مبدأ التهذيب بخرق إحدى قواعده الثلاث لهدف ما أو لغرضٍ معين يفسِّره مقام التلفظ.

والملفوظ التالي يوضح خرقًا لمبدأ التهذيب:

ـ يذكر المنفلوطي قصة يسوق فيها ما كتبته إحدى الفتيات المغرر بهن تخاطب الرجل الذي غدر بها حينما زعم أنَّه يحبها ويعدها بالزواج، فلمَّا تمكن من عفتها تركها ورحل، فتقول له:

أنت كاذبٌ خادع، ولصٌّ قاتل، ولا أحسب أنَّ الله تاركَك دون أن يأخذ لي بحقي منكَ"[1].

⊄ مبدأ التهذيب (قاعدة التعفف: لا تفرض نفسك على المخاطب).

⊄ مبدأ التهذيب (قاعدة التشكيك: لتجعل المخاطَب يختار بنفسه).

⊄ مبدأ التهذيب (قاعدة التودد: لتظهر الودَّ للمخاطَب).

⟸ الله ينتصر للمظلوم، وأنا مظلومة، فالله سينتصر لي منك.

يُشكِّل الملفوظ السابق عدَّة خروقات لمبدأ التهذيب فقد خرقت الفتاة قاعدة التعفف وفرضت نفسها على المخاطَب بإصدارها أحكامًا ضده تمثلت في الكذب والخداع والسرقة والقتل، كما أنَّها خرقت التشكيك أو التخيير باستخدام أساليب تقريرية من نحو "أنت كاذب .. ولم تلتمس له عذرًا، وخرقت قاعدة التودد؛ حيث بدا الملفوظ خطابًا حادًا متفوقًا، بالرغم من كونها أقل منه قوة ومقدرة وحيلة. والملفوظ إذا ما حاول المتلقي تفسيره استنادًا إلى السياق الذي قيل فيه، فإنّه يُظهر غرضًا وقوةً إنجازيَّة تتمثل في التوبيخ والتحسُّر واستنكار بشاعة ما أقدم عليه ذلك الرجل.

(١) المرجع السابق ١/١٨٠، من مقالة "غرفة الأحزان".

٥- ة ّيزنجلإا ىقلا و ةيلكلا ل عةلأ احلام:

تُظهر طبيعة الخطاب الأدبي الذي يتبعه المنفلوطي في كتاباته غنى ً كبير ً ا، وتلونً ا ملحوظًا في طبيعة ملفوظاتالأفعال الكلامية، وإذا كان المعوَّل عليه بالدرجة الأولى في هذه النظرية، هو الفعل الإنجازي وقوته، فإنَّ الخطاب الأدبي يعدُّ مجالاً رحبً ا لمثل هذه الاستعمالات اللغوية الإنجازية التي أجاد المنفلوطي في صياغتها، وصناعة قواها.

٥-١ل ام ف ا حلا مة ز لجلإا ي ف ن يتو أة يظ ن عوض:

مرَّت نظرية أوستين بعدَّة مراحل قبل أن تتضح ملامحها نسبيا؛ حيث تعود قضية الفعل الإنجازي إلى بحثه عن مقياس نحوي أو معجمي يمكِّن من التعرف على الأقوال الإنجازية، فوجد أنَّ هذا الصنف من الملفوظات –وكان في أول أمره يقابله بالملفوظات الوصفية الخبرية يتصدَّره عادةً فعل مسندٌ إلى المتكلم المفرد المضارع الدَّال على الحال والمبني للمعلوم، فتُسمِّي الدلالةُ المعجميةلُهذا الفعل العمل َ الذي ينجزه المتكلم عند إنجاز كلامه، ومن هنا نشأت فرضية الفعل الإنجازي (الملفوظ الإنجازي هو القول المبدوء بفعل إنجازي)، غير أنَّ الانتقادات التي طالت أوستين جعلته يرجع خطوة إلى الوراء قبل تقسيم الملفوظات إلى تقريرية وإنجازية، كيفرِّق بين نوعين من الأفعال الإنجازية "صريح"، و "غير صريح"؛ إذ قد يخلو الملفوظ الإنجازي من الفعل الإنجازي ويؤدِّي في نفس الوقت قوةً إنجازية[١].

٥-١-احيضو لا ريغ حيضو لا ي لجلإا ل عفا، وتحقق الشروط:

قسَّم أوستين الفعل الإنجازي إلى قسمين[٢]:

١- الفعل الإنجازي الصريح: وهو فعل كلامي مبدوء بفعل إنجازي ظاهر، وله قصدٌ إنجازي صريح، وعلى هذا يكون الفعل الإنجازي دليلاً لغويا وضعيا على إنجازية الملفوظ إذا تصدَّره.

ومن أمثلته :

(١)يخاطبُ المنفلوطي قرائَه مقترحً ا تنظيم أساليب الإحسان في مصر عبر مؤسسات ترعاه، بدلاً عن مظاهره العشوائية.

---

(١) المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية ١١ -بتصرف-.

الطبطبائي، سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ٧.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

-*أقترح أن يقوم جماعة من سراة الأمَّة ووجوهها وأصحاب الرأي فيها بتأليف مجتمع في القاهرة يسمى مجتمع الإحسان*"(١).

(٢) لـ فتاة تشكو إلى الكاتب جور زوجها، وتطلب منه المساعدة كونه أقدر الناس على مساعدا لمعرفته الوثيقة به.

-*أعلم كُرمكَ وهمَّتكَ وما بينك وبين ذلك الرجل*"(٢).

(٣) لـ يخاطب المنفلوطي القارئ، بعد أن روى له قصَّة صديقه الذي انتقم الله منه بالمرض والهلاك لاستغفاله فتاة وعدها بالزواج لمَّا أن سرقها عفتها فرَّ وهرب تاركًا إياها تعالج حسرا.

-*أكتبُ قصتَه ولا أملك نفسي من البكاء والنشيج* "(٣).

عند تحليل الملفوظات السابقة (١)، (٢)، (٣) نلاحظ أنَّ جميعها مبدوءٌ ومتصدر بفعل إنجازي صريح ظاهر، جاء في صيغة الفعل المضارع وبضمير المتكلم حمل معه قصدًا إنجازيًا صريحًا، وهذا ما يطلق عليه "فعل إنجازي صريح".

م	∏	تصنيف أوستين	Δ
١	أقترح	أفعال التنفيذ	الشروع الفوري
٢	أعلم	أفعال الإيضاح	التقرب لطلب المساعدة
٣	أكتب	أفعال السلوك	عبرة

فالملفوظ (١) يشتمل على فعل إنجازي صريح (∏) = "أقترح".

وهذا الفعل ممَّا تتوافر فيه شروط الفعل الإنجازي، فالكاتب والقارئ كلاهما متواضعان على لحظة التلفظ، فالأول يملك حق تقديم الاقتراح باعتباره يكتب في صحيفة تتيح له أن يقدِّم اقتراحاته، والثاني قد

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢١٦/١، من مقالة "في سبيل الإحسان".
(٢) المرجع السابق ٢٠٧، من مقالة "الزوجتان".
(٣) المرجع السابق ١٨١، من مقالة "غرفة الأحزان".

يكون منه من هو ذو وجاهة وصاحب رأي في الأمَّة، كما أنَّ المناسبة حاصلة؛ إذ من المعوَّل على كُتَّاب الصحف أن يقدموا مقترحاتهم وآرائهم لقرائهم، وقد نفَّذ الكاتب إجراءه حرفيا وبطريقة صحيحة، أمَّا تنفيذه من قبل المتلقي فيتمثل في مجرد استقباله لهذا الاقتراح واستيعابه، كما أنَّ المنفلوطي لم يقترحه لولا ما رأى من عشوائية وخديعة في مجتمعه لصور أرادها أهلها الإحسان.

وهو فعل قول (◊)[1] يتألَّف من:

١- فعل صوتي: (ق،ر،ح).

٢- فعل تركيبي جاء في صيغة المضارعة، وفاعله ضمير مستتر تقديره "أنا" للمتكلم.

٣- فعل دلالي مرجعي: يدلُّ على استنباط شيء، يعود مرجعه على المتكلم الذي يتمثل في شخص الكاتب (المنفلوطي).

كما يشتمل على قوة إنجازية (Δ) تتمثل في رغبة الكاتب بالشروع الفوري في تنفيذه.

وهو بحسب تصنيف أوستين لأفعال الكلام يقع تحت "أفعال التنفيذ"؛ حيث إنَّ ملفوظه نفَّذ اقتراحًا قدَّمه لوجهاء مصر.

أمَّا الملفوظ (٢) فيشتمل على فعل إنجازي صريح ($\prod$) = "أعلم".

وقد توافرت شروط الفعل الإنجازي فيه؛ حيث تبرز المواضعة في كون الفتاة لديها علم بما بين الكاتب وزوجها من معرفة وثيقة، وكون المنفلوطي يعلم بعلمها بذلك، بالإضافة إلى كون المناسبة تسمح لها بالإشارة إلى ما بين الكاتب وزوجها من معرفة سابقة لكونها تطلب المساعدة، كما أنَّ الفتاة نفذته بطريقة صحيحة بإبدائها لهذه المعرفة، ويتمثل جانب التنفيذ لدى الكاتب في الإقرار بهذه المعرفة ضمنًا؛ إذ لم يبدِ اعتراضًا عليها، والفتاة ما كانت لتصرِّح له بهذه العلاقة الوثيقة بين زوجها وبينه لولا محاولتها الوصول من خلالها إلى زلفى تسمح لها بطلب المساعدة منه.

كما أنَّه فعل قول (◊) يتألَّف من:

١- فعل صوتي: (ع،ل،م).

٢- فعل تركيبي جاء في صيغة المضارعة، وفاعله ضمير مستتر تقديره "أنا" للمتكلم.

---

(١) (◊) ترمز في هذه الدراسة إلى فعل القول بحسب أوستين، أو الفعل التلفظي بحسب سيرل.

٣- فعل دلالي مرجعي:يدلُّ على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، يعود مرجعه على المتكلم الذي يتمثل في شخص (الفتاة).

و يشتمل على قوة إنجازية (Δ) تتمثل في إبداءسبب ما يقرِّب لطلبها المساعدة.

وهو بحسب تصنيف أوستين لأفعال الكلام يقع تحت "أفعال الإيضاح"؛ حيث إنَّ ملفوظها أوضح له علمها بتلك المعرفة المشتركة بين زوجها والمنفلوطي.

وفي الملفوظ (٣)يظهر أيضًا فعل إنجازي صريح (∏) = "أكتب".

وقد توافرت شروط المواضعة فيه، حيث إنَّ الكاتب مخوَّلٌ عبر الصحيفة التي يكتبها بالتعبير عن مشاعره تجاه ما يجده من أحداث في مجتمعه، ونفَّذه بطريقة صحيحة، والقارئ بدوره يملك تنفيذه بمجرد استقباله واستيعابه لهذا السلوك.

كما أنَّ المناسبة تسنح له بإبداء سلوك ما؛ إذ جاء تعبير الكاتبجسرًا على هلاك صديقه أمامه،بعد أن غرَّر بتلك الفتاة، وقد أبدى صدق مشاعره باعتباره مصلحًا اجتماعيا من أهل الفضل في مصر- لما رآه من عبرة في انتقام الله تعالى لتلك الفتاة المسكينة.

و يشتمل الملفوظ على فعل قول (◊)يتألَّف من:

١- فعل صوتي: (ك،ت،ب).

٢- فعل تركيبي: جاء في صيغة المضارعة، وفاعله ضمير مستتر تقديره "أنا" للمتكلم.

٣- فعل دلالي مرجعي:يدلُّ على جمع شيء إلى شيء، ومن ذلك الكتاب والكتابة، يقال: كتبت ُالكتاب َ كْتبُهُ كَتبًا، و يعود مرجعه على المتكلم الذي يتمثل في شخص الكاتب (المنفلوطي).

و يشتمل على قوة إنجازية (Δ) تتمثل في الاتعاظ والعبرة لما حصل لصديقه.

والفعل "أكتب" بحسب تصنيف أوستين لأفعال الكلام، يقع تحت "أفعال السلوك"؛ حيث إنَّ ملفوظه جاء كردة فعل لما حدث لصديقه.

٢- الفعل الإنجازي غير الصريح: هو فعل كلامي غير مبدوء بفعل إنجازي ظاهر،له قصدٌ إنجازي صريح،ويشمل بقيَّة الأفعال الكلامية وعلى هذا يكون الفعل الإنجازي دليلاً لغويا يحدد الفعل في الملفوظ المقصود، حينما يُعتمد التصريح فيه على الإنجاز الضمني للملفوظ، ويقدَّر فيه الفعل الإنجازي تقديرًا.

ومن أمثلة الفعل الإنجازي غير الصريح، وهي الأغلب في اللغة العربية:

(٤) لـ يتحدث المنفلوطي عن سوء فهم بعض الناس للإنصاف، وكيف أنَّ المنصف أضحى متلونًا مخادعًا أو ذا وجهين في أعين بعضهم، لذا فهم لا يتورعون عن توجيه الملفوظ التالي إلى المنصف من البشر:

-*إنَّكَ تُظهر ما لا تضمر، وتخفي غير الذي تبدي*"[١].

(٥) لـ يحكي المنفلوطي قصةً ذكرها له صديقه، فيها أنَّه التقى صيادًا فقيرًا قنوعًا بما قسمه الله له من الرزق، فيسأله متعجبًا من رضاه لأمره:

-*ألا يحزنك النظرُ إلى الأغنياء في أثاثهم ورياشهم، وقصورهم ومراكبهم، وخدمهم وخيولهم، ومطعمهم ومشربهم؟*"[٢].

(٦) لـ يخاطب المنفلوطي الرجال الذين يحاولون استغلال عاطفة المرأة وضعفها:

يا أقوياءَ القلوب من الرجال رفقًا بضعفاء النفوس من النساء"[٣].

بتحليل الملفوظات أعلاه (٤)، (٥)، (٦)يتضح أنَّ جميعها غير مبدوءٍ بفعل إنجازي صريح ظاهر،فالأول جاء في صيغة تقريرية"إنَّكَ تظهر ..."،والثاني جاء مبدوءًا بصيغة استفهام "ألا يحزنك النظر ...؟"، والثالث جاء في صيغة نداء "يا أقوياء الرجال ..."، وهي وإن بدت كذلك،إلا أنَّ المتلقي يمكن له أن يلحظ قصدًا إنجازيًا صريحًا في كلٍّ منها.

ومادامت أفعالاً إنجازيَّة غير صريحة فينبغي تقدير الضمني فيها بفعل إنجازي صريح، فيكون في الملفوظ الأول: "أتَّهم/نتَّهم"، وفي الملفوظ الثاني: "أسال"، وفي الملفوظ الثالث: "أنادي".

---

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٤٠/١، من مقالة "الإنصاف".

(٢) المرجع السابق١٦٢/١، من مقالة "الصياد".

(٣) المرجع السابق ١٨١/١، من مقالة "غرفة الأحزان".

م	∏	تصنيف أوستين	Δ
٤	نتَّهمك	أفعال القرار	تأكيد إثبات تلوُّن والخداع
٥	أسألَ	أفعال السلوك	التعجب
٦	أناديكم	أفعال التنفيذ	استرعاء الانتباه والتوجيه

يشير الملفوظ (٤) إلى مجيء الفعل الإنجازي في صيغة ملفوظ تقريري، وبالتالي فهو يحوي فعلاً إنجازيًا غير صريح يمكن تقديره بـ (∏) = "أتهمك"، وقد دلَّ عليه سياق التلفظ.

وقد توافرت فيه شروط المواضعة، حيث إنَّ الذين لموه مخولون بذلك من قبيل التعبير بالرأي، وتمَّ تنفيذ الفعل بطريقة ضمنية صحيحة وفي سياق صحيح، والمتلقي المتمثِّل في الكاتب نفسه هنا استقبله فاستوعبه، ومن ثمَّ فهو يقوم بالرد على هذا الرأي منكرًا إيَّاه أمَّا مناسبة إنجاز الفعل فجاءت من خلال اعتقادهم بأنَّ الإنصاف إنَّما يعد من باب التلوُّن والخداع في أعينهم، وقد صدر الملفوظ باعتقاد صدق منهم، بغض النظر إن كان صادقًا لاحقًا أم لا، غير أنَّ هذا المتَّهِم عندما تلفظ بالقول كان يعتقد صدق قضيته.

كما أنَّ الفعل الإنجازي المقدَّر هنا، يُعدُّ فعل قول (◊) يتألَّف من:

١- فعل صوتي: (و،هـ،م).

٢- فعل تركيبي مضمر جاء في صيغة المضارعة، وفاعله ضمير مستتر تقديره "نحن" للمتكلمين.

٣- فعل دلالي مرجعي: يدلُّ على التُّهَمة والوُهَمة من وقولهم اتَّهَمَ تُه افتعال منه. اتَّهَمَ يقال: فُلانًا، أي أدخلتُ عليه التُّهَمة[1]، ويعود مرجع الفعل على المتكلمين من عامَّة الناس.

و يشتمل على قوة إنجازية (Δ) معزَّزة بمؤكِّد (إنَّ) أدَّى إلى عدول كمي تمثل في تأكيد القوة الإنجازية، لتصبح القوة الإنجازية، ليست مجرد إثبات التلوُّن والخداع فقط، بل تأكيده.

(١) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب ٦٤٤/١٢.

و بحسب تصنيف أوستين لأفعال الكلام يقع هذا الفعل الإنجازي تحت "أفعال القرار"، ويتمثل في إصدار حكم تقييم تقديري، من جهة غير رسميَّة؛ حيث يرى أوستين أنَّ أفعال القرار تقوم على إصدار أحكام رسمية أو غير رسمية انطلاقًا من شهادة الغير وبينته فيما يخص الأحداث والوقائع والقيم(١).

وجاء الملفوظ (٥) فعلاً إنجازيا غير صريح في صيغة استفهام، ويقدَّر بـ (∏) = "أسالك"، دلَّ عليه سياق التلفظ.

وتوافر به شرط المواضعة، فالمرسل مخوَّل بالتساؤل متعجبًا من حال ذلك الصيَّاد القنوع الذي هو بدوره متجاوب في حواره مع صديق المنفلوطي، وجاءت المناسبة سانحة لمثل هذا التعجب، وقد نفَّذ صديقه سؤاله بشكل صحيح، وتلقاه الصيَّاد هو الآخر بالاستجابة فرفع تعجب السائل، كما أنَّ السؤال بدا تعجبًا صادقًا من ذلك السائل، فالإنسان بطبعه غير قنوع.

والفعل الإنجازي المقدَّر هنا، يُعدُّ فعل قول (◊) يتألَّف من:

١- فعل صوتي: (س،أ،ل).

٢- فعل تركيبي: مضمر جاء في صيغة المضارعة، وفاعله ضمير مستتر تقديره "أنا" للمتكلم.

٣- فعل دلالي مرجعي: يَسْأَلُ سُؤَالاً. سُؤَالٌ كَثِيرٌ: السُّؤَالِ (٢)، ويعود مرجع الفعل على "صديق المنفلوطي".

و يشتمل على قوة إنجازية (Δ) = التعجب من رضا الصيَّاد، وعدم اكتراثه لأحوال الأغنياء من حوله.

وبحسب تصنيف أوستين لأفعال الكلام يقع هذا الفعل الإنجازي تحت طائلة "أفعال السلوك"؛ حيث جاء كردة فعل لمنطوق الرضا على لسان الصيَّاد.

ويحوي الملفوظ (٦) فعلاً إنجازيا غير صريح، يمكن تقديره بـ (∏) = "أُنادي" وقد دلَّ عليه مقام التلفظ.

---

(١) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة ١٧٦.

(٢) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة ١٢٤/٣.

وهو ممَّا توافرت فيه شروط المواضعة بين المرسل (الكاتب)المخوَّل بالتوجيه، والمتلقين (القراء) الذين يتابعون ما يكتبه، وتبدو المناسبة قائمة علىتوجيه النصح من قِبل أديب ومصلحٍ اجتماعي، إلى أبناء جنسه من الرجال، ويظهر صدق الكاتب في هذا النداء من خلال ما يحمله من همٍّ تجاه مجتمعه المصري خاصة والعربي عامة، وتمَّ تنفيذ هذا الفعل من قِبله في صورة إنجازيَّة وقصديَّة صحيحة.

والفعل الإنجازي المقدَّر يُعدُّ فعل قول (◊)يتألَّف من:

١- فعل صوتي: (ن،ا،د،ى).

٢- فعل تركيبي: مضمر جاء في صيغة المضارعة، وفاعله ضمير مستتر تقديره "أنا" للمتكلم.

٣- فعل دلالي مرجعيمن نادى ينادي فهو منادٍ ، ويعود مرجع الفعل على " المنفلوطي".

و يشتمل على قوة إنجازية (Δ) =استرعاء انتباه الرجال و توجيههم إلى الرفق بالنساء.

وبحسب تصنيف أوستين لأفعال الكلام يقع هذا الفعل الإنجازي تحت "أفعال التنفيذ" لكونه يؤدِّي نصحًا وتوجيهًا.

٥-١-٢ الأفعال الإنجازية حسب تصنيف أوستين:

سبقت الإشارة إلى قيام أوستين بتصنيفالأفعالَ الإنجازية إلى خمسة أنواع، لم يكن راضيًا، ولكنَّها أدَّت دورًا فاعلاً في تطور النظرية لاحقًا[١]، فالمتأمل في هذا التصنيف يرىيوبًا من حيث المبدأ، وهو ما وضَّحه تداوليون آخرون، والسبب في ذلك يكمن في إيلائه أهميَّة بالغة للقصد والبث على حساب المسار التأويلي للتلقي، وذلك ضمن التفاعل التواصلي في كلِّيَّته، أضف إلى ذلك صعوبة تحقق انسجام الهدف الكوني والنسبيَّة التي يستدعيها أخذ السياق بعين الاعتبار وبشكل أساسي في عمل اللغة العادية[٢].

١- أفعال القرار(Verdictives):

يختص هذا النوع بكونه صادرًا عن محكمة متعارف عليها بين الجماعة المتكلمة سواءً أكان ذلك الحكم من هيئة قضائية أم غيرها، وليس من الضرورة وفق تصنيف أوستين أن تكون هذه الأحكام نهائية،

(١) انظر ص ٦٥ من هذه الدراسة.

(٢) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ٦١.

فقد يكون الحكم تقديرياً أو في صورة رأي أو تقييم، وفي جميع هذه الصور يتعلق الأمر بإصدار حكم حول شيء ما[1] وهذا النمط من الأفعال، إمَّا أن يأخذ صفة رسمية تتمثل في القضاء، أو صفةً غير رسميةانطلاقاً من شهادة الغير وبينته فيما يخص الأحداث والوقائع والقيم[2].

ومن أمثلة الملفوظات الإنجازية ذات القرار الرسمي، ما يلي:

يتساءل المنفلوطي مخاطباً قارئه عمَّا سيحلُّ بعد إعلان الدستور العثماني، وهل سيكون هناءً أم عزاءً ، سيما بعد رحيل نخبة من فضلاء السوريين على إثره عن أرض مصر.

- " *فارق مصر على إثر إعلان الدستور العثماني كثير من فضلاء السوريين*"[3].

يعدُّ الملفوظ السابق فعلاً تأثيرياً ، ولكنَّه جاء متضمناً فعلاً إنجازياً غير صريح أيضاً في صيغة تقريرية، ويمكن تقديره وفق التالي:

$\prod$ = تعلنُ قيام الدستور العثماني الجديد.

Δ = التشريع والتنظيم الإداري.

أمَّا الملفوظ الإنجازي الذي يمثل فعل القرار غير الرسمي، فمثل:

لينتقد المنفلوطي قصة خيالية ساقها أحد الكُتَّاب، برر فيها الرذيلة والإباحية، فيقول المنفلوطي معلقاً على هذه القصة:

- "*فالحقُّ أقولإنَّ الكاتب أخطأ في وضعها، وما كنتُ أحسب إلا أنَّ مذهب الإباحية قد قضى وانقضى بانقضاء العصور المظلمة*"[4].

جاء الفعل الإنجازي في الملفوظ السابق صريحاً "أقول".

$\prod$ = أقول: إنَّ الكاتب أخطأ في وضعها.

Δ = إصدار تقييم بالتخطئة و توبيخ الكاتب على محتوى قصَّته.

---

(١) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة ١٧٤.

(٢) المرجع السابق ١٧٦.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٠١/١، من مقالة "أهناء أم عزاء".

(٤) المرجع السابق ١٨٧/١، من مقالة "الحب والزواج".

وهذه الأفعال (القرار) بحسب أوستينفرتبطة بشكل واضح بمفهومي الصدق أو الكذب سواءً أكانت منبنية على أساس مكين أم لم تكن، عادلةً كانت أم جائرةأمَّا كون محتوى القرار صادقًا أو كاذبًا فهذا أمر مكشوف للعيان، فعندما يعلن القاضي،أو يخطِّئ الكاتب أحدهم، فهذا يفهم بأنَّ قرار الإعلانقد بات ساري المفعول، وأنَّ المنفلوطي قد حقق فعلاً تقييميا[١].

٢-أفعال التنفيذ (Exercitive):

تتعلق هذه الأفعال بممارسة السلطة والقانون والنفوذ، فهي ممارسة تشريعية، كالتعيينات في المناصب، وإصدار الأوامر التفسيرية، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير وغيرها[٢].

ومن أمثلة أفعال التنفيذ المنبثقة عن السلطة،الملفوظُ التالي:

ليدخل المنفلوطي على حاكم البلدة، فيرى في مجلسه فتاة صغيرة تبكي، بعد أن زوَّجها أهلها من رجل وحشي الخَلق والخُلق يكبرها، فتكرر هروبا منه ومن تعسف أهلها إلى أن ينقطعا الحال هائمة على وجهها لا تعرف لها مذهبًا ولا مستقرًا، قبل أن يرفع أمرها إلى الحاكم:

- "*فأمر الحاكم باستدعائها، وآواها في منزله ليخلصها من ذلك الموقف*"[٣].

جاء الفعل الإنجازي السابق في صيغة ملفوظ تقريري، فهو فعل إنجازي غير صريح، ويمكن تقديره وفق التالي:

∏مرُ باستدعاء الفتاة وإيوائها في منزلي إلى أن يتمَّ حلُّ مشكلتها.

Δ = حماية الفتاة ورفع الظلم عنها.

ويمثِّل الملفوظ التالي كفعلاً إنجازيًا تنفيذيًا لإعطاء التوجيه والنصح:

ليخاطب المنفلوطي كلَّ إنسان انتزع الله الرحمة من قلبه، ومنهم ذلك الأب الذي أهمل رعاية ولده.

- "*ارحم ولدك وأحسن القيام على جسمه ونفسه فإنَّك إلا تفعل قتلته أو أشقيته فكنت أظلم الظالمين*"[٤].

---

(١) انظر أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة ١٧٦.

(٢) المرجع السابق ١٧٤.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٥٢/١، من مقالة "البائسات".

(٤) المرجع السابق ٩٥/١، من مقالة "الرحمة".

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيا غير صريح، جاء في صيغة أمر، ويمكن تقديره وفق التالي:

∏ = نصحكَ أيُّها الإنسان: ارحم ولدك وأحسن القيام على جسمه ونفسه ....

Δ = النصح بامتثال الرحمة.

ومن أمثلة الفعل الإنجازي التنفيذي القائم على التحذير:

يخاطب المنفلوطي القارئ محذراً إياه من مغبة الكذب ومخالطة الكاذبين:

- لا "تأمن الكاذبَ على ودٍّ، ولا تثق منه بعهد"[١].

جاء الملفوظ السابق فعلاً إنجازيا غير صريح لتنفيذ التحذير في صيغة ي، ويمكن تقديره كما يلي:

∏ = أناك:لا تأمن الكاذبَ على ودٍّ، وأناك: لا تثق منه بعهد.

Δ = التحذير من مغبة مخالطة الكاذب.

ويرى أوستين أنَّه من الواضح وجود علاقات بين القرارات التشريعية (أفعال القرار) والممارسات التشريعية (أفعال التنفيذ)[٢].

٣- أفعال الوعد (Commissives):

وتمثل ضروب الإباحة كإعطاء الوعد أو التكفل، والضمان، والتعهد، وفي كل هذا يلتزم الإنسان أن يفعل شيئاً ما، وقد يندر في هذا الباب التصريح، وإعلان النية والقصد، وبذلك يدخل التصريح والقصد في الوعد[٣]. وهذا النوع من الأفعال يلزمنا بأن نتصرف في المستقبل حتى ينسجم على الأقل سلوكنا ويتلاءم معه، وهي تمثل التزاماً يتقاطع مع أفعال القرار، غير أنَّ هذا النوع من الأفعال يعدُّ إلزاماً لأنفسنا، وأمَّا أفعال القرار فهي إلزام للآخرين[٤].

ومن أمثلة أفعال الوعد:

يخاطب المنفلوطي القرَّاء حاثا الأغنياء على الرحمة والإحسان إلى الفقراء، ممنيا المحسن بما يعقب إحسانه من الأثر الطيب الذي سيجده لاحقاً:

(١) المرجع السابق ١٧٣/١، من مقالة "الكذب".

(٢) انظر أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة ١٧٤.

(٣) المرجع السابق ١٧٤.

(٤) المرجع السابق ١٧٦-١٧٧.

أعدكَ وعداً صادقاً أنَّكَ ستمرُّ في بعض لياليك على بعض الأحياء الخاملة فتسمع من يحدِّث جاره عنك من حيث لا يعلم بمكانك، أنَّك أكرم مخلوقٍ وأشرف إنسان"(١).

فالملفوظ الإنجازي السابق جاء في صيغة فعل وعد إنجازي صريح، يمكن توضيحه وفق التالي:

∏ =أعدك وعداً صادقاً أنَّك ستمر في بعض لياليك على بعض الأحياء ... .

Δ =الالتزام والثقة المؤكَّدة التامَّة بحدوث ذلك.

ويُلاحظ أنَّ الفعل الإنجازي اشتمل على مؤكدين، المفعول المطلق "وعداً"، وحرف التوكيد "إنَّ" وهذان المؤكِّدان يؤديان إلى عدول كمِّي بالزيادة في القوة الإنجازية، فلو كان الملفوظ "أعدكَ " فقط:

Δ = الالتزام بحدوث ذلك.

ولو كان "أعدكَ وعداً" دون المؤكد الثاني "أنَّ":

Δ = الالتزام والتأكيد على حدوث ذلك.

غير أنَّ دخول مؤكدين على فعل الوعد عمل على عدولٍ كمي بالزيادة في القوة الإنجازية لتمثل التزاماً وثقة مطلقة بحدوث الأمر.

ومن أمثلة الأفعال الإنجازية الوعديَّة الدالَّة على التعهد:

ـ يحكي المنفلوطي قصة فتى مسكين منزوٍ في ركن من أركان أحد الأندية، يطلب منه الكاتب أن يخبره بما يشكو منه، فيرفض أن يبوح بما يعالج في صدره من هموم، يقول:

- *أُعطيتُ الله تعالى عهداً منذ خلقت ألا أشكو إلا من أرجو عنده البرء*"(٢).

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيا غير صريح في صيغة ملفوظ تقريري، تمثَّل في فعل وعد ، ويمكن توضيحه وفق التالي:

∏ =أتعهَّدُ لله ألا أشكو حالي إلا لمن أرجو عنده البرء.

Δ = إلزام نفسه بهذا العهد وعدم نقضه.

---

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٩١/١، من مقالة "الرحمة".

(٢) المرجع السابق ٨٤/١، من مقالة "إلى الدير".

٤ - أفعال السلوك (Behabitives):

تختص بمجموعة منتشرة لا يمكن حصر أطرافها بسهولة، ولكنها تندرج تحت باب السلوك والأعراف اتمعية وأمثلتها الاعتذارات، والتهاني، والتعازي ... إلخ[١] ، فهو نوع من التعبير نطلق العنان فيه لأحاسيسنا، وننفس بهعمَّا يخالجنا إزاء الآخرين[٢].

ومن أمثلة أفعال السلوك التي تفيد الاعتذار:

ـ يتحدث الكاتب إلى شعرة بيضاء ظهرت في مفرق رأسه، وبعد حوار طويل يعقده معها مليء بالعتاب والتأنيب، يعود آسفًا ملتمسًا العذر منها:

هل لكِ أن تتجاوزي عمَّا أسأتُ إليكِ في إطالةِ عتبك، واستثقال ظلِّك؟ فلقد رجعت إلى نفسي فعلمت أنَّك أكرم الخلائق عندي"[٣].

يحوي هذا الملفوظ فعلاً إنجازيا غير صريح في صيغة استفهام، ويمكن توضيحه وفق التالي:

أعتذرُ عمَّا أساتُ به إليكِ في إطالة عتبك، واستثقال ظلِّك.

Δ = الرضا والقناعة بقضاء الله وقدره.

والأمر ذاته ينطبق على التهنئة:

ـ يقول مخاطبًا تلك الشعرة البيضاء:

هنيئًا لكِ رأسي مصيفًا ومرتعًا، فأنتِ رسول الموت الذي ما زلت أطلبه ..."[٤].

فالملفوظ السابق يحوي فعلاً إنجازيا غير صريح، يمكن تمثُّله بما يلي:

أُهنِّئكِ برأسي مصيفًا ومرتعًا.

Δ = الرضا بأمر الله.

ومن الملفوظات التي تقع تحت طائل المواساة والتعزية:

---

(١) انظر أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة ١٧٤.

(٢) المرجع السابق ١٨٢.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٥٨/١، من مقالة "الشعرة البيضاء".

(٤) المرجع السابق ١٥٩.

يوالسي الكاتب رجلاً راسلَه طالبً ا مشورته، بعدَّ أن جرَّ عليه تمسكه بالصدق الويلات والمصائب، فيخاطبه قائلاً :

-أتريدُ أيُّها الرجل أن تُسمَّى صادقًا، وأن تنال أشرف لقب يستطيع أن يناله بشر دون أن تبذل في سبيله شيئًا من مالك أو راحتك؟"(١).

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيا غير صريح، يفيد التعزية والمواساة، يمكن تمثُّله وفق التالي:

$\prod$ = أُواسيك: الصدق أشرف لقب يستطيع أن يناله البشر، ولابد له من البذل.

Δ = اصبر في سبيل القيم الفضلى.

وثمَّة ارتباط بين أفعال السلوك وأفعال الوعد، فمساندة شخص ما هو في ذات الوقت ردٌّ مناسب على سلوكه، وهو إلزام لأنفسنا بمجرى تصرفاته ونشاطاته(٢).

ففي حين أنَّ القَسَمَ يُعدُّ من أفعال الوعدِ إلا أنَّه قد يأتي إنجازيًا سلوكيًا كردة فعلٍ لسلوكٍ ما، وهو ما يتمثَّل في الملفوظ التالي:

ـ يخاطب المنفلوطي لرم مستهجنًا ما لشركائه في لتمع من أثرٍ في جريمته:

أُقسِمُ لو كنت قاضيًا لأعطيتك من العقوبة على قدر سهمكَ في الجريمةولجعلتُ تلك الجزوعقسمةً بينك وبين شركائك"(٣).

ل هذّا الملفوظ فعلاً إنجازيا صريحًا، هو القسم، وهو ممَّا يأتي مزدوجًا بين الوعد والسلوك، وقد بدا هنا في أفعال السلوك لكونه، قد جاء كردة فعل لما يتركه لرم وشركاؤه من أثرٍ وفساد، ويمكن توضيحه وفق التالي:

$\prod$ = أُقسِمُ لو كنت قاضيًا لأعطيتك من العقوبة على قدر سهمكَ في الجريمة ولجعلتُ تلك الجزوع قسمةً بينك وبين شركائك.

Δ =الاستهجان و الغضب من صنيعه وصنيع شركائه.

---

(١) المرجع السابق ١٢٩/١، من مقالة "الصدق والكذب".

(٢) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة ١٨٣.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٢٠/١، من مقالة "أفسدك قومك".

٥- أفعال الإيضاح (Excpositives):

وهي معروضاتٌ وصفيَّة، يعترف أوستينأنَّ ا الأصعب تعريفً ا، ولكنَّها تبين كيف أنَّ العبارات المتلفظ ا تجري مجرى الاحتجاج والنقاش، كما تكشف كيف أنَّنا نستخدم الألفاظ بوجه عام[١]، وهي تستعمل في أفعال طريقة العرض التي تقتضي أن نفسِّر بفضلها وجهات نظرنا، وسوق حججنا، وتوضيح استعمالاتنا للألفاظ، ومرجع إحالتها.[٢]

لـ يتحدَّث المنفلوطي في قصة ساقها على لسان حكيم وقف بين الملك ووزيره بعد أن اختلفا في مناظرة بينهما حول المرأة، فجاء بصورة تحوي على وجهها الأول صورة امرأة شوهاء، والوجه الآخر لامرأة حسناء، فيقول الحكيم:

- "أحبُّ أن أعرض عليكماهذه الصورة ليعطيني كلٌّ منكما رأيه فيها "[٣].

يشمل الملفوظ السابق فعلين إنجازيِّين صريحين، أ"حبُّ " و "أعرض"، كلاهما من أفعال الإيضاح، ويمكن تمثُّلهما وفق التالي:

∏ =أحبُّ عرض صورة ... + أن أعرضَ عليكما هذه الصورة ...

Δ =سوق الحجَّة + تفسير وجهة النظر.

ويعترف أوستين بأنَّ التصنيفين الأخيرين (أفعال السلوك-أفعال الإيضاح)يعدَّان أكثر تعقيدً ا ومدعاة للحيرة والارتباك، إمَّا لعدم وضوحهما من جهة تصنيفهما، أو لتداخلهما، حتى ليكادا يكونان بحاجة إلى إعادة تصنيف من جديد –بحسب رأي أوستين نفسه-[٤].

بقي أن أشير إلى صعوبة التمييز بين أفعال الإنجاز في ملفوظات المنفلوطي وفق تصنيف أوستين، وربما كان ذلك عائدً ا إلى طبيعة التصنيف الذي يقوم على عدَّة اعتباراتوجِ هات، كجهة اعتبار المناسبة من عدمها، وجهة صياغة الفعل الإنجازي وقوته، وجهة الصدق والكذب وجهة دلالة فعل الكلام بين المعنى والمرجع، فمن شأن هذا كلِّه أن يعمل على دخول الفعل الواحد تحت عدَّة تصنيفاتفي آن معً ا، ويؤدي بدوره إلى إضعاف الجانب المنهجي في أيَّة دراسة وفق هذا التصنيف.

---

(١) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة ١٧٥.

(٢) المرجع السابق ١٨٣.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٢١/١، من مقالة "أدب المناظرة".

(٤) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة ١٧٥.

ولهذا يقول أوستين: "يجب أن نكون واضحين من البداية بأنَّه توجد إمكانات لظهور حالات أخرى أكثر صعوبة؛ لكوا تتراكب متعاظلة في ترتبها"(١).

وفيما يلي جدول يوضح الأفعال الإنجازية وقواها من خلال الملفوظات السابقة وفق تصنيف أوستين:

م	∏	نوعه	تصنيف أوستين	Δ
١	فارق مصر على إثرإعلان الدستور العثماني كثير من فضلاء السوريين	غير صريح	أفعال القرار	التشريع والتنظيم
٢	أقول: إنَّ الكاتب أخطأ في وضعها	صريح	أفعال القرار	التوبيخ
٣	فأمر الحاكم باستدعائها	غير صريح	أفعال التنفيذ	حماية الفتاة
٤	ارحم ولدك وأحسن القيام على جسمه	غير صريح	أفعال التنفيذ	النصح
٥	تأمن الكاذبَ على ودٍّ ولا تثق منه بعهد	غير صريح	أفعال التنفيذ	التحذير
٦	وعدًا صادقًا أنَّكَ ستمرُّ في بعض ...	صريح	أفعال الوعد	الالتزام والثقة
٧	أعطيت الله تعالى عهدًا مذ خلقتُ ألا أشكو إلا من أرجو عنده البرء	غير صريح	أفعال الوعد	الالتزام
٨	أن تتجاوزي عمَّا أسأتُ به إليكِ في إطالةِ عتبك، واستثقال ظلّك	غير صريح	أفعال السلوك	الرضا بقضاء الله وقدره
٩	كِ رأسي مصيفًا ومرتعًا، فأنتِ رسول الموت الذي ما زلت أطلبه	غير صريح	أفعال السلوك	الرضا بأمر الله
١٠	أتريدُ أيُّها الرجل أن تُسمَّى صادقًا دون أن تبذل في سبيله شيئًا من مالك أو راحتك؟	غير صريح	أفعال السلوك	الصبر في سبيل القيم الفضلى
١١	مُ لو كنت قاضيًا لأعطيتك من ...	صريح	أفعال السلوك	الغضب
١٢	حبُّ عرض صورة ...	صريح	أفعال الإيضاح	سوق الحجَّة
١٣	أن أعرضَ عليكما هذه الصورة ...	صريح	أفعال الإيضاح	تفسير وجهة النظر

(١) المرجع السابق والصفحة .

٥-٢ ملامح الأفعال الإنجازية في ضوء نظرية سيرل:

عمل سيرل جاهداً من أجل سدِّ الثغرات التي لحقت بنظرية أستاذه أوستين، وحاول إيجاد حلول لتلك التداخلات بين الفعل الإنجازي وقوَّته،و الفعل الدلالي الناتج عن فعل القول.

فإذا كان أوستين قد قسَّم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام: قولي، وإنجازي وتأثيري، مشيراً إلى أنَّ فعل القول يحوي ثلاثة أفعال بدورها: صوتي، وتركيبي، ودلالي مرجعي، فإنَّ سيرل عمل على إضافة فعل رابع هو المحتوى القضوي، وأدرجه داخل الفعل التركيبي للفعل التلفظي (القولي)، وذلك لتدارك الالتباس الناتج عن التداخل بين الفعل الدلالي والفعل الإنجازي، أمَّا التمييز في الفعل التلفظي بين الفعلين الصوتي والتركيبي فلا يطرح إشكالاً، فالقواعد الفونولوجية والتركيبية لا تتغير، إلا أنَّ الصعوبة تظهر مع الفعل الدلالي ما دام يقوم على إدراج المعنى الذي يتمُّ قبل إدراج قوة الفعل الإنجازي، ولتجاوز هذا اللبس أعاد سيرل صياغة تركيبة الفعل الكلامي، ليشمل أربعة أفعال، هي: الفعل التلفظي؛ حيث يشمل الفعل الصوتي والتركيبي فقط، ويجعل الفعل الدلالي المرجعي ضمن ما أطلق عليه المحتوى القضوي، إضافة إلى إبقائه على الفعلين الإنجازي والتأثيري تماماً كما جاء لدى أوستين، وقد ساعد هذا التعديل على تبيين الفرق بين المحتوى القضوي والقوة الإنجازية؛ إذ يمكن للمحتوى القضوي الواحد أن يظهر مع تحقيق أفعال إنجازية مختلفة، وقوى إنجازيَّة متعددة[١]، على أنَّ سيرل يرى أنَّ الفعل التلفظي هو مجرد تلفظ، ويقوم المحتوى القضوي بعمليَّة الحمل والإحالة، يرى أنَّ هذا الأخير محايدٌ، وهذا ما يميزه عن القوة الإنجازيَّة[٢].

وإذا ما نُظر إلى الملفوظ التالي وجد أنَّه يضم محتوى قضوي واحد (⊥)، إلا أنَّ الأفعال الإنجازية (∏+∏+∏) التي يحققها يمكن أن تكون متعددة:

- "*هل توجد سعادة غير سعادة المال؟*"[٣].

⊥ = وجود السعادة في غير المال.

∏ = أسأل: هل توجد سعادة غير سعادة المال؟

∏ =أُقرُّ : هنالك سعادة غير سعادة المال.

---

(١) بدوح، حسن، المحاورة مقاربة تداولية ١٧٠-١٧٢.

(٢) المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية ٢٦-٢٧.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٦١/١، من مقالة "الصيَّاد".

∏ = أنفي: لا *توجد سعادة غير سعادة المال*.

∏ =أشكُّ بوجود سعادة غير سعادة المال.

كما أنَّ السؤال بدوره يعدُّ فعلاً إنجازيا قد يحوي عدَّة قوى إنجازية :

Δ = طلب معرفة حقيقة وجود سعادة في غير المال.

Δ = الإقرار بوجود سعادة في غير المال.

Δ = نفي وجود سعادة في غير المال.

Δ = اختبار من يقول بذلك القول.

فالمحتوى القضوي (⊥) في الملفوظ السابق هو محتوى واحد يمكن أن تكون له عدَّة أفعال إنجازية، وعدَّة قوى إنجازية، وما يحدد الفعل الإنجازي المقصود من الملفوظ هو الفعل الدلالي المرجعي الذي يُعدُّ جزءًا من المحتوى القضوي، وبذلك يخضع هذا الفعل لسياق التلفظ، وهو كالتالي:

يحكي المنفلوطي قصَّة صاحبه الغني الذي التقى صيَّادًا فقيرًا قنوعًا بما قسمه الله له من رزق، حيث يشتري الغني سمكةً من الصيَّاد دون مماكسة في السعر، فيدعو ذلك الصيَّاد الله للرجل الغني بالبركة وأن يمنحه سعادة النفس، فيتعجَّب الغني من اهتداء صيَّاد عامي إلى معرفة حقيقة لا يعرفها إلا القليل، وهي أنَّ للسعادة النفسية شأنًا غير شأن السعادة الماليَّة؛ لذا وجَّه له ذلك السؤال مختبرًا إيَّاه، ويمكن تحليله وفق التالي:

⊥ = وجود سعادة في غير المال؟

∏ = أسأل: هل توجد سعادة في غير المال؟

Δ = الاختبار وطلب التيقن من مدى معرفة الصيَّاد بحقيقة السعادة النفسيَّة.

وإذا يكون سياق التلفظ قد حدَّد الفعل الإنجازي وقوَّته للمحتوى القضوي، الذي يحتمل عدَّة مقاصد، ويمكن أن يظهر في سياقات مختلفة، وبالتالي في أفعال إنجازيةمتعدِّدة، غير أنَّ سياق التلفظ أشار إلى معرفة الغني بتلك الحقيقة، فدلَّ على أنَّ فعل الكلام الإنجازي كانسؤالاً، وكانت قوَّته تتمثل في اختبار المتكلم وحرصه على التيقن من مدى معرفة ذلك الصيَّاد بتلك الحقيقة.

٥-٢-١ الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة:

ميَّز سيرل بين نوعين من الأفعال الإنجازيَّة، عمل أوليٌّ يكون القصد فيه ذا دلالة حرفيَّة، وهو ما أطلق عليه "الفعل الإنجازي المباشر"وآخر ثانويٌّ متحققٌ في القول، ويكون ذا دلالة غير حرفيَّة، وهو ما أطلق عليه "الفعل الإنجازي غير المباشر"[(١)] وسيتمُّ توضيح ذلك من خلال الملفوظات الإنجازيَّة ذات الصيغة الاستفهاميَّة كأنموذج لهذين الفعلين.

ومن المهم الإشارة إلى أنَّ سيرل أوضح أنَّ المتكلم يملك إمكانات متعددة للتعبير عن مقاصده تعمل على تحديد القوى الإنجازيَّة التي قد يحتملها الملفوظ الواحد، حددها سيرل في ثلاثة مقاصد، هي[(٢)]:

١- أن يتلفظ المتكلم بجملة وهو يقصد ما تعنيه بشكل فعلي وحرفي (فعل إنجازي مباشر).

٢-أن يتلفظ المتكلم بجملة وهو يعني ما يقوله، إضافة إلى أشياء أخرى، تتمثل في إثبات أمرٍ غير مقصود، تتحدد دلالته عبر الدلالة الحرفيَّة للمحتوى القضوي (فعل إنجازي غير مباشر).

٣-أن يتلفظ المتكلم بجملة وهو يقصد ما يقوله، ولكنَّه يقصد أيضًا معنى آخر له محتوى قضوي مختلف تمامًا (فعل إنجازي غير مباشر = استلزام حواري).

١- الفعل الإنجازي المباشر:

تعدُّ اللغة العادية التي يقوم عليها الاستعمال اليومي لملفوظات الفرد ثريَّة المقاصد، وهذا النمط المباشر في إنجاز أفعال الكلام وإن كان مهما إلا أنَّه ليس ذلك اللون المنتشر في لغة الاستعمال؛ حيث لا يجنح الفرد عادة إلى الإثبات أو الأمر أو النهي أو الاستفهام أو التعجب أو التمني أو التحذير ... إلخ، من خلال ملفوظات حرفيَّة مباشرة، يوافق فيها المحتوى القضوي مقاصد المتكلم.

ومع ذلك، فلا غنى عن هذا النَّمط؛ كونه الخيار الأوَّلي للمتلفِظ، والقبول الأوَّلي للمتلفظ له، ظهرُ ملفوظات المنفلوطي أنماطًا قليلة من الفعل الإنجازي المباشر، ولعلَّ ذلك يعود إلى طبيعة الخطاب الأدبي الث ري بالصور لازيَّة البيانيَّة وأغراض المعاني المختلفة التي تُقدِّمها الجُمل الإنشائية.

---

(١) الهمامي، ريم، الاقتضاء وانسجام الخطاب ٤١٤.

(٢) بدوح، حسن، المحاورة مقاربة تداولية ١٧٢-١٧٣ .

ويضع سيرل أربعة شروط لتحقق الفعل الإنجازي المباشر، هي[1]:

١- شرط المحتوى القضوي بأن يرد الفعل الإنجازي المراد تحققه داخل الملفوظ.

٢- الشرط التمهيدي بأن يتداخل مقام الكلام والأهلية (المواضعة)لجعل الكلام فعَّالاً وذا معنى.

٣-شرط الجدِّيَّة بأن لا يقول المتكلم إلا ما يعتقد صحته، ويقصد تحقيق إنجازه، فهو لا يسأل على سبيل المثال إلا من أجل العلم.

٤- الشرط الجوهري، ويتعلق بشرط الصدق؛ إذ لا ينبغي على المتكلم أن يقول ما يناقض معتقداته ورغباته.

و بشكل مجمل، تخضع هذا الشروط لشرط أساس هو توافر الظروف العادية والملائمة لسلامة مجرى الكلام.

ومثال تلك الأفعال الإنجازيَّة المباشرة في ملفوظات النظرات ما يلي:

(١) لـ يزور المنفلوطي حاكم البلدة في منزله، فيرى بين يديه فتاة بائسة عليلة، فيسأل:

ما شأنُ تلك الفتاة ؟ فعلمتُ أنَّ أهلها زوجوها وهي في هذا السنِّ وعلى السذاجة من رجل وحشي الخَلق والخُلق"[2].

(٢) لـ يتوه الطريق المظلم بالكاتب، فيأخذه إلى زقاق مهجور موحش فيسمع أصوات استغاثة تصدر من أحد المنازل القريبة، فيطرق الباب بعد أن عاهد الله على ألا يدع محزوناً إلا وساعده، تفتح فتاة صغيرة الباب، فيسألها:

- "*هل عندكم مريض؟*"[3].

(٣) لـ يغفو الكاتب إغفاءة طويلة، فيرى في منامه أنَّه قد بلغ أرض المحشر، وأنَّ جارية حملته فاجتازت به الصراط، فلمَّا وقف أمام باب الجنَّة منعه خازنا رضوان، وسأله:

---

(١) المرجع السابق ١٧١-١٧٢ .

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٥٢/١، من مقالة "البائسات".

(٣) المرجع السابق ١٧٦/١، من مقالة "غرفة الأحزان".

- "*أين جوازك؟*"[1].

عند تحليل الملفوظات (١) و (٢) و (٣) يلاحظ أنَّها تحوي أفعالاً إنجازية جاءت في صيغة استفهام ذي دلالة حرفيَّة وتوليَّة مباشرة، فالمتكلم قصد به محتواه القضوي بشكل فعلي وحرفي.

م	∏	∧	∆
١	أسأل: ما شأنُ تلك الفتاة	شأن الفتاة	طلب العلم بشأن الفتاة
٢	أسال: هل عندكم مريض؟	وجود مريض	طلب العلم بوجود مريض
٣	أسال: أين جوازك؟	جواز دخول الجنَّة	طلب العلم بوجود جواز دخول الجنَّة

ففي الملفوظ (١) يأتي الفعل الإنجازي مباشراً حرفياً؛ حيث تحقق فيه شرط المحتوى القضوي عبر ورود الفعل الإنجازي المراد تحققه داخل الملفوظ المتمثل في "شأن الفتاة"، كما أنَّ الكاتب بسؤاله يحظى بالأهليَّة التي تخوله بالسؤال ، وبالتالي تحقق المواضعة عبر الشرط التمهيدي، بالإضافة إلى جديَّته في تحقيق الإنجاز، والمتمثل في السؤال من أجل العلم بشأنها، وكذلك تحقق الشرط الجوهري، فهو عندما يسأل لا يعلم بحال تلك الفتاة.

والملفوظ (٢) وتلى الفعل الإنجازي فيه مباشراً حرفياً أيضاً، وتحققت فيه الشروط الأربعة، فقد تمَّ المحتوى القضوي عبر ورود الفعل الإنجازي المراد تحققه داخل الملفوظ "وجود مريض"، والمتكلم عبر سؤاله كان يحظى بأهليَّة تخوله من ذلك، وكان ذا جدَّيَّة في تحقيق إنجاز فعل القول المتمثل في قوة إنجازيَّة أراد من خلالها طلب العلم بوجود مريض بالمنزل، وتحقق الشرط الأخير في جوهر صدق سؤاله؛ حيث لم يكن على علمٍ بوجود مريض من عدمه.

ويحوي الملفوظ (٣) فعلاً إنجازيا مباشراً حرفيا تحققت به شروط الفعل الإنجازي المباشر لدى سيرل، فقد ورد الفعل الإنجازي المراد تحققه داخل الملفوظ "جواز دخول الجنَّة"، والملك رضوان هو خازن الجنَّة، وبالتالي فهو يملك حق السؤال عمَّا يثبت أهلية دخولها، بالإضافة إلى كون السؤال جاء طلباً من أجل العلم بوجود الجواز، ولم يكن الملَك على علمٍ بوجود جوازه من عدمه.

(١) المرجع السابق ١/١٠٠، من مقالة "رسالة الغفران".

٢- الفعل الإنجازي غير المباشر:

يُعدُّ هذا النمط من الأفعال الإنجازيَّة الأكثر استعمالاً في اللغة العاديَّة وهو ما انعكس فعلاً على ملفوظات المنفلوطي في "النظرات"التي بدا فيها هذا النمط من الأفعال الإنجازيَّة غنيا بشكل كبير؛ حيث تخالف فيها قواها الإنجازيَّة مراد الكلام كما أنَّ هيئتها التركيبية لا تدلُّ على زيادة في المعنى الإنجازيالحرفي، وإنَّما الزيادة فيما أطلق عليه سيرل معنى المتكلم، وهو ما يقود إلى الاستلزام الحواري، أو ما أطلق عليه سيرل استراتيجية المتكلم (Inference stratigy)[١]. وهذا النمط من الأفعال الإنجازية يعدُّ معنى مقاميا بامتياز، بعكس الفعل الإنجازي المباشر الذي تدلُّ عليه صيغة الملفوظ ذاا[٢].

ويتم الانتقال من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي غير المباشر –حسب سيرل- عبر سلسلة من الاستدلالات بناءً على أسس من المعلومات المشتركة بين المرسل والمتلقي، يقع حلُّها على عاتق قدرات المتلقي. ويبلغ عدد تلك الاستدلالات عشرة،غير أنَّ سيرل يُعقِّب على تحديدها بأنَّا قد تقل أو تزيد، كما أنَّ النتيجة المتوصَّل إليها هي نتيجة احتماليَّة فقط؛ لأن المتكلم يمكنه مواصلة الكلام بناء على معنى صريح[٣].

ويمكن تمثُّل تلك الاستدلالات العشرة التي وضعها سيرل في الملفوظ التالي:

لـمينام المنفلوطي، فيرى في منامه أنَّه في يوم الحساب، وهناك يلتقي أحد أصحابه، فيتجوَّل معه في عرصات ذلك الموقف بعد أن كُشفت الحجب، فيريان الشيخ محمد عبده والكاتب قاسم أمين يتجادلان، فيطلب المنفلوطي من صديقه الاقترابمنهما واستراق نجواهما، قائلاً :

- "*هل لك في أن ندنو منهما ونسترق نجواهما من حيث لا يشعران؟*"[٤].

يمكن الوصول إلى اشتقاق المعنى المضمَّن من المعنى الصريح عبر قيام المتلقي بسلسلة من الاستدلالات، وهي كالتالي[٥]:

(١) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٥٠-٥١.

(٢) بدوح، حسن، المحاورة مقاربة تداولية ١٧٤.

(٣) المرجع السابق ١٧٣-١٧٥.

(٤) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٥٣/١، من مقالة "يوم الحساب".

(٥) الهمامي، ريم، الاقتضاء وانسجام الخطاب ٤١٥.

بدوح، حسن، المحاورة مقاربة تداولية ١٧٤-١٧٥.

الخطوة الأولى: سأل صديقي عمَّا إذا كنت قادراً على الدنو من الرجلين لاستراق نجواهما (مقام المحادثة).

الخطوة الثانية: أفترضُ أنَّه يتعاون في المحادثة؛ فإذن لقوله هدف أو غرض يقصده (تطبيق مبدأ التعاون لدى جرايس).

الخطوة الثالثة: ليس في ظروف المحادثة ما يدل على وجود فائدة نظريَّة من سؤالي عن قدرتي في الدنو من الرجلين، فبالتأكيد أنا قادر على ذلك (نظريَّة الأفعال الكلامية).

الخطوة الرابعة: أضف إلى ذلك بأنَّ صديقي المنفلوطي قد يعلم بأنَّ الإجابة على هذا السؤال هي نعم، (معلومة خلفيَّة مشتركة تمهد للانتقال للخطوة الخامسة).

الخطوة الخامسة: إذن قد لا يكون قوله مجرد استفهام، فقد يكون له غرض قولي آخر (هنا يتمُّ الاستدلال من الخطوة الأولى إلى الرابعة، فما هو الغرض الممكن من قول المنفلوطي؟).

الخطوة السادسة: يعدُّ الشرط التمهيدي لأي فعل إنجازي غير مباشر المرسل على إنجاز الفعل الذي يمثل محمولاً في شرط المحتوى القضوي.

الخطوة السابعة: إذن ألقى عليَّ المنفلوطي سؤالاً يستلزم جوابه الإثباتي أن يكون الشرط التمهيدي لطلبه من الدنو حاصلاً ، فهو قادر عليه (الاستدلال من الخطوة الأولى وحتى السادسة).

الخطوة الثامنة: نحن الآن في موقف يوم الحساب وعادة ما يزدحم الناس ويدنون من بعضهم، ومن عادة الإنسان الفضول وحب معرفة ما يدور بين الناس (معلومة خلفيَّة مشتركة).

الخطوة التاسعة: إذن ألمح المنفلوطي إلى توفُّر الشرط التمهيدي للطلب، فقد يكون يريد مني أن أُوجد الامتثال له (الاستدلال في الخطوة السابعة والخطوة الثامنة).

الخطوة العاشرة: إذن، وإثر غياب أيِّ غرض قولي معقول، فقد يكون المنفلوطي طلب مني أن أدنو من الرجلين (الاستدلال في الخطوة الخامسة إلى الخطوة التاسعة).

ويرجع سيرل لجوء المتكلم إلى استعمال هذا الأسلوب في التخاطب إلى آداب التعامل[1]، فقوله: فقوله: "*هل لك في أن ندنو منهما؟*"

يعدُّ أكثر تهذيباً من : "ادنُ منهما" أو "ادنُ ".

(١) الهمامي، ريم، الاقتضاء وانسجام الخطاب ٤١٦.

وبناءً على ذلك يمكن تحليل الفعل الإنجازي غير المباشر في الملفوظ السابق وفق التالي:

$\perp$ = الدنو من الرجلين (محمد عبده وقاسم أمين) لاستراق السمع.

$\prod$ = أسألك: هل لك في أن ندنو منهما؟

Δ = الأمر والطلب بتأدب.

ومن أمثلة الأفعال الإنجازيَّة غير المباشرة ذات الصيغة الاستفهاميَّة في ملفوظاتالمنفلوطي أيضًا:

(٤) لـينقل المنفلوطي قصةً حكاها له صديقه عن امرأة قبِل أبوها بتزويجها من رجل ذي منصب كبير، وكيف أنَّ أباها خُدع به في أول وهلة؛ حيث تخلى عنها وتركها فريسة للفقر والجوع بعد موت أبيها.تقول تلك الفتاة ملتمسةً لأبيها العذر عندما قبِل بزواجها:

-"*ذا الذي لا يخُدع بشابٍ متعلمٍ مهذب من ذوي المناصب الكبيرة والرتب العالية؟*"[(١)].

(٥) لـيخاطب المنفلوطي شعرةً بيضاء ظهرت في مفرق رأسهعاتبًا إياها، وهو أمام المرآة:

-"*أليس كلُّ ما أعدُّه عليكِ من الذنوب أنَّك طليعة الموت؟*"[(٢)].

(٦) لـيخاطِب بعض المسلمين ممَّن استحلَّوا دماء المسيحيين الذمِّيين في ولاية أطنة إحدى ولايات الدولة العثمانية، بالذبح والقتل والسلخ والتمثيل بهم سنة ١٩٠٩م دون مراعاة لسماحة الدين الإسلامي وشريعته، فيقول:

-"*من أيَّة صخرةٍ من الصخور، أو هضبة من الهضاب نحتُّم هذه القلوب التي تنطوي عليها جوانحكم؟*"[(٣)].

تحوي الملفوظات (٤) و (٥) و (٦)أفعالاً إنجازيَّةغير مباشرة؛ حيث إنَّ الصيغة الاستفهاميَّةفي كلٍّ منها لم تأتِ حرفيَّةً،ظهر ذلك من خلال الاستدلالات في عمليَّة التلقي وكذلك دلالة مقام التلفظ

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٠٤/١، من مقالة "الزوجتان".

(٢) المرجع السابق ١٥٩/١، من مقالة "الشعرة البيضاء".

(٣) المرجع السابق ٢٣٠/١، من مقالة "لا همجيَّة في الإسلام".

الذي يوضح عدم قبول ورود تلك الاستفهامات على حقيقتها، إذ يمكن تأولها إلى قوى إنجازية لا توافق محتواها القضوي.

م	Π	∧	Δ
٤	أسأل: من ذا الذي لا يخدع بشابٍ متعلمٍ مهذب من ذوي المناصب الكبيرة والرتب العالية	لخديعة بشاب متعلمٍ مهذَّب من ذوي المناصب الكبيرة والرتب العالية	النفي: لا أحد لا ينخدع بشاب متعلم مهذب من ذوي المناصب والرتب العالية.
٥	أسال: أليس كلُّ ما أعدُّه عليكِ من الذنوب أنَّك طليعة الموت؟	الشعرة البيضاء طليعة الموت	التقرير: بلى، كلُّ ما أعدُّه عليكِ من الذنوب أنَّكِ طليعة الموت
٦	أسال: ، أيَّةِ صخرةٍ من الصخور، أو هضبة من الهضاب نحتُّم هذه القلوب التي تنطوي عليها جوانحكم؟	الصخرة التي نحتت منها قلوبكم	التعجُّب: أتعجب من قسوة قلوبكم!

ففي الملفوظ (٤) يؤدِّي الفعل الإنجازي الاستفهامي قوَّة إنجازيَّة لا تتفق مع الشرط التمهيدي الذي يحتِّم تطابقاً لجعل الكلام فعَّالاً وذا معنى، فالسؤال لا يقود إلى إجابة ينتظرها المرسل، والمتلقي يدرك ذلك وفق قواعد الانتقال من الأفعال الإنجازية المباشرة إلى غير المباشرة، كما أنَّ الملفوظ يخلُّ بشرط الجديَّة؛ إذ إنَّ سؤال الفتاة لم يكن من أجل العلم، بل من أجل النفي، وهو أيضاً يخلُّ بالشرط الجوهري عندما تعتقد الفتاة بأنَّ السؤال إنما يتطلب إجابة، غير أنَّها عندما سألت لم تكن تنتظر إجابة.

وفي الملفوظ (٥) يؤدي الفعل الإنجازي الاستفهامي قوَّة إنجازيَّة تخل بالشرط التمهيدي، فالمنفلوطي عندما يسأل لم يكن لينتظر إجابة، بل إنَّ تلك الإجابة مقررة ضمنياً، كما يخل بشرط الجديَّة فهو لا يسأل تلك الشعرة البيضاء من أجل العلم بالشيء، وإنما من أجل التقرير والإثبات، كما أنَّه لايعتقد بأنَّ السؤال يمثل عدم علمه بالإجابة.

ويحمل الملفوظ (٦) قوةً إنجازيَّة لا تتسق و طبيعة الفعل الإنجازي الاستفهامي التي تعني عدم المعرفة المسبقة بالإجابة اقتضاءً ، وبالتالي يراد من سؤاله العلم، لكنَّه جاء بقوة إنجازيَّة أخرى أرادها الكاتب التعجُّب من قسوة تلك القلوب المتوحشة البشعة التي كالصخر.

٥-٢-٢ الأفعال الإنجازية حسب تصنيف سيرل:

يقوم تصنيف سيرل للأفعال الإنجازية على اعتبارات دلالية تتمثل في العلاقة القائمة بين الفعل الإنجازي باعتباره مؤشراً على القوة الإنجازية والمحتوى القضوي الذي يحدد المرجعية الدلالية لفعل الإنجاز، وقد توصَّل سيرل إلى خمسة أنواع لاستعمال اللسان، وبالتالي خمسة أنواع لقوى الأفعال الإنجازية.

١- الإثباتيات (Assertives):

تنطوي جميع الإثباتيات على اتجاه الملاءمة من الكلمة إلى العالم Words to World فكلُّ إثبات هو تعبير عن اعتقاد، وأبسط اختبار لتحديد هويَّة هذا الفعل تتمثل في السؤال عن مدى صدق الملفوظ من زيفه بصورة حرفيَّة[١]. ومعنى ذلك أنَّ جميع أفعال الإثباتيات تحتمل الصدق والكذب.

ومن ملفوظات هذا النوع ما يلي:

ـ يخاطب المنفلوطي القارئ مشيراً إلى امتعاضه لامتهان المرأة المصريَّة .

- *إنَّ المرأة المصريَّة شقيَّة بائسة، ولا سبب لشقائها وبؤسها إلا جهلها وضعف مداركها*"[٢].

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيا مباشراً، يصنَّف في الإثباتيات؛ حيث إنَّه ممَّا يحتمل الصدق والكذب، وينطلق في اتجاه ملاءمته من الكلمة إلى العالَم ، ويمكن توضيحه وفق التالي:

$\perp$ = شقاء المرأة المصريَّة وبؤسها وجهلها وضعف مداركها.

$\prod$ = أؤكِّد أنَّ المرأة المصريَّة شقية بائسة ... .

Δ = تأكيد إثبات شقاء المرأة المصريَّة وضرورة انتشالها من هذا البؤس.

وفي ملفوظ آخر:

---

(١) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع ٢١٧.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٥٣/١، من مقالة "البائسات".

ـ يخاطب المنفلوطي القارئ مقترحاً تنظيم صور الإحسان في مصر عبر عدَّة أفكار تتمثل في خطوات، قبل أن يختم مقالته بقوله:

"أعتقدُ اعتقاداً لا ريب فيه أنَّ من يخطو الخطوة الأولى في سبيل هذا العمل الجليل (...) هو أفضل عاملٍ في الوجود وأشرف إنسان"(١).

يضم الملفوظ السابق فعلاً إنجازياً مباشراً، مصنَّف في الإثباتيات، فهو يمثل اعتقاد الكاتب؛ ولذا فهو يحتمل صدقاً أو كذباً، وبدا اتجاه الملاءمة فيه من الكلمة (أعتقد)إلى العالَم (الكاتب) كما أنَّ الجزء الثاني من الملفوظ يؤدِّي إلى فعل إنجازي آخر غير مباشر (استلزام حواري) يتمثل في التماس الشروع بالخطوة الأولى، وهذا الجزء ممَّا لا يصنَّف في الإثباتيات، ويمكن تحليله وفق التالي:

⊥ =الخطوة الأولى لتنظيم الإحسان وأفضل عاملٍ وأشرف إنسان.

∏١ أعتقدُ اعتقاداً لا ريب فيه أنَّ من يخطو الخطوة الأولى في سبيل الإحسان هو أفضل عاملٍ في الوجود وأشرف إنسان.

Δ = التأكيد على أهميَّة الخطوة الأولى من أفكاره لتنظيم الإحسان.

∏٢ = ألتمس الشروع في الخطوة الأولى.

⟸الحثُّ على الشروع في الخطوة الأولى.

ومن تلك الملفوظات أيضاً:

ـ يخاطب المنفلوطي الناظمين الذين يظنُّون أنفسهم شعراء؛ حيث يخلو نظمهم من الصورة والمشاعر قائلاً:

"الشعرُ إلا روح يودعها الله فطرة الإنسان"(٢).

يحاول المنفلوطي عبر الفعل الإنجازي السابق إثبات أنَّ الشعر إلهام من الله، وأنَّ من الناس من يخلُق شاعراً بطبعه، وأنَّ الشعر ليس بتصنعٍ ؛ لذا يصنَّف هذا الملفوظ في الإثباتيات، وهو ممَّا يحتمل صدقاً أو كذباً، وتتجه الملاءمة فيه من الكلمة إلى العالم:

⊥ = روح الشعر وفطرة الإنسان.

---

(١) المرجع السابق ٢١٧/١، من مقالة "في سبيل الإحسان".

(٢) المرجع السابق ١٣٢/١، من مقالة "الناظمون".

∏ = إثبات ما الشعر إلا روح يودعها الله فطرة الإنسان.

Δ = إثبات عدم جدوى ما يقومون به.

٢- التوجيهيات (Directives):

تتَّجه الملاءمة في هذا النوع دائماً من العالم إلى الكلمة World to words، ويتمثَّل الشرط الجوهري فيه عبر الرغبة، وهذهالتوجيهات تتضمَّن الأوامر والنواهي والطلبات، وهي بالتالي ممَّا لا يحتمل صدقاً أو كذباً، ولكن يمكن أن تُطاع أو لا تُعمل[١].

ويمثِّل الملفوظ التالي أحد أفعال الإنجاز التوجيهيَّة للأمر المباشر:

ـ يخاطب المنفلوطي الإنسان في عالم يفتقد الرحمة.

- "*ارحم الأرملةَ التي مات عنها زوجها*"[٢].

يمثِّل الملفوظ السابق فعلاً إنجازيا مباشراً، يبدي فيه المنفلوطي رغبة من ذلك الإنسان أن يرحم الأرملة، وهذا الملفوظ ممَّا لا يحتمل صدقاً أو كذباً، بل يوجه الكاتب فيه إلى طاعته بالامتثال له، فهو يتَّجه ملاءمةً من العالم إلى الكلمة، ويمكن تحليله وفق ما يلي:

⊥ = الأرملة التي مات عنها زوجها.

∏ = ارحم الأرملة.

Δ =الحثُّ على رحمة الأرملة.

وقد يأتي الفعل الإنجازي من التوجيهيات في الأمرِ غيرَ مباشر، ومنه:

ـيغفو المنفلوطي فيرى نفسه في يوم الحساب، وهناك يلتقي صديقاً، فيطلب منه أن يريه الميزان والصراط والجنَّة والنار، فيقول له:

"*هل لكَ أن تريني الميزان والصراط والجنَّة والنار*"[٣].

---

(١) سيرل، جون، العقل واللغة واتمع ٢١٨.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٩٤/١، من مقالة "الرحمة".

(٣) المرجع السابق ١٥٤/١، من مقالة "يوم الحساب".

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيـًا توجيهيا أمريا، غير أنَّه غير مباشر، فهو يظهر في صيغة استفهامية، ويخضع لقواعد سيرلالعشرة في الانتقال من الأفعال الإنجازيَّة المباشرة إلى الأفعال الإنجازيَّة غير المباشرة، وبالتالي فإنَّ قوته الإنجازية لا تكمن في طلب المعرفة والعلم، بل في التوجيه الأمري للقيام بفعلٍ ما، ويمكن تحليل ذلك بناءً على ما يلي:

⊥ = رؤية الميزان والصراط، والجنَّة والنار.

∏ =أرنِ الميزان والصراط والجنَّة والنار.

Δ = تحقيق رغبته في رؤيتها.

ومن ملفوظات الأفعال الإنجازيَّة التوجيهيَّة الطلبيَّة غير المباشرة التي جاءت في صيغة نداء ما يلي:

ـ يغفو الكاتب إغفاءة طويلة فيرى نفسه في أرض المحشر، وقد تجمهر البشر حول النبي **r** يهتفون به من كلِّ جانب:

- " *الشفاعة يا محمد*"(١).

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيـًا توجيهيا طلبيا جاء في صيغة نداء، وهو ممَّا لا يحتمل صدقًا أو كذبًا، وإنما طلبًا ورغبة؛ حيث اتجهت الملاءمة فيه من العالم (البشر) إلى الكلمة (طلب الشفاعة)، ويمكن توضيحه في التالي:

⊥ = شفاعة النبي محمد **r** .

∏ = اشفع لنا يا محمد.

Δ = الرغبة في نيل شفاعة النبي محمد **r** .

كما يمثِّل الملفوظ التالي أحد أفعال الإنجاز التوجيهيَّة للنهي المباشر:

ـ يخاطب المنفلوطي أحد الفلاسفة التاريخيين الإنجليز المستشرقين ممَّن نعت الدين الإسلامي والمسلمين بالتعصب:

- " *لا تقل إننا متعصبون تعصبا دينيا*"(٢).

---

(١) المرجع السابق ١/١٠٥، من مقالة "رسالة الغفران".

(٢) المرجع السابق ١/٢٠٠، من مقالة "الإسلام والمسيحية".

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيًا توجيهيًا مباشرًا، تتجه فيه الملاءمة من العالَم (المنفلوطي) إلى الكلمة (لا تقل)، وهو ممَّا يحتمل صدقًا أو كذبًا، ويظهر تحليله وفق التالي:

$\perp$ = تعصُّب المسلمين دينيا.

$\prod$ = لا تقل إنَّ المسلمين متعصبون دينيا.

Δ = التوقف عن الإساءة للمسلمين.

وقد يأتي الفعل الإنجازي التوجيهي غير مباشريًا في صيغة ملفوظ تقريري، فتبدو قوته الإنجازيَّة ضمنيَّة، ومثل ذلك:

المنفلوطي يخاطب القارئ مستنكرًا استمراء الكاذبين في كذبهم وهوان قبح ذنبهم عليهم:

- " *لقد هان على الناس أمر الكذب حتى إنك لتجد الرجل الصادق فتعرض على الناس أمره وتظرفهم بحديثه كأنك تعرض عجائب المخلوقات*"(١).

فالملفوظ السابق جاء في صيغة إثباتية تقريرية، تحتمل صدقًا أو كذبًا، غير أنَّه أيضًا يقدِّم محمولاً ضمنيا في قوَّته الإنجازية تفيد النهي عن استمراء الكذب وهوانه على الناس.

$\perp$ = هوان أمر الكذب على الناس.

$\prod$ = أؤكِّد وأثبت هوان أمر الكذب على الناس.

Δ = النهي عن هوان أمره على الناس.

وقد تأتي صياغة النهي لفعل إنجازي توجيهي غير مباشر يفيد الأمر على سبيل المثال:

يُصبرالمنفلوطي قارئًا شكا إليه عبر بريد القرَّاء ما ناله من أذى في سبيل تمسُّكه بالصدق:

- " *لا تظلم الصدق ولا تكن سيئ الظن به*"(٢).

$\perp$ = ظلم الصدق وسوء الظن به.

$\prod$ = لا تظلم الصدق ولا تكن سيئ الظن به.

Δ = الصبر على ما لحقه من ضرر جراء صدقه.

---

(١) المرجع السابق ١/١٧٤، من مقالة "الكذب".

(٢) المرجع السابق ١/١٣٠، من مقالة "الصدق والكذب".

٣- الالتزاميات (Commissives):

كلُّ إلزامي هو تعهد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل المتمثل في المحتوى القضوي، ويتمثل اتجاه الملاءمة فيه من العالم إلى المتكلم، وشرط الصدق المعبرَّ عنه دائمًا يتمثَّل في شرط الجديَّة (القصد)، ومن أمثلته الوعد والوعيدوالعهد و التحذير، ولا تخضع هذه الأفعال لمعيار الصدق والكذب، بل لمعيار القصد، ولا تكون إلا مستقبليَّة[١].

ومن أمثلة هذا النوع في ملفوظات المنفلوطي التي جاءت للوعد:

يخاطب المنفلوطي القرَّاء حاثًا الأغنياء على الرحمة والإحسان إلى الفقراء، ممنيا المحسن بما يعقب إحسانه من الأثر الطيب الذي سيجده لاحقًا:

أعدكَ وعدًا صادقًا أنَّكَ ستمرُّ في بعض لياليك على بعض الأحياء الخاملة فتسمع من يحُدِّث جاره عنك من حيث لا يعلم بمكانك، أنَّك أكرم مخلوقٍ وأشرف إنسان"[٢].

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيًا التزاميا مباشرًا، وهو الوعد، ويظهر اتجاه الملاءمة فيه من العالم (الكاتب) إلى الكلمة (أعدك)، وهذا الملفوظ ممَّا لا يحتمل صدقًا أو كذبًا، بل يقوم على قصد المتكلِّم والتزامه بأمرٍ مستقبلي مسجَّل في المحتوى القضوي، ويمكن توضيحه وفق التالي:

⊥ = المرور ببعض الأحياء الخاملة وسماع الثناء على المحسن.

∏ = أعدك وعدًا صادقًا أنَّك ستمر في بعض لياليك على بعض الأحياء ... .

Δ = الالتزام بحدوث ذلكمستقبلاً .

ومن أمثلة الوعيد:

يخاطب أحدُ القراء المنفلوطيَّ شاكيًا تبعات الصدق:

- *سمعتُ بالكذب وما أعد الله للكاذبين من سوء العذاب، وأليم العقاب*".

⊥ = الكذب والعذاب.

∏ = توعُّد الله سبحانه للكاذبين بالعذاب.

Δ = التهديد بسوء العذاب وأليم العقاب.

---

(١) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع ٢١٨.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٩١/١، من مقالة "الرحمة".

وفي ذات سياق التلفظ يظهر فعل التزامي تعهدي:

يلين ّ القارئ في شكواه للمنفلوطي سبب تمسُّكه بالصدق:

عاهدتُ الله ونفسي ألاَّ أكذب ما حييتُ "[1].

يُظهر الملفوظ السابق فعلاً إنجازيا التزاميا غير مباشر، وهو العهد الذي جاء في صيغة ملفوظ تقريري، وهذا الملفوظ إن كان قصد المتكلّم فيه الإثبات أصبح ممَّا يحتمل صدقًا أو كذبًا، وأصبح اتجاه الملاءمة من الكلمة (العهد) إلى العالَم (المتكلّم)، وإن كان قصد المتكلّم هو الالتزام أصبح ممَّا لا يحتمل صدقًا أو كذبًا، بل يقوم على قصد إلزام المتكلم لنفسه بهذا العهد، ويكون بناءً على ذلك- اتجاه الملاءمة فيه من العالَم (المتكلِّم) إلى الكلمة (العهد)، ويمكن تحليل هذا الملفوظ في سياق الالتزاميَّات وفق التالي:

$\perp$ = عدم الكذب مدى الحياة.

$\prod$ = عاهدت الله ونفسي ألا أكذب ما حييت.

Δ = إلزام النفس بتجنُّب الكذب.

ومن أمثلة الالتزاميات في التحذير:

ـ يخاطب المنفلوطي الإنسان الرحيم السوي بعد أن ظهرت أقوام استشرت فيهم مظاهر الوحشية وإيذاء الضعفاء من البشر، وغابت عن نفوسهم مظاهر الرحمة:

احذَر الحذرَ كلَّه أن تكون واحدًا من هؤلاء"[2].

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيا التزاميا، يتمثل في التحذير من تقمص النفوس المتوحشة عديمة الرحمة، وهذا الفعل يتجه في ملاءمته من العالَم (الكاتب) إلى الكلمة (التحذير)، كما أنَّه ليس ممَّا يحتمل صدقًا أو كذبًا، بل يعتمد على قصد المنفلوطي في التحذير من أمرٍ مستقبلي، وهذا الأمر أُشير إليه في المحتوى القضوي وقد جاء هذا التحذير مؤكَّدًا لفظيا بمفعول مطلق (حذرَ) وبتوكيد معنوي "كل" ممَّا أدَّى إلى عدول كمِّي في قيمة القوَّة الإنجازية، لتدلَّ على شدَّة التحذير، ويمكن توضيح ذلك وفق التالي:

$\perp$ = مشاهدة الإنسان للمتوحشين.

(١) المرجع السابق ١/١٢١، من مقالة "الصدق والكذب".

(٢) المرجع السابق ١/٩٤، من مقالة "الرحمة".

∏ = احذالحذر كلَّه أن تكون واحدً ا من هؤلاء.

Δ = التحذير الشديد من مغبَّة التشبه بذوي النفوس المتوحشة.

٤- التعبيريات (Expressives):

لا يشُكِّل المحتوى القضوي في هذا النوع اتجاه ملاءمة، فحقيقة المحتوى القضوي يُسلَّم ـا فحسب، ويتمثَّل شرطه الجوهري في التعبير عن الصدق للفعل الكلامي، ويحوي عدَّة نماذج كالاعتذار والشكر والتهنئة، والترحيب، وغير ذلك(١).

ومن أمثلة هذا النوع في الشكر:

ـ يغفو المنفلوطي فيرى نفسه في مدينة السعادة، وهناك يلتقيرجلاً يتعبد الله حين يدلهم الليل ومعه أهل بيته، فيسأله الكاتب اختبارً ا لصدق عبوديتهلمَ تعبدون الله؟ فيجيب:

"شكرً ا له على نعمة الخلق والرزق"(٢).

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيا تعبيريا، يتمثل في الشكر لله على ما حباه من رزق ونعم، وهذا الفعل لا يظهر به اتجاه الملاءمة، والحقيقة الظاهرة في المحتوى القضوي (نعم الله في الخلقو الرزق)يتمُّ التسليم ـا من قِبلالمتلقي، وهي لا تحتمل صدقًا أو كذبً ا، بل تعتمد على جدِّية المتكلم وصدقه في هذا الشكر، ويمكن توضيح ذلك وفق التالي:

⊥ = نعم الله في الخلق والرزق.

∏ = أشكر الله على نعمة الخلق والرزق.

Δ = رد الجميل لصاحبه.

ومن أمثلة التعبيريات في التهنئة:

يخاطب المنفلوطي رجلاً صادقًا دخل السجن في سبيل تمسُّكه بالصدق:

- "هنيئا لك السجن الذي تكابده"(٣).

(١) سيرل، جون، العقل واللغة واتمع ٢١٩.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٧٦/١، من مقالة "مدينة السعادة".

(٣) المرجع السابق ١٢٧/١، من مقالة "الصدق والكذب".

يشتمل الملفوظ السابق على فعل إنجازي تعبيري، وهو التهنئة، وهذا الفعل لا يظهر به اتجاه الملاءمة، والحقيقة الظاهرة في المحتوى القضوي (مكابدة السجن)هُ التسليم ا من قِ بل المتلقي، وهي لا تحتمل صدقًا أو كذبً ا، بل تعتمدعلى جدِّية الكاتب وصدقه في نئته ويمكن توضيح ذلك وفق التالي:

⊥ = مكابدة السجن.

∏= أهنئك على مكابدتك السجن.

Δ =تعزيز تمسُّكه بالصدق ولو ابتلي به.

ومن أمثلة هذه التعبيريات أيضً ا التخوُّف، كما في الملفوظ التالي:

ـ يخاطب المنفلوطي القارئ حاثا إياه على تجنب مخالطة الكاذبين:

- *أخوفُ ما أخاف عليك من خلطائك وسجرائك الرجل الكاذب*"(١).

فالمنفلوطي من خلال الملفوظ السابق يوجِّه فعلاً إنجازيا تعبيريا، يبدي فيه تخوُّفه من مخالطة القارئ الرجل الكاذب، وإبداء التخوف ممَّا لايحتمل صدقًا أوكذبً ا، بل يعتمد على صدق المتكلم، وتحليل هذا الفعل يكون وفق ما يلي:

⊥ = مخالطة الرجل الكاذب.

∏ = أخاف عليك مخالطة الرجل الكاذب.

Δ = التعبير عن تخوفه من الوقوع في ذلك.

ومن أمثلة التعبيريات ما يتعلق بالتعبير عن الأحزان والإشفاق، ومنه:

ـيحكي المنفلوطي قصَّة حدَّثه ا أحد أصدقائه عن فتاة تخلى عنها زوجها واختلف إلى أخرى، فتركها فريسة الفقر والجوع، ثمَّ يعبر المنفلوطي عن مشاعره مستاءً لحالها الذي وصلت إليه بقوله:

- "*أحزنني من أمر تلك الفتاة البائسة ما أحزنني*"(٢).

⊥ = بؤس الفتاة.

∏= أحزنني أمر تلك الفتاة البائسة.

Δ = إبداء الألم والشفقة على حالها.

---

(١) المرجع السابق ١/١٧٣، من مقالة "الكذب".

(٢) المرجع السابق ١/٢٠٧، من مقالة "الزوجتان".

ومن أمثلة التعبيريات ما يتعلق بالترحيب:

ـ يخاطب المنفلوطي شعرة بيضاء ظهرت في مفرق رأسه:

مرحبًا بك اليوم، ومرحبًا بأخواتك غدًا"(١).

⊥ = ظهور شعرة بيضاء في مفرق رأسه.

∏ = أرحبُ بك اليوم، وأرحبُ بأخواتك غدًا.

Δ = التهكم والسخرية.

٥- الإعلانيات (Declaratives):

يكون اتجاه الملاءمة في هذا النمط مزدوجًا، وتقوم بتغيير فوري، وهذا يعني وجود مؤسسات خارج لغوية ليتم هذا النوع من الأفعال(٢).

ومن أمثلة الإعلانيات في ملفوظات المنفلوطي إعلان الرضا:

ـ يخاطب الكاتب أبناءه الذين أخذهم الدهر منه واحدًا تلو الأخر، ودفنهم واحدًا بعد واحد:

- "*أرضى من الدهر في أمركم أن يتزحزح لي عن طريقي التي أسير فيها، وأن يزوي وجهه عني فلا أراه ولا يراني، ولا يحسن إلي ولا يسيء*"(٣).

ويمكن تحليله وفق التالي:

⊥ = موت أبنائه.

∏ = أرضى من الدهر في أمركم أن يتزحزح لي ... .

Δ القبول بالخلاص من حكم الدهر إيجابًا وسلبًا. ويتضمن الحسرة والألم.

ففي الملفوظ السابق يكون اتجاه الملاءمة من العالم إلى الكلمة؛ حيث بدا الإعلان موجَّهًا إلى ذات المتكلم، وأحدث التغيير فورًا وتصريحًا بالرضا.

ومن أمثلة الإعلانيات إعلان الإنكار:

ـ يخاطب المنفلوطي القارئ متعجبًا من غياب الفضيلة، منكرًا على التاجر جشعه:

(١) المرجع السابق ١/١٦٠، من مقالة "الشعرة البيضاء".

(٢) سيرل، جون، العقل واللغة والمجتمع ٢١٩-٢٢٠.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١/٥٨، من مقالة "الدفين الصغير".

- "*لُكِ ر على التاجر أن يتناول من ربحه أكثر من الجزاء الذي يستحقه على ما بذل من جهد في جلب السلعة*"(١).

⊥ = تناول التاجر لربح فوق ما بذله من جهد في جلب السلعة.

∏ = أنكر تناول التاجر لربح فوق ما بذله من جهد في جلب السلعة.

Δ = توبيخ التاجر على غياب الفضيلة لديه.

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيا إعلانيا هو الإنكار على التاجر فعله؛ وتتجه الملاءمة فيه من الكلمة إلى العالم؛ حيث بدا الإعلان موجَّها إلى شخص غير ذات المتكلم.

ومن أمثلة الإعلانياتأيضً ا الاام:

لـ يخاطب المنفلوطي ارم متهمً ا اتمع الإنساني الفاسد بمشاركته جرمه:

- "*شريككَ في الجريمة هذا اتمع الفاسد الذي أغراكَ* "(٢).

⊥ = شريك ارم في جريمته.

∏= أعلن أنَّ شريككَ في جريمتك هذا اتمع الإنساني الفاسد .

Δ = اام اتمع الإنساني الفاسد بمشاركة ارم في جريمته.

فالملفوظ السابق جاء في صيغة ملفوظ تقريري، إلا أنَّه يؤدِّي فعلاً إنجازيا إعلانيً ا هو الاام؛ حيث يتَّهم الكاتب اتمع الإنساني الفاسد بأنَّه شريك ارم في جرمه يوم أن أغراه ومهَّد له السبيل إلى تلك الجريمة، واتجاه الملا ءمة ينطلق من الكلمة إلى العالم، فالكاتب يوجِّه الاام (الكلمة) إلى أمر خارج لساني يتعلق باتمع الإنساني.

وذا التصنيف الفعلي الإنجازي تكون ملفوظات المنفلوطي أكثر دقَّة؛ حيث تمكَّن سيرل من التغلب على معظم التداخلات التي وقع ا أستاذه أوستين، فهو (سيرل) ركَّز على العلاقة بين المحتوى القضوي وما يحيل إليه ويحمله دلاليا، والقوة الإنجازية التي يؤدِّيها الفعل الإنجازي.

وفيما يلي جدول يوضح الأفعال الإنجازية، ومحتوياا القضوية، وقواها الإنجازية من خلال الملفوظات السابقة وفق تصنيف سيرل:

---

(١) المرجع السابق ٦٤/١، من مقالة "أين الفضيلة".

(٢) المرجع السابق ٢٠٨/١، من مقالة "الزوجتان".

م	∏	∧	تصنيف سيرل	Δ
١	كِّد أنَّ المرأة المصريَّة شقية بائسة	شقاء المرأة المصريَّة وبؤسها	الإثباتيات	تأكيد إثبات
٢	أعتقدُ اعتقاداً لا ريب فيه أنَّ من يخطو الخطوة الأولى في سبيل الإحسان هو أفضل عاملٍ في الوجود وأشرف إنسان	الخطوة الأولى لتنظيم الإحسان، وأفضل عامل في الوجود، وأشرف إنسان	الإثباتيات	التأكيد على أهميَّة الخطوة الأولى
٣	ما الشعرُ إلا روح يودعها الله فطرة الإنسان	روح الشعر وفطرة الإنسان	الإثباتيات	إثبات عدم الجدوى
٤	ارحم الأرملة	الأرملة التي مات عنها زوجها	التوجيهيات	الحثُّ على الرحمة
٥	نِ الميزان والصراط والجنَّة والنار	رؤية الميزان والصراط، والجنَّة والنار	التوجيهيات	الطلب
٦	اشفع لنا يا محمد	شفاعة النبي محمد r	التوجيهيات	سؤال الشفاعة
٧	لا تقل إنَّ المسلمين متعصبون دينيا	تعصُّب المسلمين دينيا	التوجيهيات	التوقف
٨	أؤكِّد وأثبت هوان أمر الكذب	هوان أمر الكذب على الناس	التوجيهيات	النهي
٩	لا تظلم الصدق ولا تسئ الظن به	ظلم الصدق وسوء الظن به	التوجيهيات	الصبر
١٠	دك وعداً صادقاً أنَّك ستمر في بعض لياليك ...	المرور ببعض الأحياء الخاملة وسماع الثناء على المحسن	الالتزاميات	الالتزام والتحفيز
١١	توعُّد الله للكاذبين بالعذاب	الكذب والعذاب	الالتزاميات	التهديد
١٢	عاهدت الله ونفسي ألا أكذب ما حييت	عدم الكذب مدى الحياة	الالتزاميات	إلزام النفس
١٣	ذر الحذر كلَّه أن تكون واحداً من هؤلاء	مشالة الإنسان للمتوحشين	الالتزاميات	التحذير الشديد
١٤	أشكر الله على نعمة الخلق والرزق	نعم الله في الخلق والرزق	التعبيريات	رد الجميل
١٥	أهنئك على مكابدتك السجن	مكابدة السجن	التعبيريات	تعزيز تمسُّكه بالصدق
١٦	أخاف عليك من مخالطة الرجل الكاذب	مخالطة الرجل الكاذب	التعبيريات	التخوف
١٧	أحزنني أمر تلك الفتاة البائسة	بؤس الفتاة	التعبيريات	الألم والشفقة
١٨	صبُ بالشعرة البيضاء اليوم	ظهور شعرة بيضاء في مفرق رأسه	التعبيريات	السخرية والتهكم
١٩	أرضى من الدهر في أمركم أن يتزحزح لي ...	موت أبنائه	الإعلانيات	القبول بالخلاص

م	∏	∧	تصنيف سيرل	∆
٢٠	أُكِ على التاجر ربحً ا فوق ما بذله	تناول التاجر لربح فوق ما بذله	الإعلانيات	التوبيخ
٢١	شريككَ في جريمتك هذا اتمع الإنساني الفاسد	شريك ارم في جريمته	الإعلانيات	الالام

٥-٣ ملامح الأفعال التأثيرية والقوى الإنجازيَّة:

يُعدُّ الفعل التأثيريوالقوة الإنجازيَّة ضمن أبرز القضايا التي تناولتهانظريَّة أفعال الكلام، مع تفاوت أهميتهما بالنسبة للنظرية؛ حيث يبدو كلٌّ منهما ذا طبيعة ذات أثر مترتب على فعل الإنجاز، ويكمن الفرق بينهما في ثلاثة أمور:

١ يُعدُّ الفعل التأثيري خاضعً ا لتحكُّم المتلقي، فليس للمرسل سلطة فيه، ويكون بذلك تواضعيً قابعً ا في التأويلعلى عكس القوَّة الإنجازيَّة التي يحددها قصد المرسل، وتكون غير تواضعيَّة[١].

٢ في حين يُعدُّ الفعل التأثيري حدثًا يخضع للصدفة[٢]،فإنَّ القوَّة الإنجازيَّة خاضعة لشرط الجديَّة، فهو قصدي.

٣- الفعل التأثيري غير ضروري، فهو قد يظهر، وقدلايظهر، وأمَّا القوة الإنجازيَّة فهي جوهر الفعل الإنجازي، وربما جوهر نظريَّة أفعال الكلام[٣].

٥-٣-١ الأفعال التأثيرية :

تظهَرُ ملامح الأفعال التأثيريَّة في ملفوظات المنفلوطي عادةً من خلال ردود الأفعال الصادرة عن المتلفظ له، و المترتبة على الفعل الإنجازيالذي يتلفظ به المتكلم، سواءً أكان المتكلم هو المنفلوطي أو تلك الذات الثانية المتخيَّلة كتلك الردود الفعليَّة التي ترد في أحداث القصص التي يسوقها في مقالاته.

(١) بلانشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان ٦٠.

(٢) بدوح، حسن، المحاورة مقاربة تداولية ١٥٨.٠

(٣) أوستين، جون، نظرية أفعال الكلام العامة ١٢٧.

الطبطبائي، سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ٢٧.

ومؤدَّى ذلك أنَّ الأفعال التأثيريَّة لا تظهر إلا عقب ورود فعلٍ إنجازي، وبالتالي فإنَّ قوة الفعل الإنجازي تحدد طبيعة الفعل التأثيري، بل ودرجة تفاعله.

ولهذا يمكن تقسيم الأفعال التأثيريَّة الواردة في الجزء الأوَّل من نظرات المنفلوطي إلى قسمين:

١- أفعال تأثيريَّة صادرة عن الكاتب في ذاته.

٢- أفعال تأثيرية صادرة عن شخصيَّات حواريَّة.

أمَّا تلك الصادرة عن الكاتب، فهي عادة تتمثل في تفاعله مع أحداث اتمع من حوله باعتباره مصلحً ا اجتماعيا يكتب في صحيفة، ومن أمثلة هذه الملفوظات:

يخاطب المنفلوطي القرَّاء متعجبً ا من إعجاب بعضهم ممَّا يكتبه اللورد كرومر[1] عن الإسلام، بالرغم من توجهاته في خدمة الأجندة الاستعمارية:

- *"ما عجبتُ لشيء في حياتي عجبي لهؤلاء الناس الذين يعجبون كثيرا مما كتبه اللورد كرومر عن الإسلام* "[2].

يحوي الملفوظ السابق فعلاً تأثيريا (∀) صادرً ا عن المنفلوطي ذاته، هو التعجُّب. وهذا الملفوظ يشتمل على اقتضاء (∠) وجود معجبين بما يكتبه اللورد كرومر، وهذا الاقتضاء بدوره يؤدِّي إلى فعل إنجازي (∏) ضمني يمكن تمثله في "نحن معجبون كثيرً ا ممَّا يكتبه اللورد كرومر"، ويمكن تحليل ذلك وفق التالي:

⊥ = كتابات اللورد كرومر عن الإسلام.

∏ نحن معجبون كثيرً ا ممَّا يكتبه اللورد كرومر.

Δ = إبداء الإعجاب بكتاباته.

∀= عجب المنفلوطي من إعجابهم بكتاباته.

ومن أمثلة ذلك أيضً ا:

---

(١) رجل دولة ودبلوماسي وإداري مستعمرات بريطاني ١٨٤١-١٩١٩م. ومن كبار دعاة التغريب والاستعماريين في العالم الإسلامي وواحد من الذين وضعوا مخطط السياسة التي جرى عليها الاستعمار ولا يزال، في محاولة منه للقضاء على مقومات العالم الإسلامي والأمة العربية.
انظر الموسوعة الحرة، بتاريخ: ٢٠١٤/٨/٨م، على الرابط التالي: لورد-كرومر http://ar.wikipedia.org/wiki/ .

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٩١/١، من مقالة "الإسلام والمسيحية".

ـ يخاطب المنفلوطي القارئ ممتعضاً ممَّا فرضه الإنسان القوي على الإنسان الضعيف من قوانين بدت كالآلة التي تروِّعه وتراقبه، فيقول:

- *فويلٌ له ما أكثر جهله، وويحٌ له ما أشد حمقه*"(١).

فالملفوظ السابق يحوي فعلاً تأثيريا (∀) صادراً عن المنفلوطي ذاته، هو الدعاء على الإنسان القوي بالهلاك، وهذا الملفوظ مسبوق بفعل إنجازي (∏) هو: " صنع له هذه الآلة المخيفة"، ويمكن تحليل ذلك وفق التالي:

⊥ = الإنسان القوي والإنسان الضعيف و القانون.

∏ = صنع له هذه الآلة المخيفة.

Δ = إرهابه بالقانون.

∀ = الدعاء بالهلاك على الإنسان القوي لجهله وحماقته.

ومن أمثلة تلك الملفوظات التي تحوي أفعالاً تأثيرية صادرة عن شخصيَّات حواريَّة ما يلي:

ـ يحكي المنفلوطي في معرض حديثه عن أدب المناظرة، قصة ملك ووزيره اختلفا ذات ليلة بشأن حقيقة المرأة، وقد حضر مجلسهما أحد الحكماء، فلمَّا علا صوما واشتد لجاجهما خرج ذلك الحكيم وجاء بلوحة ذات وجهين أحدهما يحوي امرأة حسناء والآخر شوهاء، فأرى كلَّ وحد منهما وجهاً، ليحكم أحدهما بقبحها والآخر بحسنها، قبل أن يكشف لهما حقيقة الصورتين، وأنَّ هذا ما هما عليه طيلة الليل:

- "*فشكرا له همَّته، وأثنيا على فضله وحكمته*"(٢).

يحوي الملفوظ السابق فعلاً تأثيريا (∀) تمثَّل في الشكر والثناء، وهذا الملفوظ مسبوق بفعل إنجازي (∏) هو قول الحكيم: "هذا ما أنتما فيه منذ الليلة"، ويمكن توضيح ذلك وفق التالي:

⊥ = حال الملك والوزير وجدلهما طيلة الليل.

∏= هذا ما أنتما فيه منذ الليلة.

(١) المرجع السابق ١/١٣٥، من مقالة "الحرية".

(٢) المرجع السابق ١/٢٢١، من مقالة "أدب المناظرة".

Δ = التوضيح والإرشاد.

$\forall$ = تذكر الحكيم على همَّته والثناء على فضله وحكمته.

ومن ذلك أيضاً:

يحكي المنفلوطي قصَّة الرجل الغني الذي استيقظ ليلاً فلم يجد زوجته بجواره، فيسأل عبده: ألم تعد سيدتك يا بلال، فيقول لا!:

فامتعض امتعاضاً شديداً وزفر زفرة كادت تخترق حجاب قلبه"[1].

يحوي الملفوظ السابق فعلاً تأثيريا ($\forall$) جاءكردة فعلٍ لإجابة بلال بـ "لا" عند سؤاله عن عودة سيدته إلى القصر، وإجابة بلال هي فعل إنجازي ($\prod$) تمثَّل في استلزام حواري ($\Leftarrow$) "لا، لم تعد سيدتي"، ويمكن تحليله وفق ما يلي:

$\perp$ = عودة السيِّدة إلى القصر.

$\prod$ = لا، لم تعد سيدتي .

Δ = الإجابة على سؤال سيده.

$\forall$= امتعض الغني امتعاضاً شديداً وزفر زفرة كادت تخرق حجاب قلبه.

٥-٣-٢ القوة الإنجازيَّة ودرجاتها:

تُظهِر ملفوظات المنفلوطي في الأفعال الإنجازية قوىً ذات درجات متفاوتة، وهو تفاوت ينتج عن أثر المقام والقصد الذي يريده المتكلم، وهذا بدوره يقودنا إلى مبدأ تعديل القوة الإنجازيَّة، أو العدول الكمي والكيفي،متمثلاً في خرق مبدأ التعاون لدى جرايس.

والحقيقة أنَّ لغة الاستعمال العادية تتطلب مثل هذا التعديل في القوى الإنجازية؛ حيث ترتبط الصيغة بالمقصد، ومن المسلَّم به في كلِّ تفاعل لغوي أنَّ الكيفيَّة التي يقال بها الشيء تُعدُّ جزءاً ممَّا يقال[2]، وحينما يعدِّل المنفلوطي قوة الملفوظ الإنجازي فإنَّه يدلل بذلك على وعيه بالمقصد وتقديره لمقتضيات السياق المرتبطين بآدائه وكفاءته على حدٍّ سواء.

---

(١) المرجع السابق ١/١١١، من مقالة "عبرة الدهر".

(٢) العبد، محمد، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة ٣٢٣.

وإذا كانت القوَّة الإنجازية لفعل تعني الشدَّة أو الضعف اللذين يُعبَّر بهما عن غرض إنجازي بعينه، في موقف بعينه، أيا كان ذلك المؤشر أو العلامة الدالة على تلك القوة،وإذا كان لكلٍّ من الشدة والضعف درجات متفاوتة؛ فإنَّ القوة الإنجازية ينبغي أن توصف بكونها نسبية(١).

وهذا يعني وجود وسائل لتقوية أو إضعاف القوى الإنجازيَّة، وهي كما يلي(٢):

أولاً : وسائل التقوية

يمكن أن تبدو وسائل التقوية في أربعة أنماط، هي: الوسائل الشكلية فوق التركيبية، والوسائل التركيبية، والوسائل المعجمية، والوسائل الخطابية.

وتعدُّ الوسائل فوق التركيبية كالنبر والتنغيم إحدى الأشكال الفونولوجية لتقوية الملفوظ؛ حيث يعوَّل فيه على سياق الموقف بشكل كبيرلأنَّ ما يُدرس هنا نصٌّ مكتوب فيمكن تمثُّل ذلك من خلال سياق التلفظ وتصور الجانب التنغيمي في إحدى الملفوظات:

ليخاطب المنفلوطي القارئ متعجبًا من اعتقاد الناس بأنَّ الشرف محصور في الأغنياء:

- "*ألا تراهم يعدُّون أشرف الشرف أن يتناول الرجل من الملك قطعة من الفضة أو الذهب؟*"(٣).

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيا يؤدِّي قوة إنجازية، ولو تمَّ تمثل هذا الملفوظ من خلال نغمة إيجابية صاعدة، كما في الشكل (٢-٥-١)فإنَّ التنغيم سيعمل على تقوية القوة الإنجازيَّة في الاستفهام إلى تقرير.

أمَّا الوسائل التركيبة فهي تلك الوسائل التي تُعنى بطرق نظم الملفوظات وبناء الأساليب، فلو تمَّ تدقيق النظر في الملفوظ السابق أيضًا- لاتضح أنَّ محتوياته التبليغية ترتبط بقوة التزام المتكلم بقضايا إيجابية خاصة، وذلك أنَّ المحتوى القضوي مشترك لدى الكاتب والقارئ، وهذا بدوره يعني أن القالب التركيبي الاستفهامي قد جُعل وسيلة لإضافة قوة إلى قوة الفعل الإنجازي؛ لذا تضاف إلى قوة التقرير في الملفوظ الاستفهامي السابق قوَّة التعجُّب.

(١) المرجع السابق ٣٢١.

(٢) المرجع السابق ٣٣٠-٣٤٧، -انظر وسائل تقوية وإضعاف القوة الإنجازية-.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٨٤/١، من مقالة "الشرف".

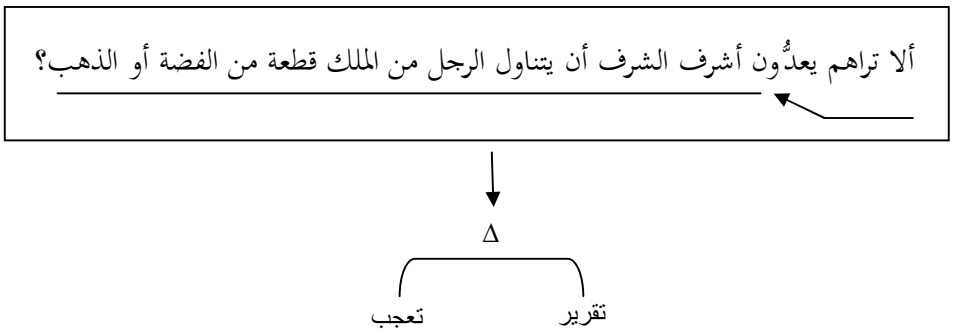

الشكل (٣-٥-١)

ومن وسائل التقوية أيضاً تلك المقويّات المعجميَّة التي تضيف قوة إلى قوة الأفعال الإنجازيَّة، كألفاظ من نحو: "والحقيقة، ومن المؤكد، بالتأكيد، لقد، بصراحة، بصدق، لاشك ... إلخ"،ومن أمثلتها في ملفوظات المنفلوطي:

ليوجِّه المنفلوطي القارئ إلى التفريق بين علماء الغرب المسيحيين المنصفين وأولئك الذين لا همَّ لهم إلا النيل من الإسلام وحضارته، ويشير إلى أنَّ اللورد كرومر ليس منصفاً:

- "*ولا ريب في أن اللورد كرومر ليس واحداً منهم*"(١).

يؤدِّي الملفوظ السابق فعلاً إنجازياً ثبَّاتياً يحوي قوة إنجازية معدَّلة كمياً بعنصر معجمي "لا ريب" وعنصر آخر (أنَّ) يشير إلى أنَّ القوَّة المتمثلة في النفي يُضاف إليها قوَّة أخرى هي التأكيد مرتين.

فلو قال المنفلوطي: اللورد كرومر ليس واحداً من منهم لكانت القوَّة الإنجازيَّة مقتصرة على إثبات النفي، ولكن بإضافة هذين العنصرين فإنَّ القوة الإنجازيَّة تحوَّلت إلى التأكيد الشديد على إثبات النفي.

كما تُعدُّ الوسائل الخطابيَّة إحدى تلك المقويات التي تعمل على تعديل القوى الإنجازية، ومن صُورها التصريح بالفعل الإنجازي، كما في الملفوظ التالي:

يخاطب المنفلوطي لرم مشيراً إلى أنَّه ينبغي ألا يتحمَّل وحده العقاب، بل لابدَّ أن يتحمَّل شركاؤه العقاب بنفس القدر:

أُقسِّم لو كنتُ قاضياً لأعطيتكَ من العقوبة على قدر سهمك في الجريمة ولجعلت تلك الجزوع قسمة بينك وبين شركائك"(٢).

---

(١) المرجع السابق ١٩٢/١، من مقالة "الإسلام والمسيحية".

(٢) المرجع السابق ١٢٠/١، ضمن مقالة "أفسدك قومك".

فالتصريح بالفعل الإنجازي "أُقسِمُ" أدّى إلى عدولٍ كمِّي بالزيادة على القوَّة الإنجازية في الملفوظ، و المتمثلة في "الوعيد"، وبالتالي تأكيد القوَّة الإنجازيَّة للفعل الإنجازي، لتصبح تأكيداً للوعيد".

ثانياً : وسائل الإضعاف

الوسائل التي تعمل على تقوية القوى الإنجازية يمكن أن تؤدي أيضاً إلى إضعافها، ومن أمثلة الوسائل غير التركيبية التي تؤدِّي إلى إضعاف القوَّة الإنجازية ما يلي:

ـ يخاطب المنفلوطي أحد قرائه بعد أن علم جزاء تمسُّكه بالصدق، قائلاً :

- "*كن أحرص الناس على ولاء الصدق ومودَّته*"(١).

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازيا (أمر) يؤدِّي قوة إنجازية معدَّلة، ولو تمَّ تمثُّل هذا الملفوظ من خلال نغمة هابطة صاعدة، كما في الشكل (٣-٥-٢) لعمل التنغيم على إضعاف القوة الإنجازيَّة من الأمر إلى النصح.

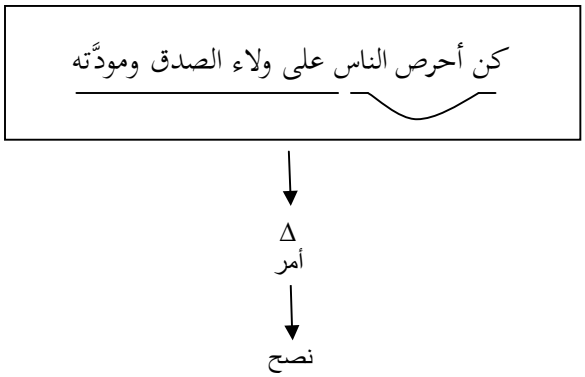

الشكل (٣-٥-٢)

فهبوط النغمة ثمَّ صعودها في الملفوظ السابق أدَّى إلى تعديل القوَّة الإنجازية من الأمر المباشر إلى النصح وإرشاد القارئ، حتى لتبدو أكثر تلطُّفاً، ولو بدت النغمة في اتجاه أحادي صاعد لأدَّت إلى التقوية، ولأضافت إلى الأمر قوَّة تتمثل في "التقريع والتوبيخ".

(١) المرجع السابق ١/١٣٠، من مقالة "الصدق والكذب".

والوسائل التركيبيَّة هي الأخرى تؤدِّي بدورها إلى إضعاف القوَّة الإنجازيَّة، ومن ذلك:

ـ يحكي الكاتب قصته عندما رأى فيما يرى النائم أنَّه دخل مدينة جرداء مظلمة، فيقول:

- *ولا تسل هنالك عمَّا ألمَّ بقلبي من الهم وعقلي من الخبال*"(١).

يتضمن الملفوظ السابق محتويات تبليغية ترتبط بقوة التزام المتكلم بغرضٍ إثباتي لا توجيهي (ي) كما يبدو ظاهر ً ا، وذلك أنَّ المحتوى القضوي مشترك لدى الكاتب والقارئ، وهذا بدوره يعني أن القالب التركيبي المتمثل في النهي قد جُعل وسيلة لإضعاف قوة الفعل الإنجازي؛ لذا تحوَّلت قوة التقريع المتضمنة عادةً في النهي إلى قوَّة تعجُّب تقريرية، لتصبح القوة الإنجازية متمثلة في التبليغ بتعجبه ممَّا ألمَّ بقلبه وعقله.

وللعناصر المعجمية دور ٌ في إضعاف القوَّة الإنجازيَّة، فعبارات من مثل: أظنُّ، أحسب، يبدو، من المفترض تقود إلى إنقاص قوَّة الإنجاز في الملفوظات، ومن ذلك:

ـ يحكي المنفلوطي ما حدث له في إحدى الليالي عندما كان بصدد الكتابة فباغتته بعوضة ولذعته فشتت ذهنه، ثمَّ ينشئ يتحدث عن هذا المخلوق الصغير العجيب الذي بالرغم من صغره وحقارته إلا أنَّه ينال من كبرياء الإنسان، حتى إذا ما فرغ من تأمله قال:

-*أحسب أن لذعات البعوض قد أخذت مأخذها من عقلي وفهمي* "(٢).

فالملفوظ السابق يحتوي على فعل إنجازي إثباتي، طرأ على قوته الإنجازية عدول نوعي بعنصر معجمي "أحسب"؛ حيث أدَّى إلى خرق في مبدأ الكيف " لا تقل ما تعتقد أنَّه كذب"ممَّا يشير إلى أنَّ القوَّة المتمثلة في الإثبات تمَّ إضعافها بعنصر معجمي دلَّ على عدم جزم المنفلوطي في ملفوظه.

وتظهر وسائل الإضعاف الخطابية في الجمل الاعتراضيَّة التي يستدرك ها، ومن أمثلتها "ربَّما":

ـ يتحدَّث المنفلوطي عن قسوة الغني وعدم مبالاته بالفقير؛ حتى أنَّه ليظل يسرد على مسمع الفقير أحاديث نعمته دون مراعاة لمشاعره، ثم يقول:

- " *وربما استعان به على عدِّ ما تشتمل عليه خزائنه من الذهب وصناديقه من الجوهر* "(٣).

يحوي الملفوظ السابق فعلاً إنجازي ًا إثباتيا تمَّ إضعاف قوته الإنجازية في صدق تحققه من خلال جملة اعتراضيَّة استدراكية أدَّت إلى عدولٍ نوعي بالنقص.

---

(١) المرجع السابق ٧٤/١، من مقالة "مدينة السعادة".

(٢) المرجع السابق ٢٣٩/١، من مقالة "البعوض والإنسان".

(٣) المرجع السابق ٧١/١، من مقالة "الغني والفقير".

المبحث الثاني

المعالجة الحجاجية

١ - الخدم.

٢ - تحية الحاضرين جماعة الحفلة.

٣ - تأوهات المعتوه الحجاجية.

٤ - بعض الوعاظ الحاضرين في الحفلة.

٥ - الحجاج السائد عند الناس.

٦ - تحية الحجاج الإسلامي للحفلة الحجاجية الثانية.

٧ - تحية الطبول والمزامير للحفلة.

٨ - تحية الملوك.

٩ - الحجاج القائم على الكرسي الملكي (العرش والمسند).

١٠ - تحية الحجاج الثانية المرسلة.

١ - المخدم:

يرتبط المخدم بالإرادة الواعية التي تحدد الأداة المستعملة. لكن إن كانت المخدمية تعني التحكم في الآلية وتطويعها لمبتغى المخدم، فإن هذا التحكم يرتهن بالوعي بالآلية وتنوُّع آلياته وتقنياته، فسبل الإصلاح التي يجعل منها المنفلوطي القصد الأول والغاية الأسمى من نظراته توحي بإدراكه لطرائق الحجاج ومقاصدها.

هذا الإدراك بدا واضحاً من قوله في إحدى مقالاته مجاناً من يقلد الغربي في كل شيء:[١] "*هذه المقدمات، فأين النتائج؟*"، فالملفوظ السابق يوحي بأنَّ المنفلوطي على دراية بآليات الحجاج، وأنَّه لابد للحجاج أن يشتمل على مقدمات وحجج ونتائج؛ لكي يصبح ذا قيمة.

وفي موضع آخر يرسم آلية الحجاج التي يتبعها عبر مقالة عنوانها بـ "أدب المناظرة" بقوله[٢]: "*أنا لا أقول إلا ما أعتقد، ولا أعتقد إلا ما أسمع صداه من جوانب نفسي، فربما خالفت الناس في أشياء يعلمون منها غير ما أعلم، ومعذرتي إليهم في ذلك أنَّ الحقَّ أولى بالملة منهم، وأنَّ نفسي عقلاً أجلُّه عن أن أنزل به إلى أن يكون سيقة للعقول، وريشة في مهاب الأغراض والأهواء*".

يعني هذا أنَّ المنفلوطي ينطلق من القصد فيما يعتقده لتقديم حجَّته، وهو يرى نفسه بصدد حمل قضيَّة لا تحتمل المماحلة، وأنَّ العقل هو المحك الذي لا ينبغي أن يقود إلى الأهواء.

كما يظهر إدراكه موافقة طرحه طرحَ لبرلمان وتيتيكا في كون الحجاج لا يعني العنف[٣]، ومن العنف الشتم والسباب وكأنَّه يشير إلى أنَّ ثمَّة فرقاً بين الحجاج في بعده الذي يتَّبع الآليات المعقولة وتلك السفسطة التي تجنح إلى تزييف الحقائق والتلاعب بالنتائج،وأنَّ مدار الحجاج قائم على التخلُّق، يقول[٤]: "*لا بأس أن يؤيد الإنسان مذهبه بالحجَّة والبرهان، ولا بأس أن ينقض أدلَّة خصمه ويزيفها ممَّا يعتقد أنَّه مُبطل لها، ولا ملامة عليه في أن يتذرع بكل ما يعرف من الوسائل إلى نشر الحقيقة التي يعتقدها إلا وسيلة واحدة لا أحبها له ولا أعتقد أنَّها تنفعه أو تغني عنه شيئاً، وهي الشتم والسباب*".

---

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٤٣/١ من مقالة "المدنية الغربية".

(٢) المرجع السابق ٢١٨/١، من مقالة "أدب المناظرة".

(٣) انظر ص ٧١ من هذه الدراسة.

(٤) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢١٨/١، من مقالة "أدب المناظرة".

ومن جهة أخرى، يواطئ رأي ديكرو وأنسكومبر في أهميَّة الصدق الذي يعبرِّ عنه بـ "الإخلاص"، وفي كون غاية المتكلم من حجاجه تكمن في التأثير على المتلقي(١)؛ حيث يقول(٢): *"إنَّ الإخلاص للمتكلم عظيمٌ في قوَّة حجَّته وحلول كلامه المحلَّ الأعظم في القلوب والأفهام"*.

والمنفلوطي يبدي استعداده للحجاج في سبيل قضيته القائمة على الإصلاح وفضح الفساد الذي ينخر في جسد مجتمعه وأمَّته، تلك القضيَّة التي يؤمن بها ويسطِّر حروفه من أجلها، ولهذا يقول(٣): *فكان من همِّي أن أدلَّ على شرور الأشرار الكامنة في نفوسهم وأن أكشف الستر عن دخائل قلوبهم حتى يتراءَوا ويتكاشفوا، فيتواقعوا ويتحاجزوا، فلا يهنأ خادع بخدعته، ولا يبكي مخدوع على نكبته"*.

وربما كان مدركًا أيضًا أنَّ طبيعة الحجاج مرنة لا تخضع للتراتبيَّة الصِّرف، وأنَّ الإضمار والتصريح فيها يعدُّ مظهًا من مظاهر الاستعمال في اللغة العادية، كما لا تخضع طبيعته أيضًا لمنطقيَّة صوريَّة صارمة، كما هو الحال بالنسبة للبرهنة المنطقية والرياضية، فيقول واضعًا منهجيَّته الحجاجيَّة في تواصله مع القارئ(٤): *"ولا أزال أتأنَّى إليه بجميع الوسائل، وألحُّ في ذلك إلحاح المشفق لد، حتى أظنَّ أني قد بلغت من ذلك ما أريد، فلا أُقيد نفسي بوضع مقدمة الموضوع في أوله، ولا أسرد البراهين على الصورة المنطقية المعلومة، فالتزام استعمال الكلمات الفنيَّة التزامًا مطَّردًا؛ إبقاءً على نشاطه وإجماحه"*.

وهكذا، فمن خلال ما سبق نُلاحظ خطابَ المنفلوطي خطابًا حجاجي بامتياز، فالكاتب عندما يحمل قضيَّة لابد له أن يسلك في سبيلها الآليات و الوسائل التي تقوده إلى التأثير على القارئ وإقناعه؛ إذ لا يقتصر الحجاج باعتباره فعلا كلاميا مركبا بعلاقة الإثبات أو الإبطال كما هو حال الفعل الكلامي البسيط، بل إنَّه فعلٌ توجيهيٌّ ونتيجة تتوسع فيهما الأدوار، أيَّ أفعالٌ كلِّي تشترك في تكوينه كلُّ تلك الأفعال على اختلاف قواها وتباين آثارها(٥)، وهذا مالا يتأتى إلا عبر آلية حجاجية مؤسسة وفق طريقة صحيحة سواءً أكانت تلك الآلية عاديَّة أم فنيَّة.

وحقيقة الأمر أنَّ ملفوظات المنفلوطي غنية بمظاهر الحجاج المختلفة وتقنياته المتعدِّدة، وهذا ما ستتناوله الدراسة وتبرهن عليه –بإذن الله في هذا المبحث-.

---

(١) انظر ص ٧٥ من هذه الدراسة.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢١٨/١، من مقالة "أدب المناظرة".

(٣) المرجع السابق ٢٧/١، مقدمة النظرات.

(٤) المرجع السابق ٤٢/١-٤٣.

(٥) انظر الشهري، عبدالهادي ظافر، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقاربة تداولية ٢٨٩.

٢-ح ملا متيجلجد لا ـه ّجومدلا:

تُوظِّف ملفوظات المنفلوطي موجهات الحجاج الأربعة في قيادته إلى بنية الإقناع، وبالتالي حمل المخاطَب على التصديق أو الإذعان من خلال التنويع في ضروب التعبير عن الفكرة، وهذه الموجِّهات ليست سوى استراتيجيات حجاجية، غير أنَّا ذات طبيعة لسانيَّة محضة.

٢-١الموجِّه الإثباتي: وهو من أبرز تلك الموجِّهات وأشهرها؛ إذ لا تكاد تخلو بنية حجاجية منه، ومن أمثلته في ملفوظات المنفلوطي:

ـ يتحدَّث المنفلوطي على لسان الصيَّاد الفقير القنوع بما قسم الله له من رزق:

-لا فرق بيني وبين الغني، إلا أنَّ الناس لا ينهضون إجلالاً لي إذا رأوني ولا يمدون أعناقهم نحوي إذا مررت م، وأهون به من فرق لا قيمة له عندي"[١].

يبدو الموجِّه الإثباتي في الملفوظ السابق واضحًا في بنيته التقريرية، وهذا الملفوظ ينطلق من الإثبات في توجيه الحجاج وصولاً إلى النتيجة، ويمكن تمثل ذلك في الشكل التالي:

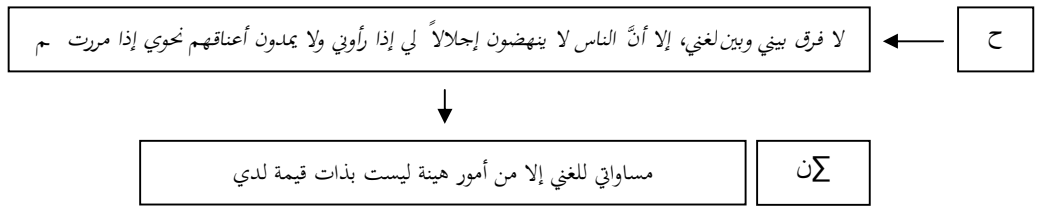

يمثل (٤-٢-١)

٢-٢الموجِّه الإلزامي: وهو الصيغة التوجيهيَّة الثانية، وليس بذات قوَّة إقناعية بقدر ما يُعدُّ حملاً على الإذعان المباشر إذ يستمد الأمر طاقته من شخص الآمر وليس من ذات الصيغة، ولهذا يتحوَّل الأمر إلى معنى الترجي حين لا يكون الآمر مؤهلاً شرعًا لتوجيه الأوامر[٢]؛ ومن أمثلة هذا الموجِّه في ملفوظات المنفلوطي ما يلي:

ـ يخاطب المنفلوطي الإنسان ناصحًا إياه بأن يطلق للطيور عنانا، فلا يحبسها في الأقفاص فيسلب منها حريتها:

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١/١٦٤، من مقالة "الصيَّاد".

(٢) صولة، عبدالله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة برلمان وتيتيكا، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ٣٢١.

- "*ارحم الطير لا تحبسها في أقفاصها، ودعها يم في فضائها حيث تشاء*"(١).

فالمنفلوطي في الملفوظ السابق لا يملك أهليَّة شرعيَّة تمكِّنه من توجيه الأمر لكلِّ إنسان كونه لا يعدو أن يكون كاتبًا ومصلحًا اجتماعيًا، غير أنَّه يملك حق توجيه النصح، ولهذا بدا ملفوظه ترجيًا أكثر ملفوظًا، ويمكن تمثل ذلك في الشكل التالي:

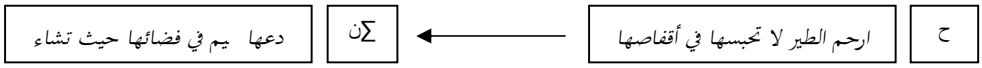

الشكل (٤-٢-٢)

٢-٣الموجِّه الاستفهامي: ويتجلَّى في كونه ذا قيمة خطابية إذ يفترض السؤال شيئًا تعلَّق به ذلك السؤال، ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء، كما أنَّ اللجوء إلى الاستفهام قد يهدف أحيانًا إلى حمل من وُجِّه إليه الاستفهام على إبداء موافقته عند إجابته على ما يتطلَّبه الاستفهام ويقتضيه(٢)، ومن أمثلته في ملفوظات المنفلوطي ما يلي:

يحكي أحد القرَّاء للمنفلوطي ما ألمَّ به من أذى جراء تمسكه بالصدق؛ ومنه أنَّه دخل مجتمعًا يضمُّ بين حاشيته جماعة من الفضوليين الذين لا همَّ لهم إلا تتبع عثرات الناس، فينصحهم قائلاً:

- "*أليس ممَّا يلقي في النفس اليأس من نجاحكم وصلاح حالكم أن نراكم طعمة كل آكل، ولعبة كل عابث، يستهويكم الكاذب بالكلمات التي تستهوي المرضعات أطفالهن، ثم يدعوكم إلى مناوأة الصادق فتمنحون الأول ودكم وإخلاصكم، والثاني بغضكم وموجدتكم*"(٣).

فالملفوظ السابق ينطلق من موجِّه استفهامي يعمل على حمل المتلقين على إبداء الموافقة؛ حيث بدا الاستفهام لغرض تقريري إجابته "بلى"، كما أنَّه يوحي بحصول إجماع على ما ذكره الناصح، وهذا الملفوظ يحوي سلَّمًا حجاجيًا، يقود إلى نتيجة (Σ-ن) واحدة هي: "اصغوا للصادق وتجاهلوا الكاذب"، ويمكن توضيحه وفق الشكل (٤-٢-٣):

---

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٩٥/١، من مقالة "الرحمة".

(٢) صولة، عبدالله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة برلمان وتيتيكا، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ٣٢١.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٩٥/١، من مقالة "الصدق والكذب".

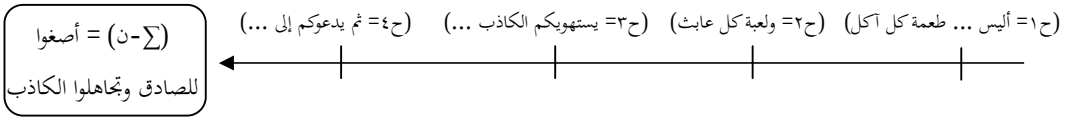

الشكل (٤-٢-٣)

٢-الموجِّه بالتمنيِّ : وهوالموجِّه الأخير بحسب برلمان وتيتيكا، ومداره على الصيغة المعتمدة تمنيًا، وهذه الصيغة يستفاد منها في الاعتماد على فكرة ما أو رأي ما تقرُّ به لموعة[١]، ومن أمثلته:

ـ يجيب المنفلوطي عنتساؤل مجموعة اختلفت في الزواج من المرأة البغي، فيشير إلى أنَّه إذا كان الباعث من وراء ذلك الإحسان والستر على المرأة وانتشالها من وحل الرذيلة، فإنَّه يعدُّ وسيلة شريفة:

- " *ليت الرجال يتفقون جميعا على أن يستنقذوا هذه الوسيلة الشريفة كل امرأة ساقها فقرها وعدمها أو فقد عائلها إلى البغاء*"[٢].

فالملفوظ السابق يوجَّه الحجاج بالتمني معتمدًا صيغة "ليت" وهو مستندٌ إلى فكرة تتجلى في رأي تقرُّ به لموعة؛ فالإحسان أمرٌ مرغوب فيه لاسيما إذا كان في الزواج، وذا يكون الملفوظ السابق كلُّه حجة لنتيجة مضمرة (∑-ن) هي : "الإحسان من خلال الستر على المرأة البغي بالزواج منها"، ويمكن توضيحه وفق الشكل التالي:

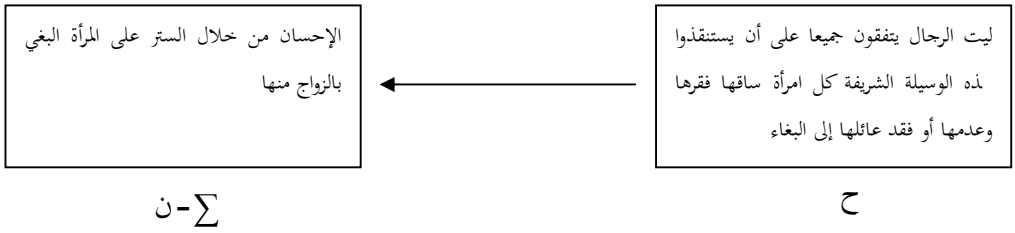

الشكل (٤-٢-٤)

(١) صولة، عبدالله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة برلمان وتيتيكا، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ٣٢١-٣٢٢.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٢٤/١، من مقالة "الإحسان في الزواج".

٣- تاوطلأ ا هعتوج امجط ا:

يتخذ المنفلوطي في خطابه الحجاجي عدَّة أبعاد ذاوتية؛ الأمر الذي يسمح لحجاجه أن يبدو أكثر مرونة في إيصال النتائج وتحقيق الغايات؛ حيث تعمل هذه الذوات على تقديم الحجَّة، وتوفير وسائل الاستدلال في عملية تجاذبية وعبر آليَّة حوارية مرةً ، و مباشرة أخرى تعتمد سلطة (الأنا) دون وسيط، إلى أن تتبلور النتيجة التي يسعى للوصول إليها.

وفي هذا الصدد، فإنَّ ملامح تعدديَّة الأصوات في ملفوظاته الحجاجية تتخذ ثلاثة أبعاد، يمثل أولها أحاديث النفس، وكأنَّ المنفلوطي يصنع من نفسه ذاتين، فيحاور نفسه في سبيل إقامة الحجة، وبالتالي تتجسد النتيجة التي يقدِّمها إلى قارئه سواء أكانت ظاهرة أم مضمرة.وأمَّا الثانية فتتمثل في ذوات حواريَّة تمثلها (الأنا) و (الأنت) و (الهو) حيث تفضي هذه الذوات إلى تجسيد الحجَّة عبر عملية حجاجية حواريَّة قصصية لتقود بدورها إلى نتائج تنسجم ومقدماته التي أسس مقالته من أجلها. والثالث يتمثل في تجرده التامِّ من (الأنا). فعلى سبيل المثال:

يتحدَّث المنفلوطي عن نفسه وقدَره ومستقبله، وجهله بما يخبئه له القدر:

"عرفتُ أني لبست أثوابي في الصباح وأنا لا *تزال فوق جسمي حتى الآن، ولكني لا أعلم هل أخلعها بيدي أو تخلعها يد الغاسل*"(١).

فالكاتب يحاول أن يخلق ذاتًا أخرى من نفسه فيحدِّثها حديث النفس الداخلي، فهو يؤسس للحجة عبر مكنونه نفسه، وهذهالحجَّة تقود بدورها إلى نتيجة يستنبطها القارئ، تتمثل في أنَّ ابن آدم لا يعلم الغيب، وبناء على ذلك فهو لا يعلم متى يموت.

وربما اتخَّذ الحجاج ذواتًا متعدِّدةعبر قصَّة يسوقها، و تكون أبطالهاذواتًا تتجاذب الحوار فتؤسس للحجج التي يصنعها الكاتب نفسه، فيبدو كما لو كان ذاتًا مستقبلة، ومن ذلك على سبيل المثال:

يحكي المنفلوطي قصته مع صديقه الذي غاب عنه لسنوات، قبل أن يعثر عليه عليلاً هزيلاً بعد أن أدمن معاقرة الخمر، حتى إذا ما دخل عليه وهمس إليه، قال:

- " *هل أسمع صوت فلان؟قلتُ نعم مم تشكو؟، فزفر زفرة كادت تتساقط لها أضلاعه وأجاب، أشكو الكأس الأولى، قلت:أيُّ كأس تريد، قال: أريد الكأس التي أودعتها مالي وعقلي وصحتي وشرفي، وها أنا ذا اليوم أودعها حياتي، قلتقد كنتُ نصحتك ووعظتك وأنذرتك بذا المصير*

(١) المرجع السابق ١/٤٦، من مقالة "الغد".

الذي صرت إليه اليوم، فما أجديت عليك شيئا، قال: ما كنت تعلم حين نصحتني من غوائل هذا العيش النكد أكثر مما كنت أعلم، ولكنني كنت شربت الكأس الأولى فخرج الأمر من يدي، كل كأس شربتها جنتها عِلاًّ الكأس الأولى، أما هي فلم يجنها عِلاًّ غير ضعفي وقصور عقلي على إدراك خداع الأصدقاء والخلطاء"(١).

فالذوات التي تلعب أدوار البطولة في هذه القصة تعمل على خلق الأفعال الحجاجية، وكل هذه الذوات في حقيقتها تعود لذات واحدة هي ذات الكاتب التي يعبر من خلالها عن تردد الأصوات في داخله، فهو يتمثل (الأنا) في قوله: قُلت نُعم مم تشكو ؟"، ثمَّ يجسد (الهو) في صديقه، حين يقول: " قال: أريد الكأس التي أودعتها مالي وعقلي وصحتي وشرفي ..." وهكذا يستمر المنفلوطي في تجسيد هذه الذوات التي تعمل كل واحدة منها على تقديم الحجَّة بالتناوب وبصورة تراتبية، إلى أن يصل إلى نتيجة يستخلصها القارئ، وهي هنا مضمرة تتمثل في أنَّ الكأس الأولى هي سبب تدهور حالته وأنَّ العتاب لم يعد يجدي.

وقد تنسلخ (الأنا) أحيانًا، فيعمل على سوق حوارٍ بين ذاتين مستقلتين، يسعى من خلالهما إلى إقامة الحجاج بعيدًا عن نفسه، ولكنَّه في ذات الوقت يكرِّسه لنتيجة يعمل على توطينها في ذهن المتلقي، ومن ذلك على سبيل المثال:

لـما ينام الكاتب فيرى في منامه أنَّه في عرصات يوم الحساب، وهناك وقد تكشَّفت الحُجُب يجد رجلين يتناجيان، أحدهما شيخ جليل أبيض اللحية، والآخر كهل نحيف قد اختلط مبيضه بمسوده، وعندما يدقق النظر، فإذا الأول الشيخ "محمد عبده"، والثاني رجل المرأة "قاسم أمين"، فيحاول أن يسترق نجواهما:

- *"الأول يقول للثاني: ليتك يا قاسم أخذت برأيي وأحللت نصحي لك محلا من نفسك، فقد كنت أراك أن تفاجئ المرأة المصرية برأيك في الحجاب قبل أن تأخذ له عدته من الأدب والدين فجنى كتابك عليها ما جناه من هتك حرمتها وفسادها وتبذلها وإراقة تلك البقية الصالحة التي كانت في وجهها من ماء الحياء، فقال له صاحبه: إني أشرتُ عليها أن تتعلم قبل أن تسفر وأن لا ترفع برقعها قبل أن تنسج لها برقعا من الأدب والحياء، قال له: ولكن قد فاتك ما كنت تنبأت لك به من أنا جاهلة لا تفهم هذا التفصيل وضعيفة لا تعبأ بهذا الاستثناء، فكنت كمن يعطي الجاهل سيفا ليقتل به غيره فيقتل نفسه، فقال له: أتأذن لي يا مولاي أن أقول لك إنك قد وقعت في مثل ما وقعت فيه من الخطأ، وأنك نصحتني بما لم تنتصح به، أنا أردت أن أنصح المرأة فأفسدها كما تقول وأنت أردت أن تحيي الإسلام*

(١) المرجع السابق ٥٢/١، من مقالة "الكأس الأولى".

فقتلته، إنك فاجأت جهلة المسلمين بما لا يفهمون من الآراء الدينية الصحيحة والأغراض الشريفة فأرادوا غير ما أردت وفهموا غير ما فهمت، فأصبحوا ملحدين، بعد أن كانوا مخرفين ... "[1].

فالملفوظات السابقة توضح بجلاء مدى شحنها بطاقة حجاجيَّة، إحداها مباشرة تتمثل في تأسيس الحجاج من قِبل الرجلين، وطاقة حجاجيَّةأخرى غير مباشرة تعبرٌ عن استراتيجيَّة حجاجية يصنعها الكاتب لتقود إلى نتائج يتطلبها خطابه العام في مقالته، وكأنَّه يريد أن يقول بأنَّ كلا الرجلين له محاسنه، كما أن كليهما لا يخلو من المساوئ واللوثات الفكرية، غير أنَّه أبعد ذات (الأنا) وترك لحوارهما أن يعمل على صناعة الحجاج.

(١) المرجع السابق ١٥٣/١، من مقالة "يوم الحساب".

٤ - مضمون الظاهرة:

تحظى آليَّة الحجاج في ملفوظات المنفلوطي بتنوع في أنماط الإظهار والإضمار، وإن كان ميالاً أحيانًا إلى التصريح بالمبادئ المشتركة العامة التي يعتمدها كتأسيس لعمليته الحجاجية.

فهو قد يصرِّح بالمبدأ العام والحجَّة والرابط والنتيجة في ملفوظ واحد، ومثال ذلك:

ـ يتحدَّث المنفلوطي عن قسوة قلوب الأغنياء عندما لا يبالون بحال الفقراء:

- *مَا أظلمَ الأقوياء من بني الإنسان، وما أقسى قلوبهم، ينام أحدهم ملء جفنيه على فراشه الوثير، ولا يقلقه في مضجعه أنَّه يسمع أنين جاره*"[1].

يشكِّل الملفوظ السابق شكلاً من أشكال الحجاج العادي، غير أنَّ الملاحظ فيه تصريح المنفلوطي بالمبدأ العام المشترك الذي يتجلَّى في صورة موضع، وهو: مَا أظلمَ الأقوياء من بني الإنسان، وما أقسى قلوبهم،" وكذلك يصرِّح بالحجَّة، وهي: " ينام أحدهم ملء جفنيه على فراشه الوثير "، ويصرِّح بالرابط: "الواو" أخيرًا يصرِّح بالنتيجة: " لا يقلقه في مضجعه أنَّه يسمع أنين جاره "، إذن فالكاتب هنا يُظهر جميع أركان الحجاج، ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل التالي:

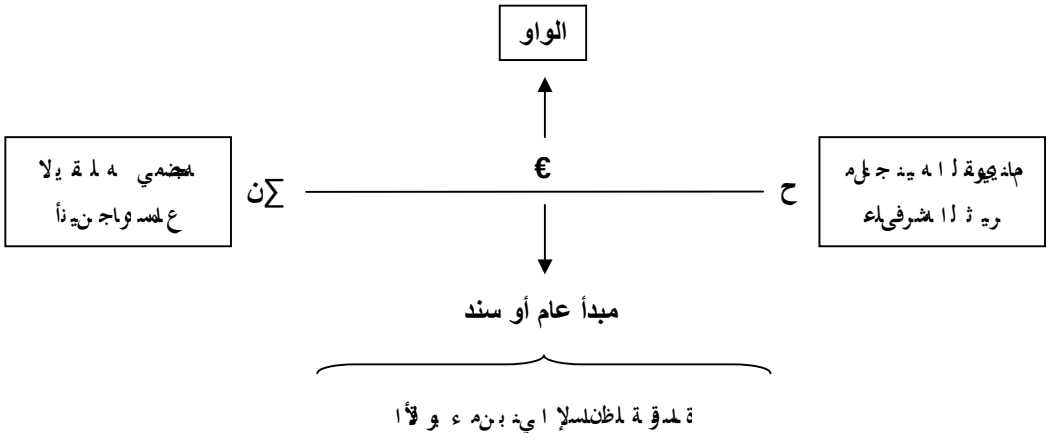

الشكل (٤-٤-١)

(١) المرجع السابق ٧١/١، من مقالة "الغني والفقير".

كما أنَّه قد يصرِّح بالحجَّة والرابط والنتيجة، ويلجأ إلى إضمار المبدأ العام المشترك، ومن ذلك:

ـ يخاطب الكاتب أبناءه الأربعةالذين طوم يد المنيَّة قائلاً :

يا "بني َّ إن قدَّر الله لكم أن تلتقوا قي روضة من رياض الجنَّة، أو على شاطئ غدير من غدرلا، أو تحت ظلال قصر من قصورها فاذكروني مثل ما أذكركم"(١).

صرَّح المنفلوطي في الملفوظ السابق بالحجَّة والرابط والنتيجة، وأضمر المبدأ العام المشترك، فالحجَّة تتمثل في قوله: "بني َّ إن قدَّر الله لكم أن تلتقوا قي روضة من رياض الجنَّة، أو على شاطئ غدير من غدرلا، أو تحت ظلال قصر من قصورها "، ويتمثَّل الرابط في حرف الفاء الرابطة لجواب الشرط، في حين تتمثَّل النتيجة في قوله: " اذكروني مثل ما أذكركم "، وأمَّا المبدأ العام المشترك (السند أو الضامن) فيمكن تأوُّله في واحدة من الحقائق الدينية، كقول: "المؤمنون سيدخلون الجنَّة"، ويمكن توضيح هذا الملفوظ من خلال الشكل التالي:

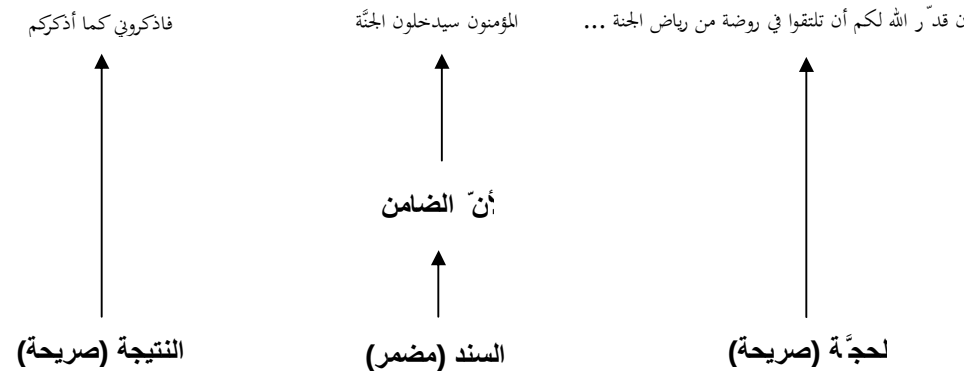

الشكل ٤-٤-٢

وقد يصُرِّح بالحجَّة ويلجأ إلى إضمار النتيجة، ومن ذلك:

ـ يحكي المنفلوطي قصَّة رجل غني خانته زوجته بعد أن أصبح طريح الفراشحزينًا وحيدًا، فيسمع بستاني القصر حينماكان يطلُّ من الشرفة وهيواجي زوجته مستنكرًا شنيع فعلتهاومتعجبًا من صبر سيده عليها، فيقول لزوجته:

(١) المرجع السابق ٥٩/١، من مقالة "الدفين الصغير".

واللهِ لو وُهب لي هذا القصر برياضه وبساتينه، وآنيته وخرثيه، على أن تكون لي تلك الزوجة الخائنة الغادرة لفضَّلت العيش فوق صخرةٍ في منقطع العمران، على البقاء في مثل هذا المكان أقاسي تلك الهموم والأحزان"(١).

يمثِّل الملفوظ السابق شكلاً من أشكال الحجاج الفني الذي تتتابع فيه الحجج في علاقات يعضِّد بعضها بعضًا، وهو وإنبدت فيه الحجج صريحةً إلا أن النتيجة ظلَّت مضمرة، ويمكن تأوُّلها في مثل قول: "لا أقبل بزوجة خائنة غادرة".

وربما عكس الأمر فصرَّح بالنتيجة وأضمر الحجَّة، ومن ذلك:

ـ يصف المنفلوطي فوضى الإحسان في بلده مصر مشيرًا إلى مدى حاجته إلى التنظيم، فيقول:

- "*الإحسان في مصر أن يدخل صاحب المال ضريحًا من أضرحة المقبورين فيضع في صندوق النذور قبضةً من الفضَّة أو الذهب ربما يتناولها من هو أرغد منه عيشًا وأنعم بالاً* "(٢).

يعلِّل الملفوظ السابق نتيجةً لحجَّة مضمرة يمكن للمتلقي تأوُّلها من خلال سياق التلفظ، ويمكن التعبير عنها بقول (حجة): "الإحسان في مصر فوضى". ولذلك (نتيجة) فـ"صاحب المال يدخل ضريحًا من أضرحة المقبورين فيضع في صندوق النذور قبضةً من الفضَّة أو الذهب ربما يتناولها من هو أرغد منه عيشًا وأنعم بالاً ".

(١) المرجع السابق ١/١١٥، من مقالة "عبرة الدهر".
والخرثي هو أثاث البيت ومتاعه.
(٢) المرجع السابق ١/٢١١، من مقالة "في سبيل الإحسان".

٥ -تحليل بنية الحجاج التداولي:

ربما بات من المسلَّم به أنَّ آلية الحجاج لا تخضع لمعايير صارمة، فالحجاج وليد اللغة الطبيعية العاديَّة، وما دام كذلك، فهو يخضع لآلية مرنة تنعكس على القول وتسمح بتوالي الملفوظات تأثيرًا وإقناعًا، فتولِّد الحجَّةُ نتيجةً ما تلبث أن تتحوَّل تلك النتيجة إلى حجَّة، وهكذا تستمر حلقة الحجاج في ملفوظات يسند بعضها بعضًا، ويُبنى أحدها على الآخر، حتى ليتحوَّل المقال كلُّه إلى حجَّة لنتيجة، أو عكس ذلك،كلٌّ هلواسط اتساق وانسجامٍ تامَّين.

يقول أبو بكر العزَّاوي[1]: فالحجَّة تستدعي الحجَّة المؤيدة أو المضادَّة، والدليل يفضي إلى نتيجة، والنتيجة تفضي إلى دليل آخر، وكل قولٍ يرتبط بالقول الذي يسبقه ويوجِّه القول الذي يتلوه، وبعبارة أخرى، فإنَّ الأقوال والجمل تقوم بينها علاقات منطقية ودلالية (...)ومجموع هذه العلائق هو ما يكوِّن البنية المنطقية للنص أو الخطاب المقصود، وهو ما نسمِّيه عامة بمنطق الخطاب أو المنطق الطبيعي إلى غير ذلك من التعابير التي يشار بها إلى كلِّ أنواع المنطق التي لا تندرج في المنطق الصوري أو الرياضي".

وبناءً على ذلك، فإنَّ ملفوظات المنفلوطي الحجاجية تتوالى في عمليَّة ديناميكية عبر علاقات منطقيَّة ودلالية، وتفضي إلى نتائج تقود بدورها إلى إعادة تأسيس الحجج من جديد؛ حيث تُظهر المقالة الواحدة شبكةً متشعبة من خطط القول المترتبة على بعضها، ومن أمثلة ذلك:

ـ يتحدَّث المنفلوطي عن ملمح الشرف، وأنَّ كثيرًا من الناس لم يدركوا معناه، فيقول:

- "*يسرق السارق ويزوِّر المزور ويخون الخائن وفي اعتقاد كل منهم أن الشرف كلَّ الشرف في المال وإن كان السبيل إليه دنيئا وسافلا، وأن للذهب رنينا تخفت بجانب صوته أصوات المعترضين والناقدين شيئا فشيئا ثم تنقطع حتى لا يسمع بجانبه صوت سواه. هكذا يتصور الأدنياء أم شرفاء، وهكذا يطلبون الشرف ويخطئون مكانه* "[2].

يحوي الملفوظ السابق فعلاً حجاجيًا تقدَّمت فيه النتائج: "يسرق، يزوِّر، يخون" على الحجج التي يمكن تمثلها في قول: "يعتقد السارق والمزوِّر والخائن أن الشرف كلَّ الشرف في المال وإن كان السبيل إليه دنيئا وسافلا ثمَّ ما تلبث أن تتحوَّل تلك النتائج في علاقة سببية إلى حجج، وكأنَّ الحجاج يُعيد تأسيس نفسه من جديد، فتصبح الملفوظات "يسرق، يزوِّر، يخون"حججًا، لنتيجة تأتي لاحقًا، وتتمثَّل في ملفوظ: " هكذا يتصور الأدنياء أم شرفاء، وهكذا يطلبون الشرف ويخطئون مكانه ".

---

(١) العزاوي، أبوبكر، الخطاب والحجاج ١٩.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٨٢/١، من مقالة "الشرف".

ويمكن إيضاح صورة آلية إعادة التأسيس للحجج انطلاقًا من النتائج في الشكل التالي:

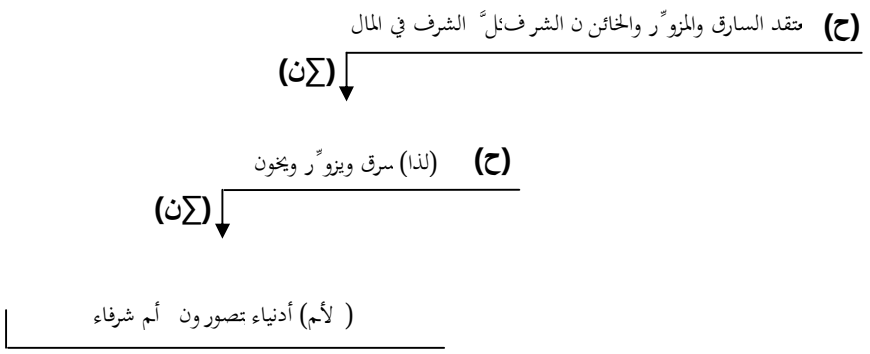

الشكل (٤-٥-١)

وقد يكون عنوان المقال لدى المنفلوطي نتيجة كبرى -إن صحَّ التعبير- مجموعة متوالية من الحجج الطويلة، ممَّا يعني أن المقال بأكمله يمثِّل حجَّة لتلك النتيجة؛ حيث يصطبغ بآلية حجاجيَّة تجعل من التشويق استراتيجية له، وأقرب الأمثلة إلى ذلك مقالته المعنونة بـ (أين الفضيلة؟) فجميع الحجج التي ساقها المنفلوطي في هذه المقالة تقود إلى نتيجة تتمثل في عنوانها، وهذا العنوان يأتي في صيغة استفهامية تشير إلى غياب الفضيلة في مجتمعه، وبالتالي فهو حريص على أن يجدها بين التاجر في حانوته، والقاضي في محكمته، والغني في قصره، والسياسي في مجلسه، وفي كل مكان هو مظنَّة وجودها؛ لذا يسترسل المنفلوطي في تقديم الحجَّة تلو الحجَّة فيقول[1]:

(فتَّشت) "... عن الفضيلة في حوانيت التجَّار، فرأيتُ التاجرَ لصا في أثواب بائع ...".

(حفَّشت) "... عن الفضيلة في مجالس القضاء، فرأيتُ أنَّ أعدل القضاة من يحرص الحرص كلَّه على أن لا يهفو في تطبيق القانون الذي بين يديه هفوةً يحاسبه عليها من منحه هذا الكرسي ...".

(فتَّشت) "... عن الفضيلة في قصور الأغنياء، فرأيتُ الغنيَّ إمَّا شحيحًا أو متلافًا ...".

(حفَّشت) "... عنها في مجالس السياسة، فرأيتُ أنَّ المعاهدة والاتفاق والقاعدة والشرط ألفاظٌ مترادفة معناها الكذب ...".

وهكذا تبدو جميع هذه الحجج تقود في نهاية الأمر إلى نتيجة واحدة تتمثل في عنوان المقالة ذاته.

(١) المرجع السابق ١/٦٤-٦٦، من مقالة "أين الفضيلة".

٦- اتباع استراتيجية الاستدلال الحجاجي:

تظهر ملفوظات المنفلوطي ثراءً في توظيف السلالم الحجاجية، سواءً تلك التي تؤدِّي إلى نتائج إيجابية ذات طبيعة حجاجية معياريَّة من نوع (∑ن)، أو تلك التي تؤدِّي إلى نتائج مضادة ذات مظهر حجاجي انتهاكي من نوع (لا-ن)، ما يعني أنَّ مقالات كتاب النظرات نصوصٌ حجاجيَّة بامتياز.

وتبرز تلك السلالم من خلال الكمِّ المتصاعد من القوى التأثيرية التي تعمل على إبراز القصد الذي يسعى إليه المنفلوطي في شكل تراتبي يعضِّد بعضه بعضًا من خلال درجات قابلة للقياس، وبواسطة روابط وعوامل تداولية تفيد عملية توجيه الوظيفة الحجاجية؛ حيث تعمل هذه التدرجيَّة على إخراج القيمة القولية من حيِّز التبليغ لرَّد التي تقف عند حدود قابلية الصدق والكذب إلى القيمة الحجاجية التي تقود إلى وظيفة تأثيريَّة إقناعية.

ومفهوم السلَّم الحجاجي لدى المنفلوطي بتركيزه على الطابع المتدرج والموجِّه للأقوال يُبين أنَّ المحاجَّة ليست مطلقة؛ إذ لا تتحدد بالمحتوى الخبري (التبليغي) للقول ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون، وإنَّما هي رهينة اختيار هذه الحجَّة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة لذلك فالحكم على المحاجَّة أساسه القوَّة والضعف اعتبارًا لطابع التدرج في ملفوظاته، وليس قابلية ملفوظاته للصدق أو الكذب[1].

ويمكن تمثيل السلَّم الحجاجي ذي الطبيعة الحجاجية المعيارية الذي يحوي مجموعة من الملفوظات تشكل (ح١) و (ح٢) و (ح٣) في المعادلة الحجاجية، لتقود إلى نتيجة واحدة تثبتها وتؤكِّدها (∑ن) من خلال مايلي:

لـ يتحدَّث المنفلوطي عن أثر موسم الامتحانات المدرسية في نفوس الطلبة، وما يعانونه من ضغوط نفسيَّة تقودهم إلى الانتحار، ويرى أنَّ الطالب لا يجني على نفسه في ذلك، وإنَّما يجني عليه والده وأستاذه والمجتمع الذي يعيش فيه، ومن ذلك أنَّ أستاذه يضرب له مثلاً من نفسه على وجوب احترام المنصب وإجلاله وإنزاله المنزلة الأولى بين أعمال المجتمع الإنساني، فيقول:

إذ يُراه بعينيه يتجرَّع مرارة الذُّل، ويعاني من كبرياء رؤسائه وقسوة المسيطرين عليه عناءً شديدًا، ويحتمل ذلك ما لا يحتمله الرجل الشريف حرصًا على منصبه وإرعاءً عليه، فكأنَّما يلقي عليه درسًا علميا موضوعه: أنَّ من يخاطر بمنصبه يخاطر بحياته"[2].

---

(١) انظر المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو على اليوم ٣٧٠.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٦٨/١، من مقالة "الانتحار".

وعندما نضع الملفوظ السابق في درجات سلَّميَّة، يتحدد مظهر السلَّم الحجاجي المعياري كما يلي:

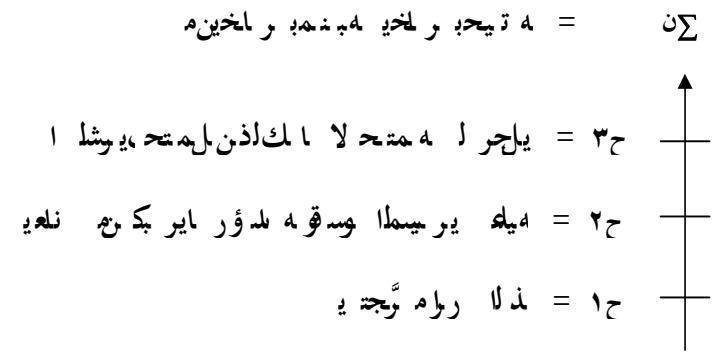

(كشل ا ٤-٦-١)

فالملفوظات (ح١)+(ح٢)+(ح٣)كلُّها حجج بعضها يعضِّد بعضًا في علاقة تتابعيَّة تعمل على دفع القارئ أو المتلقي إلى الإذعان والتسليم بالنتيجة (∑ن)، كما أنَّ الحجج جاءت في شكل تراتبي من الأضعف إلى الأقوى فهو: يتجرَّع مرارة الذل"، لا بل " يعاني كبرياء رؤسائه وقسوم"، وفوق ذلك "يحتمل من ذلك مالا يحتمله الرجل الشريف" وبالتالي فـ " من يخاطر بمنصبه يخاطر بحياته ".

ومن أمثلةذلك أيضًا:

ـ يصف المنفلوطي رذيلة الكذبمستاءً من الاستهانة بشأنه، وكونه أصل كل شر، فيقول:

ليس الكذب شيئًا يستهان به، فهو رأس الشرور ورذيلة الرذائل، فكأنَّه أصلٌ والرذائل فروع له، بل هو الرذائل نفسها، وإنَّما يأتي في أشكال مختلفة ويتمثل في صور متنوعة"[1].

يظهر هذا الملفوظ نمطَ التدرجيَّة في السلَّم الحجاجي؛ حيث يوظِّف المنفلوطي عدَّة روابط وعوامل حجاجية من أجل ربط الحجج وحصر الإمكانات الحجاجية صعودًا إلى النتيجة، ومن تلك الروابط والعوامل التي يوظفها في ملفوظه "لا"، "بل"، "كأنَّه"، إنَّما"، وتلعب هذه الروابطالعوامل دورًا حاسمًا في توجيه الحجاج تراتبيا تصاعديًا من خلال علاقة تتابعيَّة تراعي قصد الكاتب في تأسيس الحجاج؛ وصولاً إلى التأثير في قارئه، ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل (٤-٦-٢).

(١) المرجع السابق ١/١٧٤، من مقالة "الكذب".

∑ن = ي تأ يـنكـ ا ةعـنـتـم رصـ يفـل متيو ةـلـتـ مـلـكـدأ يـف.

ح٤ = اهـ فـ نلـئـاـفـزـا اوهـ لـبـ.

ح٣ = لعو ـل ئـا رـلـاو لـمـصـ هـ نكـف.

ح٢ = ـل ئـا رـلـ اـتـقـلـ يذرو روشـلـ اسأرـهـ فـ.

ح١ = بـ هـ تسـ يـ اـ ئـيشـ لـنكـ لـاـ يـل.

(كشـ لـ ا ٤-٦-٢)

فالملفوظات (ح١)+(ح٢)+(ح٣)+(ح٤) كلٌّ منها يمثل درجة حجاجية بشكل تراتبي كان للعوامل الحجاجية دور في توجيه سلَّمية الحجاج، وقادت إلى نتيجة واحدة (∑ن)صرَّح ا المنفلوطي في قوله: "وإنمَّا يأتي [الكذب] في أشكال مختلفة ويتمثل في صور متنوعة ".

وبالنظر في شروط السلَّم الحجاجي نجد أنَّ كل قول في هذه الملفوظات يقع في مرتبة ما من السلَّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن الأقوال في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونهوكلٌّ قول كان في السُّلَّم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبةً دليلاً أقوى عليه، ويمكن توضيح ذلك من خلال الملفوظ التالي:

لـيصف حال عددٍ من فضلاء السوريين الذين ينتمي أكثرهم إلى بيوتات لد ممن فارقوا مصر على إثر إعلان الدستور العثماني وجور الحكومة القائمة حينها، فيقول:

- "*وإنمَّا ضاقت م حكومالاستبداد ذرعً ا، وكذلك شأن كلِّ حكومة مستبدَّة مع أحرار النفوس وأباة الضيم، فأحرجت صدورهم، وضيَّقت عليهم مذاهبهم، ففروا من الظلم تاركين وراءهم شرفً ا ينعاهم، ومجدً ا يبكي عليهم* "[1].

يمكن توضيح سُ لَّمية الحجاج ومدى تحقق شروطه في الملفوظ السابق عبر الشكل (٤-٦-٣):

(١) المرجع السابق ٢٠١/١، من مقالة "أهناء أم عزاء".

∑ن = **ففروا من الظلم تاركين وراءهم شرفًا ينعاهم، ومجدً ا يبكي عليهم.**

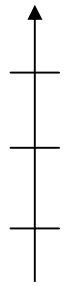

ح٣ = **وضيَّقت عليهم مذاهبهم**

ح٢ = **فأحرجت صدورهم.**

ح١ = **ناقت بهم حكومة الاستبداد ذرعً ا.**

(الشكل ٤-٦-٣)

فهذه الملفوظة تحتوي عددً ا من الحجج التي تمثل فيها كل حجة درجةً في السلَّم الحجاجي، متفاوتة بين الضعف والقوَّة، ومستلزمةً الأقوى والأعلى منها في درجة السلَّم الحجَّة التي تحتها، فالملفوظ (ح٣) الذي يتمثَّل في التضييق على المذاهب يلزم عنه الملفوظ (ح٢) المتمثل في حرج الصدور الذي يلزم عنه بدوره الملفوظ (ح١) المتمثل في التضييق بشكل عام كما أنَّ (ح٣)أقوى إثباتًا للنتيجة (∑ن) من الملفوظ (ح٢) الذي هو بدوره أقوى إثباتًا لهذه النتيجة من (ح١).

كمَّا أنَّ هذه الملفوظات المشتملة على سلَّمٍ حجاجي في ملفوظات المنفلوطي خاضعة بدورها لقوانينه الثلاثة، فبالنظر مرةً أخرى إلى الشكل (٤-٦-٣) نجد أنَّ السلَّم خاضع لقانون الخفض، فنقيض كلِّ ملفوظ يصدق في المراتب التي تقع تحته، فعند نقض الملفوظ (ح٣) "لم تضيِّق الحكومة عليهم مذاهبهم" فهذا لايعني أنَّ الحكومة قتلتهم، بل إنَّ التأويل المقبول تداوليًا هنا أنَّ الحكومة أكرمتهم.

وهذا السلَّم أيضًا يخضع لقانون التبديل، وهو أنَّ الملفوظ إذا كان حجَّة على نتيجة، فإنَّ نقيض هذه الحجَّة نقيض نتيجتها، فعند القول: "ناقت حكومة الاستبداد ذرعًا بالفضلاء من السوريين ففروا من الظلم"، فقانون التبديل يؤدِّي إلى تبديل النتيجة أيضًا: "لم تضق الحكومة ذرعًا بفضلاء السوريين فبقوا في البلاد".

وهو أيضًا خاضع لقانون القلب، وهو أنَّ أحد الملفوظين إذا كان أقوى من الآخر في التدليل على النتيجة، فإنَّ نقيض الثاني أقوى في التدليل على نقيض النتيجة، فعند القول:

- ضاقتحكومة الاستبداد ذرعًا بفضلاء السوريين فأحرجت صدورهم.

(∑ن) =فرُّوا من الظلم.

- لم تحرج الحكومة صدور السوريين، بل لم تضق بهم ذرعًا.

(∑ن) =لم يفرُّوا من الظلم.

أمَّا النمط الآخر من السلالم الحجاجية (لا-ن) الذي يؤدِّي إلى نتائج مضادة ذات مظهر حجاجي انتهاكي، فهو الآخر ممَّا يبرز بشكل جليٍّ في ملفوظات المنفلوطي؛ حيث تبدو الحجَّة بعد دخول (لا-ن)حجَّةً لا تنتمي إلى ذات السلَّم الحجاجي، وبالتالي لا تؤدِّي إلى ذات النتيجة، بل تقود من خلال علاقة حجاجية أخرى إلى نتيجة مضادة في حين تقود النتيجة قبلها إلى حجَّة على النقيض منها.

ويمكن توضيح هذا النمط من السلالم من خلال الملفوظ التالي:

لـ يصف المنفلوطي ما توصَّل إليه الإنسان من علم وتطور وقدرة، قبل أن يصطدم بحاجز الغيب الذي هو من علم الله الخالص، فيقول:

خلالَ الإنسان كلَّ عقبة في هذا العالم، فاتخذ نفقًا في الأرض وصعد في سلَّم السماء، وانتقل بعقله إلى العالم العلوي (...) ونفذ من بين الحجار والآكام إلى القرون الخالية فرأى أصحابا وكيف يعيشون وأين يسكنون (...) حتى كاد يسمع حديث النفس ودبيب المنى، واخترق بذكائه كلَّ حجاب وفتح كلَّ باب،ولكنَّه سقط أمام باب الغد عاجزًا مقهورًا لا يجرؤ على فتحه"[1].

يُلاحظ في الملفوظ السابق أنَّ الحجج من مثل:ذلَّل الإنسان كلَّ عقبة في هذا العالم" و "اتخذ نفقًا في الأرض وصعد في سلَّم السماء" و "نفذ بين الحجار والآكام على القرون الخالية" و "كاد يسمع حديث النفس و دبيب المنى" و "اخترق بذكائه كلَّ حجاب" جميعها تقود إلى نتيجة (∑ن) = "استطاع الإنسان بعلمهأن يصل إلى كلَّ شيء"، غير أنَّ دخول الرابط (لكنَّ) أدى إلى تغيير العلاقة الحجاجية بدخولحجَّة جديدة لا تنتمي إلى السلَّم الحجاجي في الملفوظات السابقة وهي: "سقط أمام باب الغد عاجزًا مقهورًا"، وهذه الحجَّة أدَّت إلى نتيجة (لا-ن)مضادَّة للنتيجة السابقة، يمكن تأوَّلها في قول: "لم يستطع الإنسان بعلمه المحدودأن يصل إلى كلِّ شيء".

(١) المرجع السابق ١/٤٧-٤٨، من مقالة "الغد".

ويمكن توضيح هذا النمطالسُّلَّمي الحجاجي الانتهاكي المضاد من خلال الشكل (٤-٦-٤):

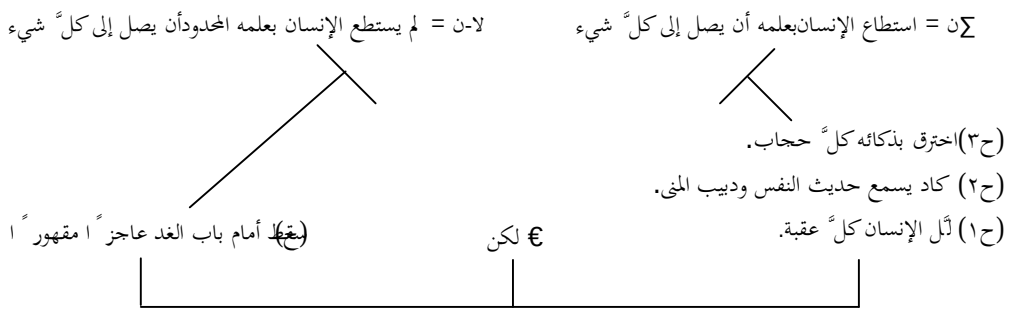

الشكل (٤-٦-٤)

يُلاحظ أنّ الحجج (ح١)+(ح٢)+(ح٣) كلّها كانت تقود إلى النتيجة (∑ن)، إلا أنّ دخول الرابط (لكنّ) أدى إلى انحراف التوجيهالحجاجي، وظهور حجّة جديدة (ح) لا تتسق وما تقود إليه تراتبية السلّم، وصولاً إلى نتيجة مضادة (لا-ن) رغم استبعاد وقوعها من خلال المعطيات الأولى.

فالمتلقي أو القارئ في هذا الملفوظ لا يفهم منه أنّ الإنسان قد استطاع بعلمه أن يصل إلى كلِّ شيء، لأنّ الملفوظ الحجّة (ح) يؤكّد أنّه لم يستطع ذلك، غير أنّ درجات السلّم المتوالية قبل نقضها أدّت إلى إحداث طاقة حجاجيّة للنتيجة المضادّة (لا-ن) على غير ما كان عليه السُّلّم الحجاجي الذي يقود إلى (∑ن).

كما أنّه جرّد الملفوظ السابق من السلّم الحجاجي وأبقى على (ح) و (لا-ن) فقط، لبدت قوّة الحجاج أقلّ تأثيرًا، ولبقيت في نطاق الحجاج بمعناه العادي لا الفني.

ومفاد ذلك أنّ دخول حجّة النقض (ح) والنتيجة المضادّة (لا-ن) على السلّم الحجاجي أدّى إلى تعزيز الوظيفة التأثيرية الإقناعية في الحجاج.

٧- الروابط الحجاجيَّة وأنماطها:

تشكِّل الروابط الحجاجية عنصر ًا هام ًا لدى ديكرو وأنسكومبر في توجيه العمليَّة الحجاجية، من خلال تركيزها على العلاقة التي تربط الجانب الدلالي التركيبي من جهة، والجانب التداولي من جهة أخرى؛ حيث تساعد هذه الروابط على ضبط العملية التأويلية لدى المتلقي وبالتالي تعمل على ضبط عمليَّة التفسير، فهي بمثابة المحدِّد لمعاني الملفوظات من خلال توجيههلحجاجي ًا لتؤدِّي وظيفتها المناطة ا، ذاك أنَّ اللغات الطبيعية بالنسبة لديكرو وأنسكومبر تحمل وظيفة حجاجية تشتمل على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج لا يمكن تحديد معناها بدقة إلا من خلال توضيح قيمتها الحجاجية.

وإذا ما تمَّ النظر في ملفوظ المنفلوطي نجد أنَّ الروابط تؤدِّي تلك الأدواروتوجِّه الملفوظات حجاجي ًا فهي لا تنحصر في مهمَّة إضافة معلومة جديدة بقدر عملها علىإضافة حجَّة جديدة أقوى من سابقتهاوبناء ً على ذلك تظهر القيمة الحجاجية التي تحدد مقاصده بدقَّة.

٧-١- الروابط المدرجة للحجج "حتىأنموذج ًا:

يعمل الرابط "حتى"على توجيه الحجَّة بعده نحو قيمة حجاجية أقوى من سابقتها، وإن كانت جميع الحجج تقود إلى نتيجة واحدة.

ومن أمثلة ذلك في ملفوظ المنفلوطي:

ـ يصف المنفلوطي حال المدمنين على معاقرة الخمر، وكيف أنَّهم في حياة سلبية ساكنة لا يشعرون فيها بما يدور حولهم:

- "*لأنَّ حياة ا لمدمنين حياة متشابهة متماثلة لا فرق بين صبحها ومسائها، وأمسها وغدها، ذهاب إلى الحانات فشراب، فخمار فنوم فذهاب، كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها، والمنظر المتكرر لا يلفت النظر ولا يشغل الذهن، حتى إنَّ بعض من ينام على دورة الرحى يستيقظ عند سكوا، وكان أحرى أن يوقظه دورا* "[1].

يشير الملفوظ السابق إلى سلبيَّة حياة المدمن على الخمر فلا يفرِّق بين صبح ولا مساء فهو غائب عن الوعي على الدوام، وحتى لو أفاق النائم على دورة الرحى بعد توقفها فإنَّ المدمن لشدَّة غياب وعيه لا يفيق من ذهاب عقله.

(١) المرجع السابق ١/٥٠-٥١، من مقالة "الكأس الأولى".

وبالنظر في الحجَّة التي تلت الرابط (حتى) نجد أنَّ ا تحوي قيمة حجاجية أقوى من قيم الحجج التي سبقتها وإن كانت جميعها تؤدِّي إلى نتيجة واحدة (∑ن) = حياة ا لمدمنين حياة متشابهة متماثلة لا فرق بين صبحها ومسائها، وأمسها وغدها غير أنَّ الرابط (حتىَّ) عمل على توجيه الملفوظحجاجي ًا لا تبليغي ًا.

وتعتبر (حتى) في هذا الملفوظ عاطفة، يراعي فيها المرسل شروط المعطوف: أن يكون بعض ما قبلها أو كبعضه، وأن يكون غاية لما قبلها في زيادة، والزيادة تشمل القوَّة والتعظيم[1].

ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل التالي (٤-٧-١):

∑ن = حياة المدمنين حياة متشابهة متماثلة لا فرق بين صبحها ومسائها، وأمسها وغدها.

ح٣ = دورة الرحى وسكونها إن أيقظتا النائم فإنَّهما لا توقظان المدمن.

€ = حتَّى أنَّ .

ح٢ = المنظر المتكرر لا يلفت النظر ولا يشغل الذهن

ح١ = خمار فنوم فذهاب، كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها

(الشكل ٤-٧-١)

٧-٢- الروابط المدرجة للنتائج "إذنأنموذج ًا:

يعمل الرابط (إذن) على توجيه النتيجة التي قام قصد المرسل في تأسيسه للحجاج عليها، ويمكن التمثيل لها من ملفوظ المنفلوطي بما يلي:

ـ يستنكر المنفلوطي على أحد الكُتَّاب تأليفه قصَّة في إحدى اللاَّت تزين الزنا ووِّن إثمه وتغري العفيفة الصالحة بالتمرد على زوجها:

(١) الشهري، ظافر بن عبدالهادي، آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ١/١١٠.

- *"إنَّ فتاة الرواية لم تخف في جريمتها فقط كما يهفو غيرها من النساء؛ لأنها مقيمة في منزل عشيقها من زمن بعيد، وقد عقدت عزمها على البقاء فيه ما دامت روحها باقية في جسدها، ولم يسقها إلى ذلك سائق شهوة بشرية إن صح أن تكون الشهوة البشرية عذرا يدفع مثلها إلى مثل ما صنعت؛ لأنها فرت من فراش زوجها، لا من وحشة خلوا، ولا سائق جوع؛ لأنها كانت أرق النساء عيشا، وأروحهن بالا، بل كانت على حالة من الرفاهية والنعمة والتقلب في أعطاف العيش البارد لم تر مثلها من قبل ولا من بعد، إذن فهي امرأة مجرمة لا يمنحها العدل من الرحمة ما منح المرأة الساقطة"*[1].

يؤسس المنفلوطي في الملفوظ السابق لحجاجه بتوضيح مدى جرم هذه المرأة بخروجها عن أمر زوجها ومكوثها في منزل عشيقها، بالرغم من إحسان زوجها إليها وتقلبها في حياة النعمة والرفاهيَّة، ثمَّ يوجِّه تلك المعطيات إلى نتيجة من خلال الرابط (إذن)، أنَّ مثل هذه المرأة أشدُّ إجرامًا من المرأة الساقطة، فلا ينبغي أن يمنحها العدل رحمة.

ويمكن تحليل الملفوظ السابق من خلال الشكل (٤-٧-٢):

∑ن = فهي امرأة مجرمة لا يمنحها العدل من الرحمة ما منح المرأة الساقطة.

€ = إذن:

ح٢ = فرّ من زوجها وحشة ولا جوعًا بل كانت مرفَّهة.

ح١ = تقيم في منزل عشيقها من زمن بعيد وقد عقدت العزم على البقاء.

(الشكل ٤-٧-٢)

٧-٣-الروابط التي تدرج حججًا قوية "بل" أنموذجًا:

من الأدوار الحجاجية التي يلعبها الرابط "بل" تلك الملفوظات التي تتضمن (لا ... بل ...)؛ حيث تعمل على تثبيت كلٍّ من الجزأين بعد ترتيبهما صعودًا، فيصبح الوضع ثبوت الأول بوصفه حجَّة

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٨٨/١، من مقالة "الحب والزواج".

دنيا، وزيادة الآخر فوقه بوصفه الحجَّة الأقوى؛ إذ إنَّ الحجج التي تقع بين (لا ...) تعدُّ في درجة أدنى حتىَّ لو كانت ذات قيمة عليا في نظر المتلقي؛ فيضعها المرسل لذا في أدنى السلَّم، ليوحي إلى المتلقي مقدَّمًا بأنَّ ما بعدها أقوى منها، وهذا ما يجعله ينتظر تلك الحجج الأقوى بفارغ الصبر(١)، وهكذا تقود الحجَّة التي تلي الرابط "بل" إلى تقوية الحجَّة. وهنا تكمن عبقريَّة الكاتب، وهو ما ينطبق على الملفوظ التالي:

ـ يستنكر المنفلوطي على أحد الكُتَّاب تأليفه قصَّة في إحدى الملاَّت تزين الزنا ووزِّن إثمه وتغري العفيفة الصالحة بالتمرد على زوجها:

- *إنَّ فتاة الرواية لم تف في جريمتها فقط كما يهفو غيرها من النساء؛ لأنها مقيمة في منزل عشيقها من زمن بعيد، وقد عقدت عزمها على البقاء فيه ما دامت روحها باقية في جسدها، ولم يسقها إلى ذلك سائق شهوة بشرية إن صح أن تكون الشهوة البشرية عذرا يدفع مثلها إلى مثل ما صنعت ؛ لأنها فرت من فراش زوجها، لا من وحشة خلوا، ولا سائق جوع؛ لأنها كانت أرق النساء عيشا، وأروحهن بالاً ، بل كانت على حالة من الرفاهية والنعمة والتقلب في أعطاف العيش البارد لم تر مثلها من قبل ولا من بعد، إذن فهي امرأة مجرمة لا يمنحها العدل من الرحمة ما منح المرأة الساقطة*"(٢).

ففي الملفوظ السابق يُلاحظ مجيء الحجَّتين (لا ...) في الملفوظ فرَّت من فراش زوجها لا من وحشة خلوا" والملفوظ "ولا سائق جوع"باعتبارهما حجتين أدنى في درجة السلَّم، وكأنَّ المنفلوطي يوحي إلى قارئهبأنَّ ما سيعقبهما حجَّة أقوى مهما، ثمَّ يدرج الحجَّة (بل ...) في الملفوظ "بل كانت على حالة من الرفاهية والنعمة والتقلب في أعطاف العيش" ، وهذا يؤدِّي الرابط "بل"دورًا في تقوية الحجج، ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل (٤-٧-٣):

ح٣ = كانت على حالة من الرفاهية والنعمة والتقلب في أعطاف العيش

€ = بل (تقوية)

ح٢ = ولا سائق جوع.

ح١ = فرَّت من فراش زوجها لا من وحشة خلوتها.

(الشكل ٤-٧-٣)

(١) الشهري، ظافر بن عبدالهادي، آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ١٠٩/١ بتصرُّف-.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٨٨/١، من مقالة "الحب والزواج".

٧-٤- روابط التعارض الحجاجي "لكن" نموذجًا:

يعمل الرابط "لكن" توجيه الحجاج استدراكًا، ومعنى الاستدراك أن يُنسب حكمٌ لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها، وكأنَّه لمَّا أُخبر عن الأول بخبر خُشي أن يُتوهم من الثاني مثل ذلك، فتمَّ تداركه بخبر إسلبًا وإيجابًا، ولذلك لا يكون إلا بعد كلام ملفوظ به أو مقدَّر، ولا يقع الرابط "لكن" إلا بين متنافيين أو متغايرين نفيًا وإيجابًا، فيستدرك به النفي بالإيجاب، أو الإيجاب بالنفي[1]، وما دام هذا التغاير حاصلاً فمن اللازم أن يقود إلى تعارض الحجج، وبالتالي تعارض النتائج.

ويمكن توضيح ذلك من خلال الملفوظ التالي الذي يتَّجه من الإيجاب إلى السلب:

لـ يخاطب المنفلوطي القارئ معظِّمًا أثر الرحمة بين بني الإنسان، فيقول:

- "*إنَّ الرحمة كلمة صغيرة .. ولكن بين لفظها ومعناها من الفرق مثل ما بين الشمس في منظرها والشمس في حقيقتها*"[2].

يؤدِّي الرابط "لكن" دورًا في تعارض الحجج؛ حيث يستدرك المنفلوطي به بعد ملفوظ إيجابي في اتجاه ملفوظ سلبي، ممَّا يحدث تغايرًا وتعارضًا، وإذا كانت الحجَّة قبل دخول الرابط (لكن) تشير إلى مدى صِغر كلمة الرحمَّة، وكأنَّها تقود إلى نتيجة (∑ن) = "ليست الرحمة في حقيقتها بذات معنى هام"، فإنَّ ملفوظ الحجَّة بعده قد استدرك سلبًا للحجَّة قبلها، وكأنَّ المنفلوطي لمَّا أخبر عن الحجَّة الأولى خشيَ أن يتوهم المتلقي من الحجَّة الثانية مثلها فتداركه سلبًا وتعارضًا، ليقود الحجاج إلى نتيجة مضادة (لا-ن) = "الرحمة في حقيقتها ذات معنى هام"، ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل (٤-٧-٤):

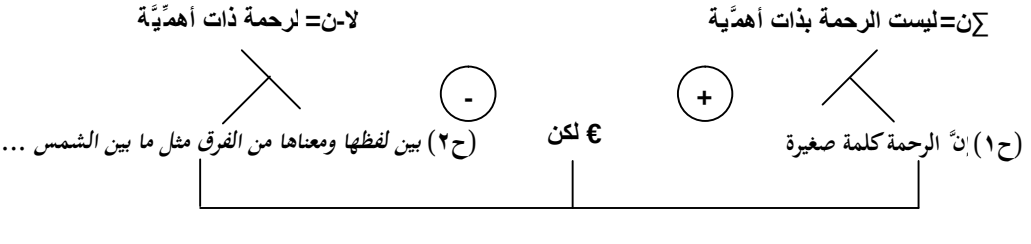

الشكل (٤-٧-٤)

(١) الشهري، ظافر بن عبدالهادي، آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته ١٠٢/١-١٠٣ جتصرُّف-.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٩٢/١، من مقالة "الرحمة".

٨- العوامل الحجاجيَّة:

يمكن تحديد أبرز وظيفة تقوم بها العوامل الحجاجية في كونها لا تربط بين معطيات الحجاج، أو بين الحجَّة والنتيجة كما هو حال الروابط الحجاجية، بل إنَّها تعمل أيضاً على حصر الإمكانات الحجاجية وتقييدها في ملفوظ ما، وكأنَّها تعمل على عدم تشتيت الطاقة الحجاجية، بل قصرها على وجهة حجاجية يحددها قصد المرسل.

وهذه العوامل تبدو من الكثرة ما يصعب معها دراستها مجتمعة، غير أنيَّ في هذه الدراسة آثرتُ انتقاء ثلاثة نماذج، تمثِّل العوامل التالية: (إنَّما، ما ... إلا ...، لو-لولا).

٨-١- العامل "إنَّما" والحصر:

تعمل "إنَّما" على توجيه الملفوظ نحو نتيجة ضيقة يقصد المرسل إيصالها إلى المتلقي، دافعاً بذلك ما قد يتأوَّله بالتوسع واهماً، أو التوجيه إلى نتيجة لم يقصدها المرسل، فهي تقود إلى نتيجة محددة واحدة لا تقبل التعدد، وهذا بدوره يعمل على منح الملفوظ قيمة حجاجيَّة، في حين أنَّ غياب مثل هذا العامل يبقي الملفوظ في طابع الوظيفة التبليغية التي لا ترقى تداولياً إلى عمق الوظيفة الحجاجيَّة للغة.

ومن أمثلة هذا العامل في ملفوظات المنفلوطي ما يلي:

يخاطب المنفلوطي القارئ مفرِّقاً بين العطاء الذي قد يكون نفاقاً ورياءً، والإحسان الذي ينبع من عاطفة صادقة، فيقول:

- " *إنما الإحسان عاطفة كريمة من عواطف النفس تتألم لمناظر البؤس ومصارع الشقاء*"(١).

يلاحظ في الملفوظ السابق أنَّ العامل (إنَّما) أدَّى إلى توجيه الحجَّة (الإحسان) وحصر إمكاناته في كونها عاطفة كريمة، ممَّا أضفى عليها بُعداً حجاجياً تمثَّل في الحصر والعدول تأكيداً والوجه الذي ورَّد العامل من الملفوظ لأدَّى إلى مجرد قيمة تبليغية، ويمكن توضيح ذلك في الشكل (٤-٨-١):

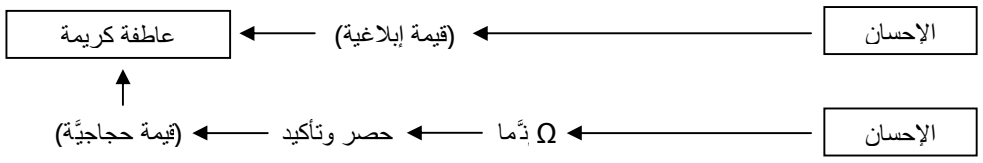

الشكل (٤-٨-١)

(١) المرجع السابق ١/٢١٠، من مقالة "في سبيل الإحسان".

٨- ٢- العامل (ما ... إلا ...) والاختزال:

يعمل المورفيمان (ما ... إلا ...) على الإثبات بحصر إمكانات الحجاج فيما يتوقع المرسل أن ينكره المتلقي ويشكَّ فيه، وهذا التوجيه من شأنه إخراج الملفوظ من وظيفته التبليغية في اللغة إلى الوظيفة الحجاجيَّة في اتجاهتوجيهٍ مختزل قد تسترسل صوره بدونه[١]، ومن أمثلة هذا العامل في ملفوظات المنفلوطي ما يلي:

ـ يخاطبالمنفلوطي المسلمين محذر ًا إياهم من استعداءأهل الذمَّة دون وجه حق، وأنَّ الإسلام دين سماحة لا يقبل الهمجيَّة والوحشية، فيقول:

- "*ما جاء الإسلام إلا ليستلَّ من القلوب أضغانا وأحقادها*"[٢].

يقوم العامل (ما ... إلا ...)في الملفوظ السابق بحصر إمكانات الحجاج فيما يتوقَّع المنفلوطي أنَّ القارئ في ريبة منه، كما أنَّه يعمل على إخراج الملفوظ من مجرد التبليغ بأنَّ الإسلام جاء ليستلَّ من القلوب ضغائنها وأحقادها" إلى وظيفة حجاجية تتجه نحو اختزال النتيجة، ويمكن توضيح هذا النمط من الاختزال فيما يلي:

فلو اُفترض غياب العامل الحجاجي في ذات الملفوظ لبدت الاسترسالات متعددة:

١- جاء الإسلام ليستل من القلوب أضغانا وأحقادها، وأيضً ا ليأمر بجهاد المعتدي.

٢- جاء الإسلام ليستل من القلوب أضغانا وأحقادها، فدعونا نفكِّر في الحبِّ والسلام.

٣- جاء الإسلام ليستل من القلوب أضغانا وأحقادها، إذن فهو الدين الحق.

غير أنَّه في حال إدماج العامل في الملفوظ تبرز وظيفة الحجاج بالحدِّ من غموض الملفوظ ومن تعدد نتائجه واسترسالاته، وبذلك يكون التوجيه الحجاجي من قبيل الاختزال (انظر الشكل ٤-٨-٢):

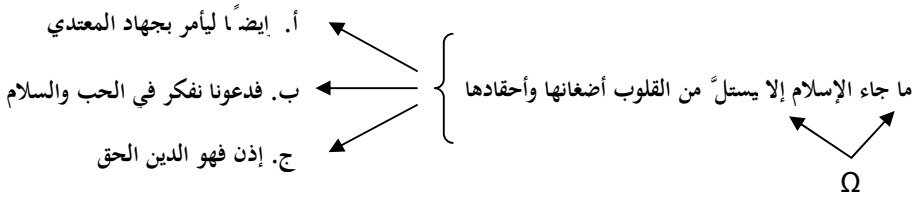

الشكل (٤-٨-٢)

(١) الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ٦٠ -بتصرف-.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٢٩/١، من مقالة "لا همجيَّة في الإسلام".

٨-٣- العاملان (لو - لولا) والتلازم:

يخضع العاملان (لو- لولا) العلاقة الاقتضائية التي تجعل الحجَّة تقتضي النتيجة اقتضاءً ، فتغدو العلاقة ضربًا من التلازم[1] كما أنَّهما يعملان على توجيه الحجَّة وربطها بالنتيجة سلبًا أو إيجابًا، ممَّا يعني حصر وتقييد إمكانات الحجاج في علاقة لزوميَّة، ويتولى دمج الجانب التلفظي المقامي دورًا في تحديد الملفوظات المستساغة تداوليًا من عدمها، وهذا يعني أنَّ النظام التركيبي لهما يقود إلى أربع صور:

(++) = (لو ... "إيجاب").

(+-) = (لو ... "سلب").

(-+) = (لولا ... "إيجاب").

(--) = (لولا ... "سلب").

وتتمثل الصور (++) في الملفوظ التالي:

يخاطب المنفلوطي القمر باثًّا إليه همومه وأحزانه التي لا يعلم أحدٌ سواه، إلى درجة أنَّ الرائي عندما يراه يحسبه سعيدًا؛ لأنَّه يغتر بابتسامة ثغره وطلاقة وجهه، ثمَّ يقول قاصدًا ذلك الرائي:

ولو كُشِفَ له عن نفسي ورأى ما تنطوي عليه من الهموم والأحزان لبكى لي بكاء الحزين إثر الحزين"[2].

يحوي الملفوظ السابق عاملاً حجاجيًا (لو) (إيجابي) في صورة (++)؛ حيث أدَّى إلى حصر إمكانات الحجَّة في اتجاه نتيجة إيجابيَّة تومًا، وجاء العامل مستساغًا تداوليا وفق ما يحدده مقام التلفظ، في حين تبدو بقيَّة الصور لاحنةً تداوليًا، ويمكن توضيحه وفق الشكل (٤-٨-٣):

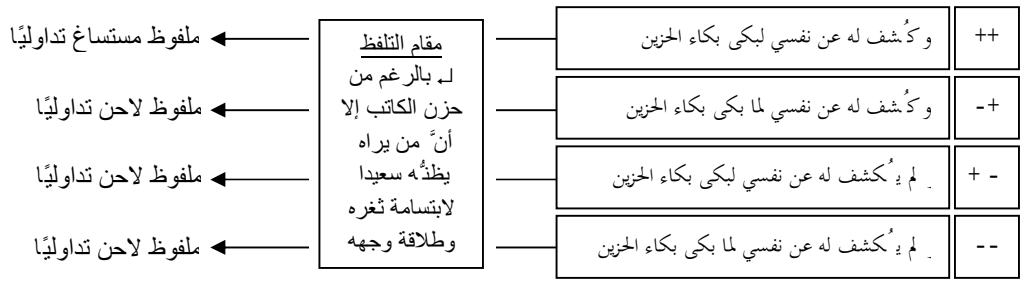

الشكل (٤-٨-٣)

(١) عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٤٤.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٦١/١-٦٢، من مقالة "مناجاة القمر".

وأمَّا الصورة (+-) فيمثلها الملفوظ التالي:

ـ يخاطب المنفلوطي المحزون محاولاً التخفيف عمَّا يثقل صدره من اليأس، ومستحثا الأمل بين ناظريه، فيقول له معاتبًا:

- "*أنَّكَ أجملتَ في أملك لملوتَ في حزنك*"[1].

يحوي الملفوظ السابق عاملاً حجاجيًا (لو) (إيجابي) في صورة (+-)؛ حيث أدَّى إلى حصر إمكانات الحجَّة في اتجاه نتيجة سلبية لزومًا، وجاء العامل مستساغًا تداوليا وفق ما يحدده مقام التلفظ، أمَّا بقية الصور فتبدو لاحنة في الاستعمال التداولي، ويمكن توضيح ذلك وفق الشكل (٤-٨-٤):

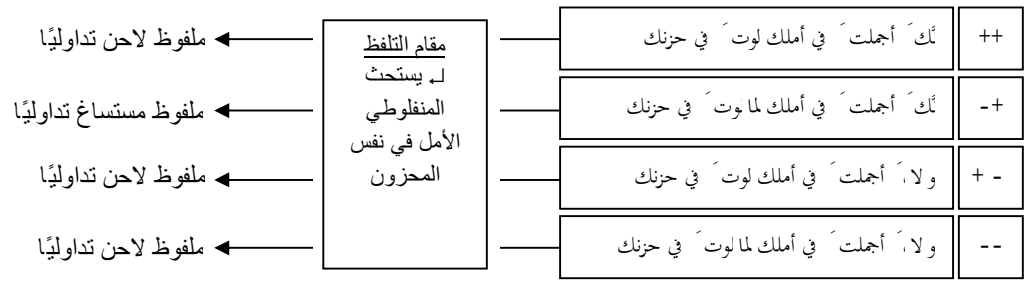

الشكل (٤-٨-٤)

ومن أمثلة الصورة (-+) ما يلي:

ـ يغفو الكاتب إغفاءة طويلة فيرى أنَّه دخل الجنَّة، وهناك يلتقي بعدد من الشعراء والأدباء، ثمَّ يتذكَّر الشاعر الأعشى، ويتذكر مصرعه وشقاءه، فيقول في نفسه:

- "*لولا أنَّ قريشًا صدَّته عن الإسلام لكان اليوم بيننا في مجلسنا هذا*"[2].

بالنظر في الملفوظ السابق يبدو العامل الحجاجي (لولا) سلبيًا جاء في صورة (-+)؛ حيث عمل على حصر وتقييد إمكانات الحجَّة بعده في اتجاه نتيجة إيجابيَّة لزومًا، كما بدا العامل مستساغًا تداوليا وفق ما يحدده مقام التلفظ، فيما تبدو بقيَّة الصور من خلال دمج مقام التلفظ لاحنةً تداوليًا، ويمكن توضيح ذلك في الشكل (٤-٨-٥):

---

(١) المرجع السابق ٨٢/١، من مقالة "أيها المحزون".

(٢) المرجع السابق ١٠٤/١، من مقالة "رسالة الغفران".

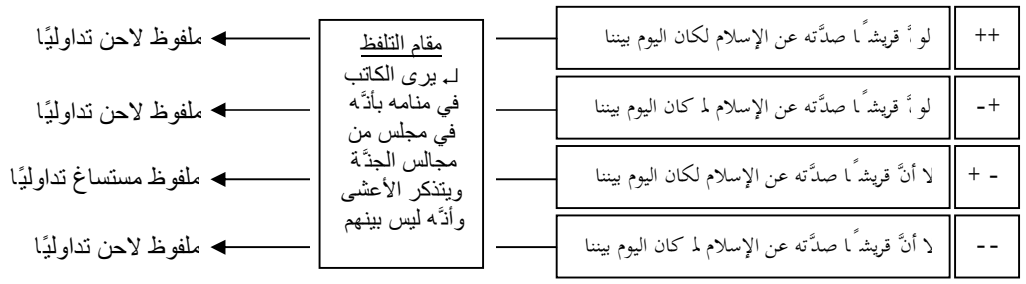

الشكل (٤-٨-٥)

وأمَّا الصورة الأخيرة (--)، فمن أمثلتها في ملفوظ المنفلوطي ما يلي:

لـ يبوح صاحب المنفلوطي إليه بآلامه وحسراته بعد أن تسبب إدمان معاقرة الخمر في إعيائه، وإصابته بالأمراض والأسقام نادمًا على تلك اللحظة التي تناول فيها كأسه الأولى، فيقول:

- *"لولا الكأس الأولى ما هلكتُ ولا شكوت"*[1].

يحوي الملفوظ السابق عاملاً حجاجيًا (لولا) (سلبي) في صورة (--)؛ حيث أدَّى إلى حصر إمكانات الحجَّة في اتجاه نتيجة سلبية لزومًا، وجاء العامل مستساغًا تداوليا وفق ما يحدده اندماج مقام التلفظ، أمَّا بقية الصور المفترضة فتبدو لاحنة لا تتسق مع مقام التلفظ في الاستعمال ، ويمكن توضيح ذلك وفق الشكل (٤-٨-٦):

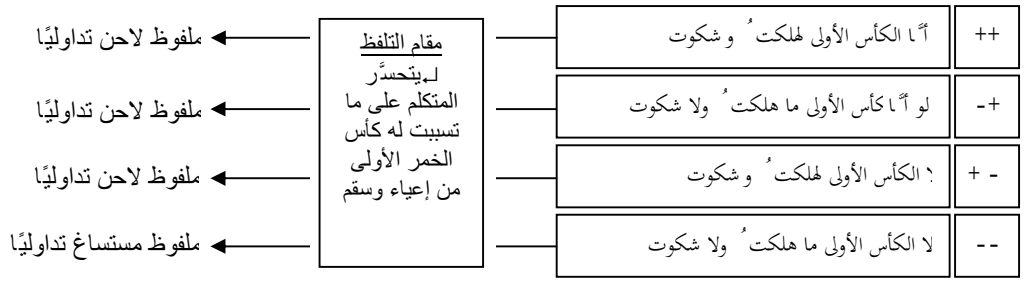

الشكل (٤-٨-٦)

(١) المرجع السابق ٥٤/١، من مقالة "الكأس الأولى".

٩ - المبادئ العامَّة المشتركة (السند أو الضامن):

تعمل المبادئ العامَّة المشتركة كسندٍ أو ضامن من خلال إضفاء المقبولية على التوجيه الحجاجي بناءً على ما يمليه العرف والقيم والدين والتمع والذوق العام وكأنمَّا هي تأسيس عام لربط قضيتين يتمثلان فيحجَّة و نتيجة، إذ هي أقرب إلى قواعد الاستدلال المنطقية التي تقوم على القياس لدى أرسطو أو ما يُعرف بالمقدمة الكبرى، غير أنَّ قواعد الاستدلال الحجاجي تخضع لقواعد الاستنباط الطبيعية في استعمال اللغة العادية، وبذلك يكمن دورها في إضفاء مقبوليةتأسيس الحجاج، ابتداءً من تسلسل الحجج؛وصولاً إلى النتائج.

وتُعدُّ المبادئ العامَّة نقطةمحكٍّ بين البعد الحجاجي بمعناه الحديث والبعد السفسطائي، فإذا كان الأوَّل يعمل وفق مقبوليَّة المقدِّمة المشتركة كما تفسرها بنية الاستدلال والاستنباط والاستعمال الطبيعي للملفوظات، فإنَّ الثاني يعمل على إعادة توجيه استدلالات تلك المبادئ للتضليل و التلاعب، وتزييف الاستعمالات القولية.

وبعيدًا عن السفسطة، فإنَّ هذه المبادئ العامَّة المشتركة أو المقدِّمات تؤخذ باعتبارها مسلَّمات يقبلها المتلقي وإن كانت نسبية وغير إلزاميَّةواختيار هذه المسلَّمات وطريقة صوغها وترتيبها يُعدُّ في حدِّ ذاته ذا قيمة حجاجية، يقول عبدالله صولة[١]:إنَّ الخطيب باستخدامه المقدمات منطلَقًا لحجاجه وأُسا له إنمَّايعوِّل على تسليم الجمهور بها وإن كان هذا الجمهور قد يرفضها، إمَّا لكونه لا يسلم بهذا الذيبهاالخطيب ينطلق منه معتبرًا إياه من المسلَّمات، أو لكون الجمهور يفطن للبعد الأحدي الذي قام عليه اختيار هذه المقدمات، أو لكون الجمهور أدرك النوايا التي يبيتها الخطيب من إتيانه بهذه المقدمات".

وتكمن أهميَّة المبادئ المشتركة في كوا تضطلع بتحقيق علاقةاللزوم في الاستدلال، أو ما يُعرف في الدراسات الحجاجية الحديثة بـ "التوجيه الحجاجي"[٢]،كما أنَّ فهم النتيجة في الحجاج مرهونٌ بالإحالة على المبادئ، مع الإشارة إلى أنَّ هذه المبادئ -بحسب ديكرو- رخوةٌ في مقابل المنطق الصوري الرياضي.

ومؤدَّى ذلك أنَّ استدعاء المنفلوطي للحجج يلزم عنه معرفته بتلك المبادئ، فإذا ما استحضرها في سياق تلفظي معلوم تركت لدى القارئانطباعًا وتأثُّرًا في ذهنه، وحملته على الإقناع.

---

(١) صولة، عبدالله، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ٣٠٨.

(٢) انظر الريفي، هشام، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ١٦٢.

والمبادئ العامَّة المشتركة في مقالات النظرات تسير غالبًا في اتجاه "المواضع" ذات القيم الإنسانية والاجتماعية، وهي سمة بارزة فيها لا تعني عدم وجود أنماط أخرى، والمنفلوطي يعمد في مساره الحجاجي إلى خطَّة حجاجية تعتمد التصريح تارةً، أو اللجوء إلى إضمارها تارة أخرى، وكأنَّ المنفلوطي على وعي بمسارات الحجاج وأصول تأسيسه بحسب ما يستدعيه مقام التلفظ.

وبحسب تصنيف كل من برلمان وتيتيكا، تُظهر خطط الحجاج لدى المنفلوطي جميع أنواع المبادئ العامَّة المشتركة، وهي كالتالي:

٩-١- الوقائع (The facts):

لا تكون الوقائع عرضةً للدحض أو الشك، وتشكِّل نقطة انطلاق ممكنة للحجاج[١]، فما كان من الظواهر مبصرًا يصبح شبيهًا بما يكون من الوقائع والأقوال بالنسبة للمعرفة التصورية[٢]. ومعنى ذلك أنَّ الوقائع تمثل عقدًا ضمنيا لاتفاق على قضية بين المرسل والمتلقي.

وهذا يستدعي أن يكون المحيط المعرفي المشترك لدى المنفلوطي شاملاً لكل الوقائع التي يمكن إدراكها واستنتاجها، وبالتالي فالمعرفة العامَّة التي يكوا لديه، والتي تبدو متراكمة عبر تجاربه وخبراته في الحياة، تساعده على معرفة تلك الوقائع والاعتداد بإمكانٍ وضامن لحجاجه.

ومن أمثلة الوقائع في حجاج المنفلوطي ما يلي:

يخاطبُ المنفلوطي الكُتَّاب ملتمسًا منهم التصدي لمظاهر المدنيَّة الغربية السلبية، فيقول:

-*الأمَّة المصريَّة أمَّةٌ مسلمة شرقية، فيجب أن يبقى لها دينها وشرقيتها ما جرى نيلها في أرضها، وذهبت أهرامها في سمائها*"[٣].

يُصرِّح المنفلوطي في الملفوظ السابق بالمبدأ العام المشترك المتمثل في "الوقائع"، وهو أنَّ "الأمَّة المصرية أمَّةٌ مسلمة شرقية"ومثل هذه المقدِّمة ممَّا يتفق عليه مجموعة من الناس باعتباره واقعًا، وهي ممَّا يعتقد المنفلوطي أنَّه غير قابل للدحض والشَّك، وممَّا يُدركه ويُستنتجه الكاتب والقارئ عبر تراكم الخبرات والتجارب في الحياة، ويمكن تحليل هذا الملفوظ استنادًا إلى تقسيم "تولمن" من خلال ما يظهر في الشكل (٤-٩-١):

---

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٢٤.

(٢) عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير ٥٧.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٤٢/١، من مقالة "المدنية الغربية".

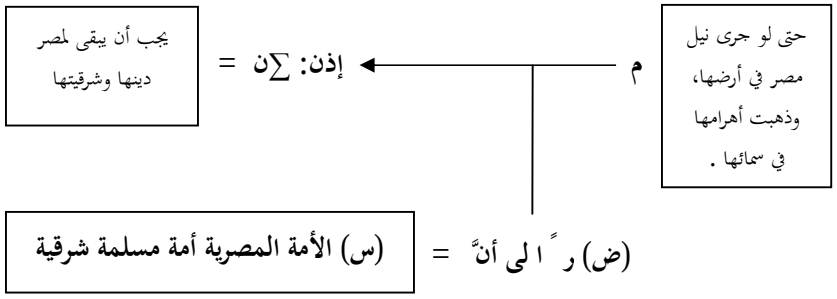

الشكل (٤-٩-١)

٩-٢- الحقائق:

يكمن هذا القسم فيما يمليه الكون من ظواهر خاضعة للتجربة تعدُّ في عرف جماعة الناس من المسلَّمات، أو فيما يمليه المعتقد (الإيديولوجيا)من مفاهيم مستقرَّة في ذهن الفرد أو الجماعة بما لا تقبل الشك.

يعمد المنفلوطي في اتخاذه سندً ا يوجِّه فيه العملية الحجاجية إلى الحقائق وفق نمطين: "ديني، وعلمي" فالديني يكون مداره الحلال والحرام وفق تعاليم الشريعة الإسلامية، وأمَّا العلمي فيركن إلى النظريات المبنية على حقائق علميَّة، ليوظفها كمبادئ مشتركة عامة أو مقدمات لحجاجه.

ومن أمثلة المبادئ القائمة على حقائق دينية ما يلي:

ـ يناشد المنفلوطي من يرجو السعادة في دنياه أن يتلمَّس حاجات الفقراء والبؤساء، و يتحسس دموع الأشقياء رحمةً وشفقةً بحالهم، فيقول:

- "*أيُّها السعداء أحسنوا إلى البائسين والفقراء، وامسحوا دموع الأشقياء، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء*"[(١)].

يصرِّح المنفلوطي في الملفوظ السابق بالمبدأ العام متمثلاً في حقيقة دينيَّة إسلاميَّة جاءت في صورة حديث نبوي شريف "**الراحمون** يرحمُهُم الرَّحمنُ ارحمَوا من في الأرض يرحمَكم من في السَّماء "[(٢)] ويمكن تحليل هذا الملفوظ الحجاجي وفق الشكل (٤-٩-٢):

---

(١) المرجع السابق ٩٦/١، من مقالة "الرحمة".

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي (١٩٤٢) ص ٩٧٧، تحقيق/ زهير الشاويش، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٨هـ.

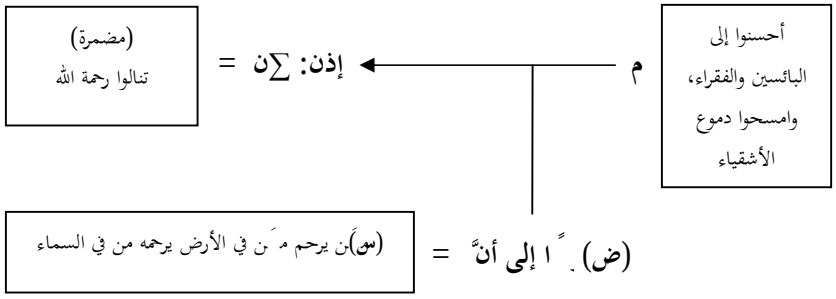

الشكل (٤-٩-٢)

ومن أمثلة المبادئ القائمة على حقائق علميَّة في حجاج المنفلوطي ما يلي:

يخاطب المنفلوطي طالب العلم موجِّهً ا إياه إلى الحرص على فهم واستيعاب ما يتعلَّمه، وليس مجرد حفظه، فيصف من يعتمد الحفظ قائلاً :

- " *الحافظ يحفظ ميلسمع؛ لأنَّه قوي الذاكرة، وقوَّة الذاكرة قدر مشتركٌ بين الذكي والغبي والنَّابه والخامل، لأنَّ الحفظ ملكة مستقلة بنفسها عن بقية الملكات* "[1].

يعتمد المنفلوطي في الملفوظ السابق الحقيقة العلميَّة مبدأً عامً ا في حجاجه، وذلك من خلال توظيفه لنظرية سلوكية، هي نظرية الملكات؛ حيث يجعل من قوله: " الحفظ ملكة مستقلة بنفسها عن بقية الملكات "سندً ا يبني عليه حجاجه باعتباره مقدمةتضفي مقبوليَّة على تسويق الحجَّة والنتيجة، كما في الشكل (٤-٩-٣):

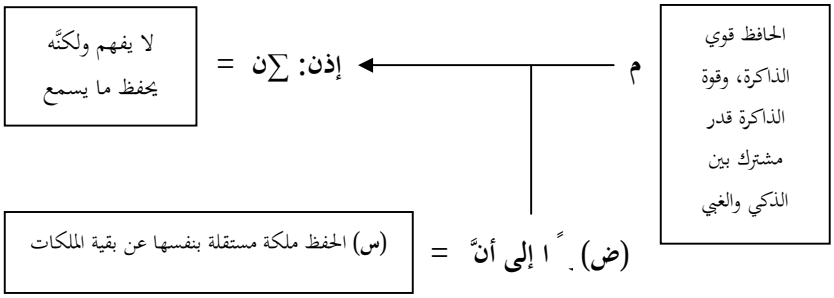

الشكل (٤-٩-٣)

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٤٩/١، من مقالة "النبوغ".

٩-٣- الافتراضات (The presumptions):

ينبغي أن تحظى الافتراضات بالموافقة العامَّة، ولا يتمُّ الإذعان والتسليم بها إلا من خلال عناصر أخرى تقويها، والافتراضات إنمَّا تحدد بالقياس إلى المحتمل[١]، فهيمَّا يمثل تفسيراً يقوم على أطروحة مقترحة مقبولة لدى المشاركين.

ومن أمثلة هذا المبدأ العام في الملفوظ الحجاجي لدى المنفلوطي ما يلي:

ليصف الكاتب فوضى الإحسان في مصر مقترحاً عدَّة أساليب لتنظيمه، بحيث يحقق الغاية منه، فيقول:

- " *الإحسان في مصر كثير، ووصوله إلى مستحقه وصاحب الحاجة إليه قليل، فلو أضاف المحسن إلى إحسانه إصابة الموضع فيه، لما سمع سامع في ظلمة الليل شكاة بائس ولا أنة محزون*"[٢].

يحوي الملفوظ السابق مبدأً حجاجياً عاماً، تمثَّل في "افتراض"، وهذا الافتراض ممَّا يحظى بالموافقة العامَّة؛ حيث يعضِّده حالة الفقر التي ما زالت منتشرة في مصر رغم كثرة الإحسان والمحسنين، ويمكن صياغة المبدأ العام في قول: لو اُفترض أنَّ الإحسان أُضيف إليه تنظيمه لما بقي فقير"، ولتحليل هذا الملفوظ يمكن الاستعانة بالشكل (٤-٩-٤):

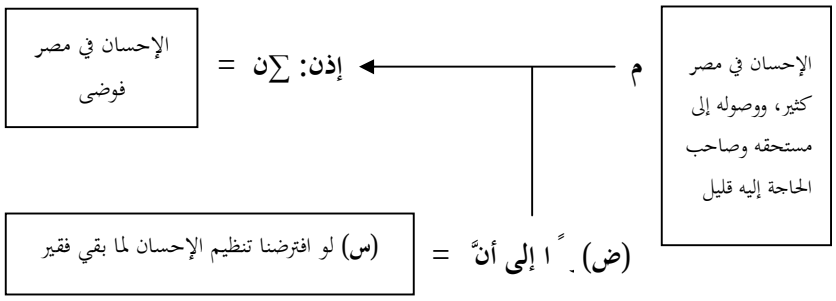

الشكل (٤-٩-٤)

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٢٥.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٤٩/١، من مقالة "في سبيل الإحسان".

٩ - ٤ - القيم (The values):

القيم وإن خلت منها الاستدلالات ذات البعد العلمي إلا أنَّه يعوَّل عليها في جعل السامع يذعن لما يطرح من آراء وهي نوعان قيم مجردة وقيم محسوسة[١].

والمنفلوطي يتخذ من القيم سلمًا يستنهض به إراه فسادًا مجتمعيًا من خلال مفاهيم سامية مرغوبة في الثقافة العربية والإسلاميَّة حفظًا للنظام واستقرارًا للمجتمع؛ حيث تحمل هذه القيم طاقة حجاجيَّة تعمل على توجيه السلوك البشري وتبين له ما يصح ومالا يصح، ويمكن التمثيل لهذا المبدأ من خلال الملفوظ التالي:

ليرى المنفلوطي في منامه أنَّه في مدينة السعادة، وهناك يعجَّب من تواصي الناس بعضهم بعضًا، وحرصهم على الإحسان وعدم الإساءة، فيلتقي شيخًا فاضلاً حكيمًا، فيسأله عن طبيعة أهل المدينة:

-متى يكون المحسن محسنًا والمسيء مسيئًا؟ قال: *الإحسان عمل الخير، والإساءة عمل الشر؛ لذلك لا ترى بيننا من يحدِّث نفسه بالإضرار بأخيه، أو من يقصِّر في دفع الأذى عنه*"[٢].

يقوم الحجاج في الملفوظ السابق على مبدأ عام مشترك يتمثَّل في قيمة مجرَّدة؛ ويمكن توضيح ذلك كما في الشكل (٤-٩-٥):

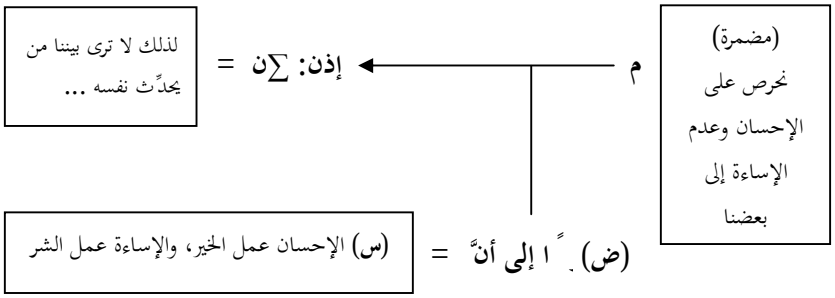

الشكل (٤-٩-٥)

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٢٦.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١/٧٦-٧٧، من مقالة "مدينة السعادة".

٩ - ٥ - الهرميات (The hierarchies):

تعمل الهرميات على تنظيم القيم تراتبيًا، وتقدم الأهم على المهم، والأجدر على الجدير، وبعبارة أخرى تحدد الأولويات بالنسبة للقيم.

إنَّ هرميَّة القيم في البنية الحجاجية أهمُّ من القيم نفسها، وما يميز كلَّ جمهور ليس القيم التي يسلم بها بقدر ما تميزه طريقة ترتيبه إيَّاها[١].

وتُظهر آلية الحجاج لدى المنفلوطي هذا النوع باعتباره تعزيزًا للقيم تلو القيم، وتأكيدًا على أن القيمة -التي هي أقل درجة على أهميَّتها- تحفِّز القارئ إلى ما يعلوها ممَّا هو أهمُّ وأولى، ومن أمثلة هذا المبدأ لديه ما يلي:

ـ يجيب المنفلوطي على سؤال ورده عبر بريد القراء حول رأيه في الزواج من المرأة البغي، فيشير إلى أنَّ الباعث إذا كان الرحمة والرأفة فهو من الإحسان، ثمَّ يقول:

العِرضُ" أثمن من الحياة، فإذا كان من يمُنح الحياة فاقدها شريفًا، فأشرف منه من يرد العِرضَ الضَّال إلى صاحبه المفجوع منه"[٢].

يتَّخذ المنفلوطي في الملفوظ السابق إحدى القيم العليا في الثقافة العربية والإسلامية وهي "شرفُ العِرض" كمسلَّمة أعلى من قيمة أخرى تتمثَّل في "شرف الحياة" مع ما لهذه الأخيرة من أهميَّة إلا أنَّها تبدو معززة لقيمة تعلوها في سُلَّميَّة القيم، فيجعل من القيمة الأعلى مبدأ عامًا مشتركًا في حجاجه، ويمكن تحليل هذا الملفوظ الحجاجي بالاستعانة بالشكل (٤-٩-٦):

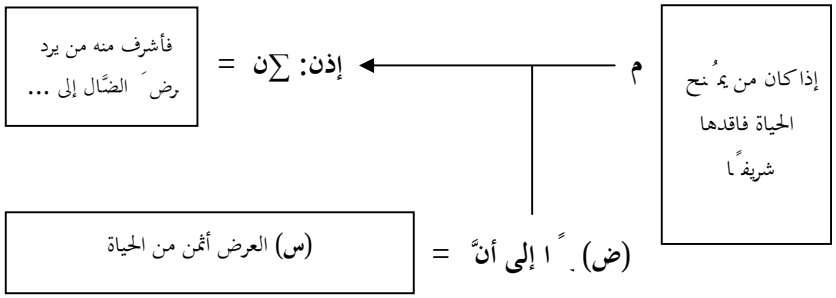

الشكل (٤-٩-٦)

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٢٦.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٢٤/١، من مقالة "الإحسان في الزواج".

٩-٦- المواضع (The positions):

تشكِّل المواضع الرافد الأكبر في تأسيس المبادئ العامَّة المشتركة في حجاج المنفلوطي، فلا يكاد مقال يخلو من موضع، وهي ممَّا يأخذ صبغة جدلية، أي أنَّها أقرب إلى الرأي منها إلى المسلَّمات، وتخضع للكمِّ والكيف والترتيب والتفضيل، فالثابت الباقي -على سبيل المثال- أفضل من المتغير الزائل، والحي أولى من الميت، والكثرة تغلب الشجاعة، ومن يصل إلى المحطَّة أولاً يكون أولى بالصعود إلى الحافلة، ومن أمثلة المواضع الكيفيَّة في حجاج المنفلوطي ما يلي:

ـ يصف المنفلوطي أحوال بعض النساء البائسات في مصر، فيقول:

- "*إنَّ المرأة المصرية شقية بائسة، ولا سبب لشقائها وبؤسها إلا جهلها وضعف مداركها*"(١).

يعمد المنفلوطي في الملفوظ السابق إلى توظيف مبدأ عام تمثَّل في "موضع كيف" لينطلق منه إلى حجاجه؛ حيث يظهر المبدأ في صورة جدلية، ويبدو كما لو كان رأياً يؤسس به للحجَّة وصولاً إلى النتيجة المقصودة، ويمكن توضيح البعد الحجاجي في هذا الملفوظ من خلال الشكل (٤-٩-٧):

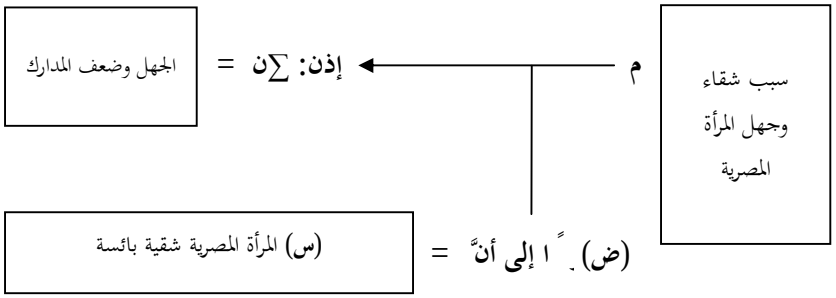

الشكل (٤-٩-٧)

ومن أمثلة مواضع الكمِّ ما يلي:

ـ يخاطب المنفلوطي القارئ متعجباً من لؤم البخيل وخبث طينته، فيقول:

- "*فإن النفس إذا خبثت طينتها ولؤم طبعها كان من أخص صفاتها الحقد على الوجود بأجمعه وبغض الخير للناس قاطبة، فكيف بمنحهم من ذات يده ما يزيده ألما على ألم وحسرة فوق حسرة، وهو لو استطاع أن يكف عنهم سارية السماء ويعترض دوم نابتة الأرض لفعل؟*"(٢).

---

(١) المرجع السابق ٢٢٤/١، من مقالة "البائسات".

(٢) المرجع السابق ٢٣٤/١، من مقالة "البخيل".

ينطلق الحجاج في ملفوظ المنفلوطي السابق من "موضع كم" يمكن تمثُّله بإعادة صياغة المبدأ العام: "كلما خبثت طينة النفس ولؤمت زادت حقداً على الوجود"، ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل (٤-٩-٨):

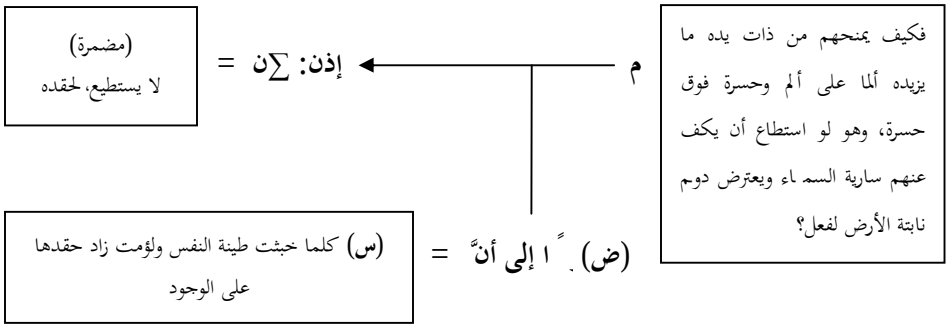

الشكل (٤-٩-٨)

ومن أمثلة موضع الترتيب والتفضيل:

ـ يجيب المنفلوطي على سؤال ورده عبر بريد القراء حول رأيه في الزواج من المرأة البغي، ويشير إلى أنَّ الرجل إذا امتنع عن الزواج من امرأة بغي فليحل بينها وبين البغاء، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالإحسان إليها من خلال الزواج قبل أن تصير إلى ما صارت إليه، دون الحرص على ذات الحسب والجمال والمال بقدر الحرص على سترها وعفافها، يقول:

- "*أحقُّ النساء بالإحسان أولئك اللواتي سلبهن الله نعمة الجمال والمال، وحيلة الحسب والنسب*"[1]. ويمكن توضيح هذا المبدأ من خلال الشكل (٤-٩-٩):

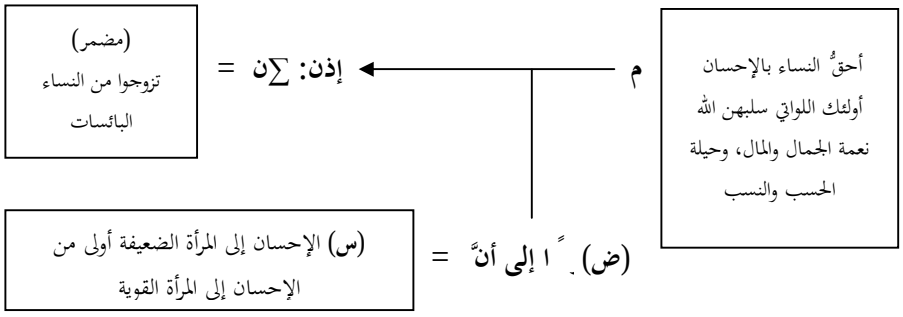

الشكل (٤-٩-٩)

(١) المرجع السابق ٢٢٦/١، من مقالة "الإحسان في الزواج".

١٠ - الاستراتيجيات الحجاجية:

يُعدُّ الحجاج -من زاوية كونه آلية اختبار نظرية-بنيةً مركَّبة متفاعلة مع مقامات التلفظ تعمل على توليد العديد من الإسقاطات على العالَم الممكن، والمرسل بحاجة ماسَّة إلى مثل هذه الإسقاطات التي تحقق له الغاية من حجاجه.

وعليه، فالاستراتيجيات الحجاجية تشكِّل نوعًا من هذه الإسقاطات، وبعبارة أخرى، هي هدف مرحليٌّ قصير المدى يتوسلهُ ويتذرَّع به المنفلوطي للوصول إلى النتائج ، وهذا يرتقي من طور الفكرة (الاستراتيجية) إلى طور الفعل الإقناعي والتأثيري، كما أنَّها تُعدُّ مركز الجذب في مقالاته وتقوم برسم وتشكيل طاقة الحجاج فيها، ومن ثمَّ تحقيق الغاية الكبرى التي من أجلها تمَّ تأسيس الحجاج، والمتمثلة في تحقق الإقناع والتأثير على القارئ، فهي استرسالات وإجراءات تأويلية يتوخَّاها في نصوصهتُدرك عبر فضاء وإطار خطابيين، ويستقبلها القارئ باعتبارها إجراءات خاضعةللعالم الممكن بعد فكِّ رموزها.

وبالرغم من أهمِّية دور الاستراتيجية في الحجاج إلا أنَّ اختيار الاستراتيجية قد يبدو أمرًا بديهيًا؛ ذاك أنَّه من الأمور الملازمة للعمل الإنساني، سواءً شعر به وخطط له أم لم يشعر به، ولكن تبقى معرفة الإنسان بذاته وإمكاناته من أهمِّ المرتكزات التي تحدد تأليف ذلك المنطق الاستراتيجي(١).

ومن المهمِّ قبل الولوج إلى استرتيجيات الحجاج لدى المنفلوطي الإشارة إلىدراسة كلٍّ من برلمان وتيتيكا لتقنيات الحجاج، وتقسيمهاطرائق اتصاليَّة تتضمن حججًا منطقية، وحججًا مؤسسة على بنية الواقع، وأخرى مؤسسة لبنية الواقع، وإلى طرائق انفصالية تقوم على الفصل بين المفاهيم(٢).

وبناءً على ما تقدَّم، يمكن تقسيم استراتيجيات الحجاج في كتاب النظرات إلى قسمين:

١- الاستراتيجية كوسيلة.

٢- الاستراتيجية كغاية.

---

(١) الشهري، ظافر بن عبدالهادي، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقاربة تداولية ١٠٦-بتصرف-.

(٢) انظر صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٤١-٦٦.

١٠ - ١ الاستراتيجية كوسيلة.

لا قيمة فعلية للاستراتيجية إن لم تكن قابلة للتحقيق،وإن لم يؤخذ في الحسبان عددًا من الوسائل التي ترتقي بها من مجرَّد طور الأفكار إلى فاعليَّة طور الأفعال، وهذا النوع هو الأكثر في الحجاج.

١٠-١-١ عدم الاتفاق:

وهي من الحجج شبه المنطقية، وتتمثَّل في وضع ملفوظين على المحك الواقع والظروف أو المقام لاختيار إحدى الأطروحتين وإقصاء الأخرى كونها خاطئة[١]. ومن أمثلتها:

ـ يحكي المنفلوطي قصة صديقه الذي التقى صيادًا فقيرًا قنوعًا بما آتاه الله، فيتعجب الصديق من زعم الصياد أنَّه أسعد الناس، فيقول له:

ما أرى إلا أنَّك شيخ قد اختلس عقله، كيف تعدُّ نفسك سعيدًا وأنت حافٍ غير منتعل، وعارٍ إلا قليلاً من الأسمال البالية، والأطمار السحيقة؟ "[٢].

يُظهر الملفوظ السابق توظيف استراتيجية عدم الاتفاق في حجاج صديق المنفلوطي مع الصياد، فهو يضع من خلال سؤاله سعادة الصياد وتعاسته على المحك مختارًا التعاسة له ومقصيًا السعادة؛ حيث من التناقض من وجهة نظره أن يبدو الحافي العاري سعيدًا.

١٠-١-٢ المفارقة:

وهي طرائق تفرزها بيِّنة الواقع، وتستعمل في الاستدلال لتثير وتصدم أفكار ومعتقدات الإنسان، وتشوش رأيه الخاص والعام تجاه قضايا اجتماعية وثقافية (...) وبذلك تهدف إلى وضع مجموعة من القيم والحقائق موضع تصادم وتفارق، وتدفع إلى إعادة التفكير في أسسها وخلفياتها وغاياتها للوصول إلى استنتاج جديد وتأويل مناسب[٣]. ومن أمثلتها ما يلي:

ـ يحكي المنفلوطي ما شاهده ذات ليلة عندما التقى برجل بائس فقير وآخر صديق غني، فيقول:

---

(١) المرجع السابق ٤٣.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٦١/١، من مقالة "الصيَّاد".
والمراد بالأسمال والأطمار الثياب البالية الخلقة.

(٣) عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير ١٨٩.

- "*مررت ليلة أمس برجل بائس فرأيته واضعا يده على بطنه كأنما يشكو ألما فرثيت لحاله وسألته ما باله فشكا إلى الجوع ففثأته*[1] *عنه ثم تركته، وذهبت إلى زيارة صديق لي من أرباب الثراء والنعمة فأدهشني أني رأيته واضعا يده على بطنه، وأنه يشكو من الألم ما يشكو ذلك البائس الفقير، فسألته عما به فشكا إليَّ البطنة فقلت: يا للعجب! أعطى الغنيُّ الفقيرَ ما فضل عن حاجته من الطعام ما شكا واحد منهما ألما، لقد كان جديرًا به أن يتناول من الطعام ما يشبع جوعته. ويطفئ غلته، ولكنه كان محبا لنفسه مغاليا فضم إلى مائدته ما اختلسه من صفحة الفقير*"[2].

يوظِّف المنفلوطي في حجاجه السابق استراتيجية المفارقة في صورة اجتماعية عمل من خلالها على إثارة اصطدام الأفكار، فالفقير يتألمَّ من بطنه والغني يتألم من بطنه أيضًا، غير أنَّ الأول يشكو الجوع والثاني يشكو الشبع ومثل هذه الصورة تحدث نوعًا من المفارقة يدفع المنفلوطي من خلالها إلى إعادة تقييم الفكرة، وهي أنَّ الغني لو أعطى الفقير ما فضل عن حاجته من الطعام لما شكا أحدٌ منهما.

١٠-١-١٣-الحجَّة التقويمية:

تتمثل في إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل أن يجرِّد من نفسه ذاتًا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه[3]. وكأنَّه يتوقَّع ردَّة فعل المتلقي باعتبار ذاته أوَّل متلقٍ، فيسبق إلى إيجاد مخرج له يقلل من إمكانات التأويلات والتفسيرات الخاطئة. ومن أمثلته:

يرى المنفلوطي أنَّ الفضيلة شيءٌ غائب غير موجود، وأنَّه فتَّش عنها في كلِّ مكان هو مظنَّة وجودها فلم يعثر لها على مكان:

- "*سيقول كثير من الناس قد غلا الكاتب في حكمه، وجاوز الحد في تقديره، فالفضيلة لا تزال تجد في صدور كثير من الناس صدرًا رحبًا، وموردًا عذبًا، وإني قائل لهم قبل أن يقولوا كلمتهم: إني لا أنكر وجود الفضيلة، ولكني أجهل مكانا، فقد عقد رياء الناس أمام عيني سحابة سوداء، أظلم لها بصري حتى ما أجد في صفحة السماء نجما لامعًا، ولا كوكبًا طالعًا*"[4].

---

(١) فثأته عنه أي كسرت حدَّة حاله وواسيتُه وهوَّنت عليه.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٧٠/١، من مقالة "الغني والفقير".

(٣) عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ٢٢٨.

(٤) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٦٧/١، من مقالة "أين الفضيلة".

يجرِّد المنفلوطي من نفسه ذاتًا أخرى وينزلها منزلة المعترض مسبقًا على رأيه المتمثِّل في غياب الفضيلة، وكأنَّه يتوقَّع ردَّة فعل المتلقي المتمثِّلة في كون الكاتب مغاليًا ومبالغًا فيما يدَّعي، من خلال قوله: "سيقول كثير من الناس ..." ويحاول أن يستبق التأويلات والتفسيرات الخاطئة التي قد يتَّبعها المتلقي، ومن ثمَّ يبرِّر وجهة نظره بشكل أكثر تفصيلاً يوضِّح فكرته متعذرًا بأنَّ النفاق والفساد قد حجباعنه كلَّ مظاهر الفضيلة.

١٠-١-٤ العلاقة التبادلية (قاعدة العدل):

وهي من الاستراتيجيات التي تعتمد على البنى المنطقية، وتتمثل في معالجة وضعيتينُستدلُّ بإحداهما على الأخرىوهو ما يعني أنَّ تينك الوضعيتين متماثلتان وإنْ بطريقة غير مباشرة (...) وقاعدة العدل هي تلك القاعدة التي تقضي معاملةً واحدةً لكائنات أو وضعياتٍ داخلة في مقولة واحدة[١]، ومن أمثلتها:

ـ يخاطب المنفلوطي الإنسان حاثًا إيَّاه على الرفق والرحمة بالحيوان فيقول:

- *ارحم الحيوان؛ لأنَّه يحسُّ كما تحس، ويتألَّم كما تتألم، ويبكي من غير دموع، ويتوجَّع ولا يكاد يُبين* "[٢].

يقوم الحجاج في الملفوظ السابق على قاعدة العدل؛ حيث يعالج المنفلوطي وضعيتين لكائنين، الأول هو الإنسان، والثاني هو الحيوان، وكلاهما روح تحس وتتألَّم وتبكي وتتوجَّع، وبينهما علاقة تبادلية تقضي معاملة ذوات الأرواح من حيث الرحمة معاملة واحدة.

١٠-١-٥ التعدية:

وهي استرتيجية تعتمد على البنى شبه المنطقية، وتعدُّ خاصيَّة شكلية تتصف بها ضروب من العلاقات التي تتيح إثبات أنَّ العلاقة القائمة بين (أ) و (ب) من ناحية و (ب) و (ج) من ناحية أخرى هي علاقة واحدة، ومن ثمَّ استنتاج أنَّ العلاقة القائمة نفسها موجودة بالتالي بين (أ) و (ج)[٣]. وبمعنى آخر،فإنَّ علاقة التعدية تقتضي تجاوز القضية إلى غيرها، وكأنَّ ما ينطبق على شيء ينطبق على آخر.

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٤٥.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٩٥/١، من مقالة "الرحمة".

(٣) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٤٤.

ومن أمثلتها:

ـ ينام الكاتب فيرى أنَّه قد بلغ يوم الحساب، وهناك يجد شيخ الإسلام محمد عبده ورجل المرأة في مصر قاسم أمين يتماحكانفي القول، ويلقي كل منهما باللائمة علىالآخر، فيعاتب أمينُ عبده بأنَّه كان سببًا في إلحاد الكثير من الناس المخرفين بعد أن حاول أن يفتح أذهلم على أمور في الدين، وأنَّ دينًا خرافيًا خير من لا دين، فيقول:

ـ*أوَّلت لهم بعض آيات الكتاب فاتخذوا التأويل قاعدة حتىَّ أوَّلوا الملك والشيطان والجنَّة والنار*"[1].

يشير الملفوظ السابق إلى أنَّ ثمَّة علاقة قائمة في قضية ما تجاوزت وتعدَّت إلى غيرها آخذةً حكمها، ويمكن تحليل هذه العلاقة وفق التالي:

(أ) تأويل ← (ب) بعض آيات الكتاب.

إثبات العلاقة الواحدة:

(ب) بعض آيات الكتاب ← (ج) الملك والشيطان والجنَّة والنار.

علاقة التعدية:

(أ) تأويل ← (ج) الملك والشيطان والجنَّة والنار.

فالتأويل الذي اتخذه شيخ الإسلام محمد عبده لبعض آيات القرآن يمثِّل علاقة قائمة، فأُثبتَ أنَّ ثمَّة علاقة بين آيات القرآن والملك والشيطان والجنَّة والنا وبناءً على ذلك تمَّ استنتاج العلاقة الأولى القائمة نفسها، وكأنَّه ما دام تأويل آيات الكتاب سائغًا فلا باس من تعدية التأويل على الملك والشيطان والجنَّة والنار.

١٠-١-٦ تحصيل الحاصل:

وتعتمد على بنى شبه منطقية، وهي ليست سوى طريقة شكلية يتمُّ توخيها في تقويم شيء ما تقويمًا إيجابيًا أو سلبيًا بواسطة الحشو، وكأنَّ دلالتها محددةسلفًا ومعلومة مسبقًا، ويحددها المقام[2].

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٥٤/١، من مقالة "يوم الحساب".

(٢) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٤٤-٤٥-بتصرف-.

وأفضل الأمثلة عليها الملفوظان التاليان لدى المنفلوطي:

ـ يخاطب الناظمين الذين يخلو شعرهم من الأحاسيس والمشاعر:

- "لا *تظنُّوا أنَّ الشعر كما تظنون*"(١).

ـ يستنكر المنفلوطي غياب معاني الشرف بين الناس وعدم إدراك معناه الحقيقي، فيقول:

- "*يسرق السارق،ويزوِّر المزور،ويخون الخائن، وفي اعتقاد كلٍّ منهم أنَّ الشرف كل الشرف في إحراز المال وإن كان السبيل إليه دنيئًا*"(٢).

يشتمل الملفوظان السابقان على استراتيجية تحصيل الحاصل، ففي الملفوظ الأول يوجِّه الناظمين بأن لا يظنُّوا كما يظنُّون، وكأنَّ هذا النمط نوع من الحشو يقوِّم من خلاله ظاهرة دلَّ عليها مقام التلفظ، وشَرَحَت ماهية الظن المتمثلة في خلو ما ينظمونه من الأحاسيس والمشاعر، ظنا منهم أنَّ ما يقومون به شعرًا.وأمَّا الملفوظ الثاني فبدت فيه ألفاظٌ من قبيل "يسرق السارق" و "يزوِّر المزور" و "ويخون الخائن" شكلاً من تحصيل الحاصل، فمن يسرق فهو سارق، ومن يزوِّر فهو مزوِّر، ومن يخون فهو خائن، غير أنَّ هذا النمط الذي جاء في سياق الحديث عن الشرف يعطي الحجاج طاقةً حجاجيَّة تأكيديَّة على فظاعة صنيع السارق والمزور والخائن باعتقادهم أنَّ ما يقومون به لون من ألوان الشرف رغم دناءته.

١٠-١-٧ إدماج الجزء في الكل:

وهي استراتيجية تقوم على بنية شبه منطقية تعتمد العلاقات الرياضية، ويكون الحجاج قائمًا على النموذج التالي: ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء(٣). ومن أمثلته:

ـ يتحدَّث المنفلوطي عن فضل الصدق:

-*وقرأتُ ما كتبه حكماء الأمم من عهد آدم إلى اليوم ..وإجماعهم أنَّ الصدق فضيلة الفضائل والأصل الذي تتفرَّع عنه جميع الأخلاق الشريفة والصفات الكريمة*"(٤).

فالمنفلوطي يبني حجَّته على كون الصدق هو الكلُّ الذي تندمج فيه بقيَّة الأخلاق الشريفة.

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٣١/١، من مقالة "الناظمون".

(٢) المرجع السابق ١٨٢/١، من مقالة "الشرف".

(٣) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٤٧.

(٤) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٢١/١، من مقالة "الصدق والكذب".

١٠-١-٨ التقسيم:

وهي أيضًا- استراتيجيةتقوم على بنية شبه منطقية تعتمد العلاقات الرياضية، ويمكن تصوُّر الكل على أنَّه مجمل أجزائه التي تبنى عليه طائفة من الحجج، وتكمن غاية التقسيم بحسب برلمان في البرهنة على وجود لموع ومن ثمَّة تقوية الحضور، بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه(١). ومن أمثلة هذه الاستراتيجية في ملفوظات المنفلوطي:

ـ يخاطب المنفلوطي طالب العلم ويرشده إلى السبل الكفيلة بنبوغه، ويحاول أن يبين له أهميَّة الفهم وعدم الركون إلى الحفظ فقط:

- " *العلم علمانعلمٌ محفوظ، وعلم مفهوم، أمَّا العلم المحفوظ فيستوي صاحبه فيه مع الكتاب المرقوم، ولا فرق بين أن تسمع من الحافظ كلمة، أو تقرأ في الكتاب صفحة، فإن أشكل عليك شيء ممَّا تسمع، فانظر إن نطق الكتاب بشرح مشكلاته، نطق الحافظ بتفسير كلماته*"(٢).

يقوم الحجاج في الملفوظ السابق على التقسيم باعتباره استراتيجيةتقوِّي الحضور، وكان بإمكان المنفلوطي أن يشير إلى أهميَّة الفهم في طلب العلم وسوء الاكتفاء بالحفظ فيه، غير أنَّه صرَّح بالتقسيم ليشعر بوجود أجزائه بين طلبة العلم فيسهل عليه توجيه الحجاج.

١٠-١-٩ التعريف:

يختلف التعريف وفق الآليات الحجاجيَّةالخاضعة لمفهوم التداولية عنه في التوجُّه الصوري الخاضع للتجريد المنطقي الذي يحوي أبعادًا إدراكيَّة وغرضيَّة ووظيفية؛ ذاك أنَّ البعد الحجاجي يقوم على وسائل تكتيكيَّة تستدرج القارئ وتجعله ينساق بسهولة إلى الإذعان والاقتناع؛ لذا فإنَّ استراتيجية التعريف في لحجاج لا تعتمد على الموضوعيَّة، بل تتخذ نمطًا نسبيًا، يتَّجه فيه الكاتب إلى إعقابه ببعض التفاصيل كي يحقق المراد منه.

وقريب منه ما وصفه عبدالسلام عشير بالتعريف الموجَّه الذي تبنى فيه المفاهيم عن طريق اللعب بالكلمات وترتيبها في قالب جديد، وفي صورة قوليَّة لامعة(٣).

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٤٨-بتصرف-.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٤٩/١، من مقالة "النبوغ".

(٣) عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير ١٤٥.

ومن أمثلة استراتيجيَّة التعريف:

يخاطب المنفلوطي القارئ مشيراً إلى نسبيَّة الجمال، فما هو جميل لدى أحدهم ليس بالضرورة أن يكون جميلاً لدى آخر، ويبدأ مقالته معرِّفاً الجمال، فيقول:

-*الجمال هو التناسب بين أجزاء الهيئات المركَّبة، سواءً أكان ذلك في الماديَّات أم في المعقولات، وفي الحقائق أم في الخيالات* "[1].

تبدو الاستراتيجية الحجاجية في الملفوظ السابق مقدمةً يؤسس المنفلوطي فيها لحجج تليها، وهذا التعريف الذي يسوقه للجمال لا يخضع للمنطقالصوري بقدر ما هو نسبيٌّ ذو بعد تداولي حجاجي، ولهذا فإنَّ المنفلوطي يتَّخذ منه وسيلةً لتناول التذوق في الشعر والأدبلاحقاً، ثمَّ يعترف بأنَّه لا قاعدة محدَّدة لذلك التناسب الذي وضعه مقياساً للجمال.

١٠-١-١٠ الوصل السببي:

وهذه الاسترتيجيةتعتمد على الحجاج المؤسس على بنية الواقع، وتعدُّ شكلاً من أشكال الاتصال التتابعي، فهي إمَّا أن ترمي إلى الربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي، أو إلى استخلاص من حدث ما وقع سببٌ أحدثه وأدَّى إليه، أو إلى التكهن بما سيترتب على حدث ما من نتائج، وهذا الوصلإمَّا أن يكون متَّجهاً من الحجَّة (ح) إلى النتيجة (∑ن) أو العكس[2]. ومن أمثلته:

يخاطب المنفلوطي القارئ محذراً من الاستهانة بالكذب كونه أصل الرذائل، فيقول:

-*المنافق كاذب؛ لأنَّ لسانه ينطق بغير ما في قلبه، والمتكبِّر كاذب؛ لأنه يدَّعي لنفسه منزلة غير منزلته، والفاسق كاذب؛ لأنه كذب في دعوى الإيمان ونقض ما عاهد الله عليه، والنمَّام كاذب؛ لأنَّه لم يتقِ الله في فتنته ...* "[3].

يعمل المنفلوطي في الملفوظ السابق على تأسيس الحجاج وفق استراتيجيَّة تتابعية سببية توظِّف رابطاً سببياً (لأنَّه)، وتربط بين حدثين كلاميينحيث يبدو الحجاج متَّجهاً من النتيجة (∑ن) = "المنافق كاذب"إلى الحجَّة (ح) = "لسان المنافق ينطق بغير ما في قلبه".

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١/١٧٠، من مقالة "الجمال".

(٢) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٤٩-٥٠-بتصرف-.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١/١٧٤، من مقالة "الكذب".

١٠-١-١١الحجَّة التواجديَّة:

وتنعقد على بنية الواقع، ومركزها الشخص وأعماله، فالإنسان في الحجاج ذو صفات معيَّنة، وهو منشئ لأعمال وأحكام معيَّنة، وكذلك هو موضوع تقييم من قبل الآخرين في ضوء تلك الأعمال والأحكام(١). ومن أمثلة هذه الاستراتيجية في ملفوظات المنفلوطي:

ـ يجيب المنفلوطي على أحد قرائه الذين تحمَّلوا كبيرًا في سبيل تمسُّكهم بالصدق، فيقول:

- " لا *يستطيع الرجل الفاضل أن يبلغ غايته من عيشه إلا إذا استطاع أن ينزل من نفوس الناس منازل الحب والإكرام*"(٢).

فالملفوظ السابق يحوي استراتيجيةً مبنيَّة على الشخص وأعماله؛ إذ يمكن القول بأنَّ الرجل الفاضل بوصفه شخصًا لا ينزل من نفوس الناس منازل الكراهيَّة واللؤم. والقدرة على العيش بالنزول من النفوس منازل الحبِّ والكرم من الأعمال التي تمثِّل أفضل التجليات لصور الفضيلة.

١٠-١-١٢ السلطة:

وهي استراتيجية تعتمد على بنية الواقع، وتعتمد على النفوذ والسطوة، وتختلف السلطة وتتعدد تعددًا كبيرًا، فقد تكون دينية، أو سياسية، أو علمية، أو ثقافيَّة، وعادة لا تكون الحجَّة في استرتيجية السلطة بمعزل عن حجج مكمِّلة ومعضِّدة لها(٣). ومن أمثلتها:

يخاطب المنفلوطي المسلمين، محذرًا إياهم من التعدِّي على أهل الذمَّة، بناءً على ما أشيع من قيام بعض المسلمين في ولاية أطنة العثمانية بقتل المسيحيين والتمثيل بهم في عام ١٩٠٩م، ومبينًا لهم أنَّ الحروب في صدر الإسلام لم تكن بداعي التشفي والانتقام، بل لحماية الدعوة، ويستدل على ذلك بقوله:

- "*آية ذلك أنَّ السريَّة من الجيش ما كانت تخطو خطوة واحدة (...) حتى يصل إليها أمر الخليفة القائم أن لا تزعج الرهبان في أديرم، ولا القساوسة في صوامعهم*"(٤).

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٥١.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٢٨/١، من مقالة "الصدق والكذب".

(٣) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٥٢-بتصرف-.

(٤) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٢٩/١، من مقالة "لا همجية في الإسلام".

ليستهجن المنفلوطي قصَّة قرأها لأحد الكُتَّاب صوَّر فيها صنيع امرأة خانت زوجها وعاشت في منزل عشيقها بأنَّه طهارة وليس زنا:

- *هذا هو الزواج وهذه حكمته، فمن أراد أن يجعل الحبَّ قاعدة العشرة بدلاً من الزواج، فقد خالف إرادة الله وحاول أن يهدم ما بناه ليهدم هدمه السعادة البيتية*"[1].

يتضمَّن الملفوظ الأول استراتيجيَّة حجاجية بالسلطة السياسية، وتتمثَّل في أمر الخليفة بعدم التعدِّي على الرهبان والقساوسة في أديرهم وصوامعهم، وهذه الحجَّة القائمة على السلطة السياسية لم تكتفِ بذاتها، بل إنَّها قائمة على ما يعضِّدها وهو سماحة الدين الإسلامي.

وأمَّا الملفوظ الثاني فينطوي على استراتيجيَّة حجاجية بالسلطة الدينية، وتتمثل في كون المرأة إذا خانت زوجها واختلفت عنه إلى غيره وهي على ذمَّته فقد عصت ربها و واطأت الزنا، ثمَّ يعضِّد المنفلوطي حجَّته بأنَّ مثل صنيع هذه المرأة يؤدِّي إلى هدم السعادة الزوجيَّة، وبالتالي هدم الأسرة.

١٠-١-١٣ الاتصال الرمزي:

وتتمثَّل في كون قيمة الرمز ودلالته تستمدان ممَّا يوجد من ترابط واتصال تزامني بين الرامز والمرموز إليه، فالعلاقة بينهما علاقة مشاركة، وتقوم على انتقال من الرمز إلى ما يرمز إليه[2]. ومن أمثلتها:

يخاطب المنفلوطي القارئ متعجِّبًا من إعجاب بعضهم بكتابات الفيلسوف التاريخي اللورد كرومر عن الإسلام، فيقول:

- "*من قرأ كتاب اللورد كرومر (مصر الحديثة) يُخيَّل إليه أنَّه يسمع صوت راهب في صومعته قد لبس قلنسوته ومسوحه وعلَّق صليبه في زنَّاره*"[3].

يحوي الملفوظ السابق عدَّة رموز تمَّ توظيفها كاستراتيجيَّة حجاجية، وهي:

الرموز= (قلنسوة+مسوح+صليب) ⟵ المرموز إليه= (الديانة المسيحيَّة).

---

(١) المرجع السابق ١٨٩/١، من مقالة "الحب والزواج".

(٢) انظر صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٥٣.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٩٢/١، من مقالة "الإسلام والمسيحيَّة".
والزنَّار هو حزام يشدُّ إلى الوسط.

١٠-١-١٤ حجَّة التبذير:

تعتمد على بنية الواقع، وتتمثَّل في قول برلمان: "بما أنَّنا شرعنا في إنجاز هذا العمل وضحَّينا في سبيله بما لو أعرضنا عن تمامه لكان مضيعة للمال وللجهد، فإنَّه علينا أن نواصل إنجازه"(١)، وبصورة أخرى يمكن تمثُّله في قول: ما دمنا قد بدأنا فعلينا أن نكمل. وكأنَّ هذه الاسترتيجية تجعل من الجهد المبذول سلفًا حجَّة للاستمرار ببذل مزيد من الجهد، ومن أمثلتها:

يخاطب المنفلوطي القارئ متعجبًا من غياب الفضيلة لدى التاجر الذي هو في حقيقته لصٌّ في ثوب تاجر، فيقول:

- "*ولو وكل إلي أمر القضاء ما هان عليَّ أن أعاقب لصوص الدراهم، وأغفل لصوص الدنانير ما دام كل منهما يسلبني مالي ويتغفلني عنه*"(٢).

فلو وكل القضاءإلى الكاتب، ومادام كلٌّ من اللص والتاجر يسلبه ماله، فعليه إذا ما حكم على اللص بالعقاب أن يشمل التاجر معه، وكأنَّ الحكم على اللص يبرر إكمال القضية بالحكم على التاجر.

١٠-١-١٥ الحجَّة بالمثل:

تعتمد هذه الاستراتيجيَّةعلى بنية الواقع، وتفترض اتفاقًا مسبقًا على إمكانية التعميم بعد التخصيص، والأمثال بنيات مستمدة من الواقع الماضي بما يختزله من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية ذات قيم مجتمعيَّة تحظى باهتمام الأفراد(٣). ومن أمثلة هذه الاسترتيجية:

يتعجَّب الكاتب من الفقير الذي يشكو ألم بطنه جوعًا، ومن الغني الذي يشكو ألم بطنه من التخمة، فيقول قاصدًا الغني بقوله:

- *لقد كان جديرًا به أن يتناول من الطعام ما يشبع جوعته. ويطفئ غلته، ولكنه كان محبا لنفسه مغاليا، فضم إلى مائدته ما اختلسه من صفحة الفقير، فعاقبه الله على قسوته بالبطنة حتى لا يهنئ للظالم ظلمه، ولا يطيب له عيشه، وهكذا يصدق المثل القائل: بطنة الغني انتقام لجوع الفقير*"(٤).

---

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٥٠.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٦٤/١، من مقالة "أين الفضيلة".

(٣) قدور، عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٤٦.

(٤) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٧٠/١، من مقالة "الغني والفقير".

يستشهد المنفلوطي بالمثال السابق "بطنة الغني انتقام لجوع الفقير"؛ حيث ينتقل فيه من التخصيص إلى تعميم التجربة على الحادثة التي تراءت أمامه؛ حيثشكّل قصَّة المثل واقعًا ماضيًا تمَّ استدعاه وإسقاطه على موقف مشابه.

١٠-١-١٦ الاستشهـاد:

يعدُّ الاستشهاد استراتيجيَّة مبنيَّة للواقع تعمل على تقوية درجة التصديق بقاعدة ما معلومة، وذلك بتقديم حالات خاصَّة توضِّح القول ذا الطابع العام، وتقوِّي حضور هذا القول في الذهن، وعلى هذا فالاستشهاد يؤتى به للتوضيح[١]،والاستشهاد يأتي بعدَّة أشكال، فقد يأتي في صورة قصَّة أو بيت شعر أو موقف ما، ومن أمثلته في صورة القصة لدى المنفلوطي:

ـ يستشهد المنفلوطي بقصة أثناء تناوله الأسباب المودية إلى غرس البخل في نفس البخيل، فيذكر منها: فساد اتمع؛ حيث بلغ حبُّ المال في نفوس كثير من الناسأن صاروا يعظِّمون صاحبه لا لفائدة يرجوا سوى كونه ذا مال، ولذلك يستطيب البخلاء منهم ذلك، يقول:

- "*ومن هنا قال رجل لآخر: يا بخيل، فقال له:لا أحرمني الله بركة هذا الاسم، فإنيِّ لا أكون بخيلاً إلا كنت غنيًا، فسمِّ لي المال ولقبني بما تشاء*"[٢].

١٠-١-١٧ النموذج أو القدوة:

ومدار هذه الاستراتيجية يقوم على كائنٍ نموذج يصلح على صعيد السلوك لا لتأسيس قاعدة عامَّة فحسب، وإنمَّا يصلح كذلك للحض على عمل ما اقتداءً به ومحاكاة له ونسجًا على منواله[٣].

ومن الأمثلة على هذه الاستراتيجية:

ـيخاطب الكاتب القارئ موجهًا إياه إلى ضرورة الاقتداء بالنبي محمد **r** في حلمه وسعة أمله:

- "*إنَّ حياة النبي* ***r*** *أعظم مثال يجب أن يحتذيه المسلمون للوصول إلى التخلُّق بأشرف الأخلاق والتحلِّي بأكرم الخصال، وأحسن مدرسة يجب أن يتعلموا فيها كيف يكون الصدق في القول،*

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٥٥.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٣٥/١، من مقالة "البخيل".

(٣) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٥٥.

والإخلاص في العمل، والثبات على الرأي وسيلةً إلى النجاح، وكيف يكون الجهاد في سبيل الله سببًا في علوِّه على الباطل "[1].

يبني المنفلوطي حجاجه في الملفوظ السابق على استراتيجيَّة تعمد إلى توجيه القارئ اتخاذ رسول الله r قدوة بالسير على منواله وفق عدَّة قيم تتمثَّل في الصدق والإخلاص والثبات والجهاد في سبيل الله، ومثل هذه الاستراتيجية التي تتخذ من شخص الرسول r قدوة ونموذجًا تمنح الحجاج طاقةً تفضي إلى إذعان القارئ والتأثر بما يقال.

١٠-١-١٨ عكس النموذج:

ويكون الحضُّ في هذهالاستراتيجيَّة لا على سبيل الاقتداء، وإنمَّا على سبيل الانفصال عن الشخص الذي يمثل عكس النموذج[2]. ومن أمثلتها:

ـيخاطب الكاتب القارئ موجهًا إياه إلى ضرورة الاقتداء بالنبي محمد r في حلمه وسعة أمله، وأنَّنا ما دمنا نملك مثل هذه السيرة العطرة فلا حاجة لنا بغيرها:

- " *لا حاجة لنا بتاريخ حياة فلاسفة اليونان وحكماء الرومان وعلماء الفرنجة، فلدينا في تاريخنا حياة شريفة مملوءة بالجدِّ والعمل، والبرِّ والثبات، والحب والحكمة ...* "[3].

يوظِّف المنفلوطي في الملفوظ السابق نموذجًا عكسيًا ليس جديرًا -بحسب رأيه- بالاقتداء به ما دام العربي المسلم يحظى بسيرة عطرة تتمثل في حياة الرسول r .

١٠-١-١٩ التمثيـل:

يرى برلمان وتيتيكا أنَّ التمثيل في الحجاج ينبغي أن تكون له مكانته باعتباره أداة برهنة، فهو ذو قيمة حجاجيَّة تظهر حين ننظر إليه على أنَّه تماثل قائم بين البنى، وصيغة هذا التماثل العامَّة هي: أنَّ العنصر (أ) يمثل إلى العنصر (ب) ما يمثله العنصر (ج) بالنسبة إلى العنصر (د)[4]، ومن أمثلة ذلك:

---

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٣٩/١، من مقالة "عبرة الهجرة".

(٢) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٥٦.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٣٩/١، من مقالة "عبرة الهجرة".

(٤) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٥٦.

ـ يصف المنفلوطي حقيقة الجمال، وأنَّه قائم على تناسب الأجزاء، فيقول:

- "*ما كان الوجه الجميل جميلاً إلا للتناسب بين أجزائه، وما كان الصوت الجميل جميلاً إلا للتناسب بين نغماته*"(١).

يمكن تحليل بنية التماثل في الملفوظ السابق وفق التالي:

(أ) الوجه الجميل ← (ب) التناسب بين الأجزاء

↓ ↓

(ج) الصوت الجميل ← (د) التناسب بين النغمات

١٠-١-٢٠ الفصل بين المفاهيم:

الانفصال بين العناصر في الحجاج يقتضي وجود حدَّة بينها، ومفهوم واحد لها، فهي عناصر عائدة إلى اسمٍ واحدٍ يعيِّنها، وإنَّما وقع الفصل بينها لأسباب دعا إليها الحجاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامن بعضها مع بعض، ومن أمثلة استرتيجيات الفصل: بعض الجمل الاعتراضيَّة، وبعض الأفعال من نحو: "يزعم، يتوهم"، أو تلك الأقوال الواقعة بين قوسين أو مزدوجين أو علامتي تنصيص(٢).

ومثل هذه الاستراتيجيةكثيرٌ في مظاهر الحجاج لدى المنفلوطي، ومن ذلك:

ـ يخاطب المنفلوطي طالب العلم حاثًا إياه على الفهم لا الاقتصار على الحفظ:

- *لو كان العلم المحفوظ علماً –وهو على ما نشاهد ونعلم من سوء الأثر وقلَّة الجدوى- ما ورد مدح العلم في كتاب ولا سنَّة، ولا قدَّسه كاتب، أو ترنمَّ بمدحه شاعر*"(٣).

ـ يتعجَّب المنفلوطي من اغترار الإنسان بقوَّته واعتداده بنفسه، واعتقاده أنَّ في يده زمام الكائنات يصرِّفها كيف يشاء ويسيرِّها كما يريد، وهو لا يقدر على مطاردة بعوضة بمذبَّة! ثم يسترسل في حديثه قائلاً :

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١/١٧٠، من مقالة "الجمال".

(٢) انظر صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٦١-٦٤.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١/٢٥٠، من مقالة "النبوغ".

- " *يزعم ذلك، وهو يعلم أنَّه أضعف من أن يحتال لنفسه في المحافظة أصغر الحيوان جسماً وعقلاً، وأدناها قيمة وشأناً* "(١).

يعمل المنفلوطي في الملفوظ الأوَّل على حمل القارئ على تمثل مظهرين اثنين: "لو كان العلم المحفوظ علماً" و "نشاهد ونسمع سوء أثر حفظ العلم وقلَّة جدواه"وهذان المظهران يمثِّلان شيئاً واحداً، أي حجَّةواحدة، وكأنَّ المنفلوطي لا يدعو القارئ إلى الاقتناع بكون العلم المحفوظ ليس علماً فحسب، بل هو يدعوه بإلحاح إلى معانقة هذه الحجَّة، وإلى ترك غيرها باعتباره زائفاً ليس بحقيقة.

وما يصدق على الملفوظ الأول يصدق على الملفوظ الثاني، فالمنفلوطي يوظِّف الفعل "يزعم" من أجل تجسيد سمة الزيف في اعتقاد الإنسان وسلب سمة الحقيقة عنه، في صورة انفصاليَّة عن حديثه.

١٠-١-٢١ التضـــامن:

وهي استراتيجيَّة اجتماعيةواسعة جداً تعتمد على بنية الواقع، **وتعني تلك العلاقة الحميميَّة بين الكاتب والقارئ التي قد تتدرَّج من الحميمية إلى الانعدام التام، وتتجسَّد من خلال علامات لغويَّة معيَّنة تشير إلى رغبة الكاتب في التضامن مع القارئ**(٢).

ومن أبرز العلامات التي تجسِّد استراتيجيَّة التضامن ضمير المتكلمين "نا"؛ حيث يشير توظيفه في الملفوظ الحجاجي إلى رغبة الكاتب في احتواء القارئ، وضمِّه بطريقة غير مباشرة إلى رأيه، وكأنَّه يتحدَّث باسمه، ومن أمثلة هذه الاستراتيجية:

ـيخاطب المنفلوطي القارئ مستاءً من رحيل فضلاء السوريين عن أرض مصر على إثر إعلان الدستور العثماني، فيقول:

- " *قضوا بيننا تلك البرهة من الزمان يحسنون إلينا فنسيء إليهم، ويعطفون علينا فنسميهم تارة دخلاء، وأخرى ثقلاء، كأنَّا كنا نحسب أنَّهم قوم من شذَّاذ الآفاق أو نفايات الأمم جاؤوا إلينا يصادروننا في أرزاقنا، ويتطفلون على موائدنا، ولو أنصفناهم لعرفناهم وعرفنا أن أكثرهم من بيوتات المجد والشرف* "(٣).

(١) المرجع السابق ٢٣٨/١، من مقالة "البعوض والإنسان".

(٢) انظر الشهري، ظافر بن عبدالهادي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ٢٥٦-٢٥٧.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢٠١/١، من مقالة "أهناء أم عزاء".

يعمل المنفلوطي من خلال الملفوظ السابق على إعلان رغبته للقارئ بالتضامن معه، والحديث على لسانه، وكأنَّه يتحدَّث نيابة عنه، ويعتبر نفسه والقارئ شيئًا واحدًا، لما يمثِّله الضمير "نا" من علاقة حميمية، في عبارات من مثل: "قضوا بيننا" و "يحسنون إلينا" و "جاؤوا إلينا" و "أرزاقنا" و "موائدنا" و"أنصفنا" و "لعرفنا".

١٠-١-٢٢ الإحصاءات:

وتعمل هذه الاستراتيجيَّة لبنية الواقع **وهي من الآليات الحديثة التي تنوب كثيرًا عن الكلمة المستعملة في الخطاب الحجاجي القديم، للدلالة على قوَّة الحجَّة، وممَّا ساعد على انتشارها وجود التقانة الحديثة**[1]. ومن أمثلتها لدى المنفلوطي:

ـ يدعو المنفلوطي إلى تنظيم مظاهر الإحسان في مصر، ويرى أنَّه لو تمَّ تنظيمه لما بقي على أرض مصر بائس ولا فقير.

- " *ليست كمية المال التي ينفقها المحسنون في سبيل الإحسان ممَّا يستهان به، فلو قال قائل إنها تبلغ في مصر وحدها كل عام مليونًا من الذهب لما أخطأ التقدير.*

سألت رجلا من وجوه الريف المعروفين بالبر والإحسان عن كمية ما ينفقه كل عام في هذا السبيل فأطلعني على جريدة حسابه فرأيتها هكذا.

جنيه

١٠ *ولائم لمشايخ الطرق.*

٦٠ *ليالي في مولد البيومي والعفيفي والدشطوطي.*

٧٢ *مرتبات قراءة القرآن والدلائل والصلوات في مسجده ومنزله.*

٣٠ *هبات كبيرة للطائفين في البلاد الذين يستجدون باسم لد القديم والشرف الداثر.*

١٨ *صدقات للمتسولين على تقدير خمسة قروش يوميا تقريبا.*

١٠ *توضع في صناديق الأضرحة.*

٤٠ *ثمن خبز ولحم وملابس تفرق في المواسم الدينية.*

---

٢٤٠ لموع

---

(١) الشهري، ظافر بن عبدالهادي، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ٢٢٥.

فهذه أربعون ومائتا جنيه ينفقها في سبيل الإحسان رجل واحد من متوسطي الثروة في عام واحد، وفي مصر مئات مثله وعشرات يزيدون عليه وآلاف يقلون عنه، فلا غرابة في أن يقدر هذا النوع من الإحسان بمليون جنية ينفقه منفقوه على غير شيء سوى إغراء الكسلان بكسله، وحمل العامل على ترك عمله، وفي اعتقادي لو أن هذا المقدار حل من الإحسان محله، وأصاب منه موضعه، وأنفق في سبيل الخيرات النافعة ووجوه البر الحقيقية لارتقى بالأمة المصرية إلى ذروة الكمال"[1].

يعتمد المنفلوطي في الملفوظ السابق الاستراتيجيَّة الإحصائية باعتبارها وسيلة للوصول إلى النتيجة، فهو يحسب مجموع المبالغ التي ينفقها رجل متوسط الدخل في عام، وتبلغ ٢٤٠جنيهًا، ثمَّ يعمل على تحليل مثل هذه المبالغ، ويعقد نسبًا تقديريَّة ليصل إلى مبلغ تقديري، ثمَّ يخلص منه إلى النتيجة التي من أجلها أسس حجاجه، والمتمثِّلة في (∑ن) = "عندما يوضع الإحسان في موضعه الصحيح والحقيقي يؤدِّي للارتقاء بالأمَّة المصريَّة".

١٠-١-٢٣ المصادرة على المطلوب:

وهي استراتيجية قريبة في مفهومها من التعدية، غير أنَّها تجعل من **القضية التي ينبغي البرهنة عليها شيئًا مسلمًا به منذ البداية، وكأنَّ الحجَّة تجعل المطلوب نفسه مقدمة عامة مشتركة في القياس يراد به النتيجة، وقد اعتبرت خطأ منطقيًا، لكن على المستوى التداولي ليس الهدف من المصادرة على المطلوب هو الوقوف على ما فيه من خطأ منطقي أو شكلي، بقدر ما هو محاولة لوضع أسس للمعالجة التداولية**[2]. ومن أمثلة هذه الاستراتيجية:

ـ يستنكر المنفلوطي على الفيلسوف التاريخي اللورد كرومر تحامله على الإسلام عبر جملة من الاستدلالات المبنيَّة على المغالطة:

- " *يقول اللورد كرومر: إنَّ الدين الإسلامي دين جامد لا يتَّسع صدره للمدنية الإسلامية، ولا يصلح للنظام الاجتماعي، ويقول: إنَّ ما لا يصلح له الدين الإسلامي يصلح له الدين المسيحي. ويستدل على الإسلام بالمسلمين، وعلى المسيحيَّة بالمسيحيين*"[3].

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢١٤/١-٢١٥، من مقالة "في سبيل الإحسان".

(٢) انظر عشير، عبدالسلام، عندما نتواصل نغير ١٦٩-١٧٠.

(٣) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١٩٣/١، من مقالة "الإسلام والمسيحية".

تظهر المصادرة على المطلوب في الملفوظ السابق من خلال اعتبار النتيجة المطلوبة والمتمثلة في قول اللورد كرومر: "إنَّ الدين الإسلامي دين جامد لا يتسع صدره للمدنية الإسلامية"مقدمةً عامة، وينبني على ذلك أن تكون القضية في البرهنة مسلَّمًا من البداية، ويمكن تأوُّل هذه المغالطة بإعادة صياغتها في الملفوظ التالي: "ما دامت هذه هي أفعال المسلمين، إذن هذا هو الإسلام، وما دامت هذه هي أفعال المسيحيين، إذن هذه هي المسيحيَّة".

١٠-١-٤٢الحجَّة التوجيهيَّة:

وتتمثَّل هذه الاستراتيجيَّة في إقامة الدليل على الحجَّة بالبناء على فعل التوجيه الذي يختصُّ به المرسل، ويتمُّ التوجيه بفعل إيصال الحجَّة إلى المتلقي؛ حيث يولي المرسل عنايته بقصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصَّة، وربما أدَّى ذلك إلى انشغاله بأفعاله دون انشغاله بنفس المقدار بتلقي المستقبل(١)، وكأنَّ توجيهه هو القَيِّم على الحجَّة، وهو على النقيض من الحجَّة التقويمية التي يعمل المرسل من خلالها على تنبؤ وتوقُّع ما قد يعترض عليه المتلقي.

ومن أمثلة هذه الاستراتيجيَّة في ملفوظات "النظرات" ما يلي:

يخاطب المنفلوطي القارئ متسائلاً ومتعجبًا ممَّا يصحب المناظرة من سباب وشتم:

أتدري لمَ يسبُّ الإنسان مناظره؛ لأنَّه جاهل وعاجز معا، أما جهله؛ فلأنه يذهب في واد غير وادي مناظره وهو يظن أنَّه في واديه؛ ولأنه ينتقل من موضوع المناظرة إلى النظر في شؤون المناظر وأطواره كأنَّ كل مبحث عنده مبحث "فسيولوجي"، وأما عجزه؛ فلأنه لو عرف إلى مناظره سبيلا غير هذا السبيل لسلكه وكفى نفسه مؤونة ازدراء الناس إياه، وحماها من الدخول في مأزق هو فيه من الخاسرين محقا كان أم مبطلا "(٢).

يعمل الكاتب في الملفوظ السابق على توجيه الحجاج من خلال فعل إيصال الحجَّة ذاته، فسؤاله للقارئ "أتدري لمَ يسبُّ الإنسان مناظره"يوجهه فعل كلامي إثباتي آخر يقوم به السائل أيضًا: "لأنَّه جاهل وعاجز"، يستطرد في تفنيد الجهل والعجز منشغلاً بما أدَّته قوى أفعاله الإنجازية الموجَّهة من قِبله سلفًا عن تلقي القارئ.

(١) عبدالرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ٢٢٧ -بتصرف-.

(٢) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٢١٩/١، من مقالة "أدب المناظرة".

١٠ - ٢ الاستراتيجية كغايـــة.

يتَّخذ نمطٌ من التفكير الاستراتيجي في بعض الأعمال الحجاجيَّة بعداً غائيا، ومن خلالها يتمُّ تحديد الوجهة علوا وبدقَّة أكبر ممَّا يفترض أن تكون عليه الوسائل، وهذا النوع من الاستراتيجيات يعمل في صميم قوَّة الفعل الإنجازي؛ لذا تتحدَّد أبعاد الصيغة الحجاجية والتداولية فيه بالنظر إلى مقام التلفظ ومقصد الكاتب.

١٠-٢-١ العـــاطفة:

تمثِّل هذه الاستراتيجية هدفاً استراتيجيا مرحلياً، وتعدُّ شكلاً من أشكال الحجاج الموجَّه إلى الحقل الانفعالي الذي يقوم على الأحاسيس والمشاعر، فيستدر المرسل بذلك مشاعر الحزن أو تأنيب الضمير لدى المتلقي للتأثير فيه ولنيل إذعانه في القضيَّة المطروحة، وغالباً ما يتمُّ توظيف هذه الاستراتيجية عندما لا تجدي الحجج المنطقية والموضوعية نفعاً.

من المفيد الإشارة إلى أنَّ ثمَّة اختلافاً قائماً حول إمكانيَّة اعتبار العاطفة تؤدِّي أدواراً حجاجيَّة؛ حيث يرى أمرن و جروتندرست أنَّ الحجاج لا يستقيم له أمر إلا إذا خلا من العاطفة. في حين يتبنى دوجلاس والطن (D.Walton) موقفاً مرناً، فاستدعاء العواطف في الحجاج لا يشكِّل في حدِّ ذاته خطأ، على الرغم من أنَّ استدعاءها قد يستخدم استخداماً خاطئاً. أمَّا ميخائيل جيلبار (M.Gilbert) فيرى في مقال له سنة ٢٠٠٤م عدم التفريق بين الحجج المنطقية والحجج العاطفية، وأنَّ للعواطف تجليات مختلفة، وأنَّها جزء لا يستهان به من التواصل البشري، وتبعاً لذلك فهي جزء لا يتجزَّأ من الحجاج الدائر بين الناس، وعلى خلاف من سبقه يرى أنَّ العاطفة في الحجاج فعل مبني على العقل[1].

وبالرغم من الخلاف القائم حول إمكانية اعتبار العاطفة شكلاً من أشكال الحجاج إلا أنَّها –على المستوى التداولي- تضطلع بدور كبير في توجيه الحجاج، يتمثل في شحن الملفوظات بطاقة انفعالية حجاجية يمكن للمرسل أن يتَّخذ منها استراتيجيَّة بقصد التأثير في المتلقي أو إقناعه بقضيَّة ما، وهذه الطاقة الحجاجيَّة تظل مرنة بسياق التلفظ وبالجانب القصدي لدى المرسل، ومن أمثلة الملفوظات الحجاجية التي تتخذ من العاطفة استرتيجية لها ما يلي:

(١) انظر عبيد، حاتم، منزلة العواطف في نظريات الحجاج ٢٤٩-٢٦٢، مجلة عالم المعرفة (عدد خاص عن الحجاج) ، العدد الثاني للد (٤٠).

ليخاطب المنفلوطي الرجل السعيد طالبًا إليه الإشفاق على حال الفقراء والبؤساء وعدم تبلُّد المشاعر تجاههم، وأنَّ سرور النفس وحبورها في الرحمة بهم وبأحوالهم، فيقول:

- " *ليتك تبكي كلما وقع نظرك على محزون أو مفؤود فتبتسم سرورًا ببكائك، واغتباطًا بدموعك؛ لأن الدموع التي تنحدر على خديك في مثل هذا الموقف إنما هي سطور من نور تسجل لك في تلك الصحيفة البيضاء أنك إنسان*"(١).

يعمد المنفلوطي في الملفوظ السابق إلى استدرار مشاعر الرحمة لدى القارئ بحثِّه على البكاء تعاطفًا مع المحزونين والمفؤدين من الفقراء والبؤساء؛ حيث يوظِّف استراتيجيَّة العاطفة كغاية مرحلية يصل من خلالها لتحقيق النتيجة المتمثِّلة في تحقيق الرحمة بالضعفاء لدى العداء من الناس، وهذه الاستراتيجيَّة ما كانت لتتضح لولا إدراك مقام التلفظ في العمليَّة التواصلية، وكذلك قصد المنفلوطي من عقد الملفوظ؛ حيث إنَّ الاستراتيجيَّة العاطفة هنا لم تظهر في البنية اللغوية، بل دلَّ عليها المقام، كما أنَّ التمني بـ "ليت" يعدُّ فعلاً إنجازيًّا غير مباشر بحسب سيرل، والاستلزام الحواري في الملفوظ يقود إلى قوَّة إنجازيَّة تتمثَّل في الالتماس، فعندما يقول المنفلوطي: "ليتك تبكي .."إنَّما يقصد:ابْكِ ..".

١٠-٢-٢التهكُّم أو السخرية:

عندما يركن المنفلوطيإلى التهكُّم أو السخريةفهو إنَّما يجعل منهما غاية مرحلية يتذرَّع بهاوصولاً للنتيجة التي أسس من أجلها الحجاج.

وعادة ما تستحضر السخرية جانبًا تقويميًا مشفوعًا بحالة وجدانية، ويمكن النظر إلى السخرية في بعدها الحجاجي عبر مكونين اثنين: أحدهما انفعالي تأثيري مقصدي (مقامي)، وآخر بنائي دلالي بلاغي (لساني)، ويتجلَّى الأول في الاستخفاف المشتمل على الضحك أو الرغبة فيه، وعلى الاستهجان أو مجرد الإحساس بالمفارقة، أمَّا الثاني فتُجسِّده المفارقة الدلالية وما يترتب عليها من غموض ولبس،واعتمادًا على هذين المكونين عرَّف بعضهم السخرية بـ " أنَّهليست شيئًا آخر غير تقاطع بنية ضدِّية مع انفعال هازئ"(٢). ويمكن الاستعانة بالملفوظ التالي لتوضيح البعد الحجاجي في استرتيجية التهكم أو السخرية:

ليخاطب المنفلوطي القارئ مستهجنًا أفعال الأدنياء الذين لم يعوا معنى الشرف، متهكِّما من خلطائهمالذين يصوِّرون لهم الفساد شرفًا:

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ٩١/١، من مقالة "الرحمة".

(٢) انظر العمري، محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ٨٦-٨٧ -بتصرف-.

- "*هكذا يتصوَّر الأدنياء أنهم شرفاء، وهكذا يطلبون الشرف ويخطئون مكانه، وما أفسد عليهم تصورهم إلا الذين أحاطوا بهم من سجرائهم وخلطائهم وذوي جامعتهم، أولئك الذين (...) ينعون على الرجل المستقيم العفيف بلاهته وخموله حتى يفجر ويستهتر فيطرونه ويجلُّونه، ويكرمون صاحب الذهب، ولو أن كل دينار من دنانيره محجم من الدم، وأولئك الذين يسمون الفقير سافلا، وطيب القلب مغفلا، وطاهر السريرة بليدا، والحليم عاجزا*"[1].

يتجلَّى المكونان "اللساني والمقامي" في الملفوظ السابق عبر الانفعال الذي يظهر في عبارته "*هكذا يتصوَّر الأدنياء أنهم شرفاء*"بقصد التأثير في القارئ لتصحيح فساد التصوُّر المتمثل في المفارقة القائمة على طلب الشرف في غير مواضعه، ثمَّ يتجه بملفوظه إلى الاستخفاف والتهكُّم بحال بعض الخلطاء الذين يحضُّون على الفساد عندما يُطرون الرجل المستقيم العفيف أبلهاً، والفقير سافلاً، وطيب القلب مغفلاً ... إلخ، وغيرها من العبارات المغلوطة المثيرة للغموض واللبس، والمفارقات التي تدعو للضحك والاستهجان في ذات الوقت، ولهذا ظهرت السخرية في صورة تقاطع البنية الدلالية الضدِّية (الفقير = سافل) و (طيب القلب = مغفل)مع انفعال هازئ يدعو للسخرية والتهكُّم.

ويمكن توضيح استراتيجية هذا الملفوظ بالتقاطع الظاهر في الشكل (٤-١٠-١):

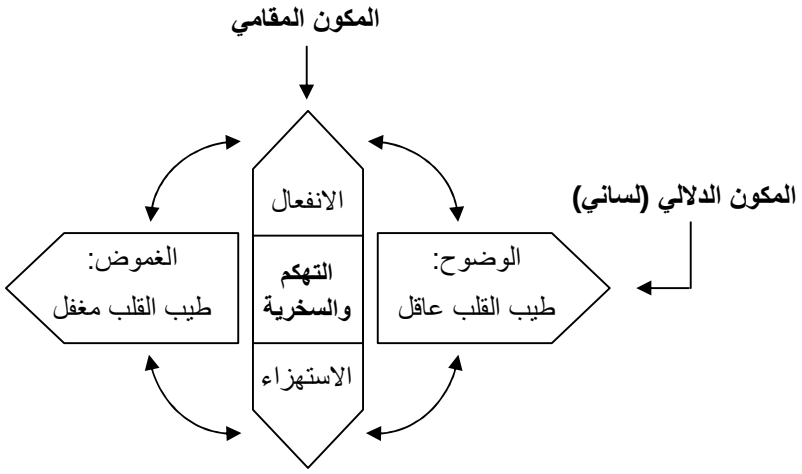

الشكل (٤-١٠-١)

! ! !

(١) المنفلوطي، مصطفى لطفي، النظرات ١/١٨٢-١٨٣، من مقالة "الشرف".

الخاتمة

انعقد هذا البحث على إلقاء نظرة مدققة في اللسانيات التداولية وأهم نظريا، ولسانيات الحجاج وآليا، وتطبيق مخرجات ذلك على الجزء الأول من كتاب "النظرات" للكاتب المصري مصطفى لطفي المنفلوطي من خلال دراسة البعد التداولي والحجاجي في مقالاته دراسة وصفية تحليلية؛ حيث اتضح من خلال هذه الدراسة أنَّ التداولية والحجاج نظريتان لسانيتان تعنيان بمظاهر الاستعمال في اللغة، وتنطلقان من فلسفة اللغة التحليلية والعادية في أعلى صورة لها من خلال اعتنائهما باللسان والكلام على حدٍّ سواء، وبذلك تكونان قد خالفتا إحدى أهم ثنائيات دوسوسير De. Saussure التي تختص باللسان والكلام ، بالإضافة إلى أما تعدَّان من أبرز النظريات التي أثَّرت في الدرس اللساني، وأصبحت تشكل جزءًا مهمًا من علم اللسانيات الحديثة كما أنَّما تستفيدان من عدَّة معرفيات لا تقتصر على اللغة وحدها، بل تتجاوزها إلى معرفيات أخرى كالفلسفة والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع.

والحقيقة أنَّ هذا البحث جاء محاولة لاستجلاء بعض الملفوظات ذات الأبعاد التداولية والحجاجية، ولا يعني بالضرورة استقصاء جميع تلك الملفوظات، كون الدراسة تتعلق بالتحليل.

ولطبيعة ما يتناوله هذا البحث، فهو يخلص إلى قسمين من النتائج، أحدها يعنى بالجانب النظري المتمثل في التداولية والحجاج، والآخر خاصٌ يعنى بالجانب التطبيقي وما تمخضت عنه دراسة البعد التداولي والحجاجي في الجزء الأول من نظرات المنفلوطي.

ولكون هذا القسم الأخير هو المعوَّل عليه في هذه الدراسة الذي انعقدت عليه إشكالية البحث، فستكون البداية منه:

١- ثراء ملفوظات الجزء الأول من كتاب النظرات بأفعال الكلام على اختلاف أغراضها وتنوع قواها الإنجازية، ممَّا يعني ثراء الاستعمال اللغوي وبالتالي تنمية المعاني واتساعها وتنوعها في الكتاب.

شكَّل المقام التلفظي جزءًا مهمًا لدى المتلقي في عملية التأويل لاستكشاف واستيضاح الملفوظات التداولية والحجاجية، على اعتبار أنَّ أدوار الكلام تتغير بتغير لحظة ومكان وحالة التلفظ.

٣- ظهور جميع أنماط خرق قواعد الحوار ممثلة في مبدأ خرق مبدأ التعاون، وبالتالي التأسيس لمظهر لغوي آخر حاضر بقوة في كتاب النظرات وهو الاستلزام الحواري.

٤- حرص المنفلوطي على تحقيق القصد من وراء ما يكتب، وبالتالي ظهور أثره في خطط القول وما يترتب عليها من تحقق لشروط نجاح لمعل الإنجازي وقوّته.

٥- ظهور إرهاصات تتمثل في إدراك المنفلوطي وتمييزه لأهمية الاستعمال، ودور اللغة الطبيعية من خلال انتخابه لـ "حديث القلب" باعتباره الأجدر في العملية التواصلية مع القارئ.

٦- بالرغم من اعتبار بعضهم خطاب المكتوب خطاباً هشاً إلا أنَّ كتاب النظرات عمل على توظيف المتلقي تجعله عنصراً متفاعلاً؛ الأمر الذي منح خطابه قوة وتماسكاً.

٧- تنوع الأدوار التواصلية التي تؤدِّيها ذات الكاتب بين مرسل ومتلق، ومحترِّد عن التلقي.

٨- ثراء الجزء الأول من كتاب النظرات بالصور الفنية السينوغرافية، بما يسمح بتحديد المكانة التي يتمتع بها القارئ من خلال التفنن في رسم معالم العالم الخارجي سواء تلك التي تدور في فلك الملفوظ الحقيقي أم المازي.

٩- ظهور طاقة الاقتضاء بجلاء في ملفوظات المنفلوطي؛ حيث يعمد إلى تقديم إلماحات لغوية ليهيئ الطريق لإيجاد خلفية تواصلية بينه وبين المتلقي، مع إدراكه أنَّ المتلقي سيستطيع وفق تجاربه وإمكانات ذهنه البشري أن يتأول تلك المضامين، ومفاد ذلك قدرة الكاتب على الإيجاز واختزال الكمِّ المنطوق.

١٠- ظهور ملامح الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة والصريحة وغير الصريحة في الجزء الأول من كتاب النظرات بحسب طبيعة المقام التلفظي، وظهور الملفوظ التقريري المؤدي إلى قوى إنجازية، ما يعني إبداع المنفلوطي وتنوع ملامح البعد التداولي في خطابه.

١١ قيام بنية الحجاج في كتاب النظرات على الإصلاح الاجتماعي الذي اتخذ منه منهجاً في إدارة آلية الاختلاف بين التوجيه والتقويم في عملية تتابعية يؤسس فيها لحجاجه، ثمَّ يعود ليبني من نتائجه حججاً جديدة تقود جميعاً إلى كشف النتيجة التي يؤسس من أجلها الحجاج، والمتمثلة في الإصلاح، وهذا يعني أنَّ البعد الحجاجي ليس جانباً مهملاً، أو حتى مهماً، بل إنَّه يشكل روح المقالة التي تتأسس عليه.

١٢- اتساق آلية الحجاج في النظرات مع منطق اللغة العادي المرن الذي يقصي المنطق الصوري، وبالتالي إقصاء أساليب البرهنة الرياضية الصارمة، وبناء على ذلك فإنَّ كتاب النظرات يمثل خطاباً طبيعياً، يحكمه المنطق الذي يحكم اللغة الطبيعية أو العادية.

١٣- كثرة السلالم الحجاجية بشكليها المعياري والمضاد، وإبراز القيمة الحجاجية، ما يشير إلى أنَّ مقالات الجزء الأول من النظرات نصوص حجاجية بامتياز.

١٤- يوظف المنفلوطي في كتاب النظرات عناصر ذواتية متعددة، بما يسمح بمشاركة هذه الذوات في إثراء العملية الحجاجية التي تصبُّ في غاية المطاف إلى استنتاج القصد الذي من أجله تمَّ تأسيس الحجاج.

١٥- تنوع طرائق الكاتب في الحجاج بين الإضمار والتصريح، وميله أحياناً إلى التصريح بالمبادئ العامة المشتركة.

١٦- تؤدِّي الروابط والعوامل التي وظفها المنفلوطي في ملفوظاته الحجاجية أدواراً متنوعةً، تسهم في إبراز القيمة الحجاجية التي تميزها عن القيمة التبليغية، كتختلفاوت كماً ووظيفة من مقالة إلى أخرى.

١٧- بالرغم من تنوع أشكال المبادئ العامة المشتركة التي يتخذها الكاتب كمسلمات مشتركة يستند إليها وتضمن له التأسيس للحجاج، إلا أنَّ آليات الحجاج تظهر إيلاء المنفوطي الثقل الأكبر لـ "المواضع"، ومفاد ذلك يتجلى في تغليبه لبنية الرأي في خطابه على حساب جوانب البنى القطعية المباشرة غير القابلة لإعادة المراجعة.

١٨- تعدد أشكال الاستراتيجيات الحجاجية، سواءً تلك التي تبدو كوسائل،أو تلك التي تبدو كغايات؛ حيث يمكن أن يدلَّ هذا التعدد على إدراك الكاتب لطبيعة الخطاب الحجاجي وتقنياته، وسبل استثماره في بنية الإقناع والتأثير.

١٩- قابلية النصوص الأدبية العربية الحديثة لا سيما المقالة لدراسة أبعادها التداولية والحجاجية.

أمَّا تلك النتائج المتعلقة بالجانب النظري، فيمكن إجمالها فيما يلي:

١- يظهر البحث أهميَّة النظرية التداولية، وما تشكله من استقطاب للدراسات اللسانية التي تهتم بالكلام وعناصر التلفظ والأبعاد الاستعمالية للغة.

٢- تكشف الدراسة عن انطلاق التيار التداولي من خلالالفلسفة التحليلية، وتحديداً من خلال فلسفة اللغة العادية المؤسسة وفق رؤيةفتجنشتاين، ثمَّ تطوره لاحقاً على يد علماء مدرسة أكسفورد.

٣- تعد التداولية ملتقى لتخصصات ومعرفيات شتى، فهي ليست علماً لغوياً محضاً، فهي تتجاوز البنيوية والتوقف عند أشكالها إلى ما بعد الشكل، كما أنها تتجاوز التوليدية وتفسيرها إلى بنية القصد والتواصل، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال.

٤- كشف البحث عن تعدد ملامح المفهوم التداولي لتعدد الجوانب المعرفية والفلسفية والاجتماعية والنفسية التي لمت التداولية منها، غير أن تركيزها بدا واضحاً على عدَّة مفاهيم كالاستعمال، والخطاب، والتواصل، والدلالة، والسياقات، والإنجاز، والمقامات، والتأويل، والمتضمنات، وهذا بدوره قد انعكس على تعدد المصطلح عند نقله إلى العربية.

٥- تداخل العديد من المفاهيم التداولية أثناء الدراسة، فقد يظهر الاستلزام الحواري عند دراسة التلفظ، أو المحتوى القضوي عند دراسة الاقتضاء، أو الفعل الكلامي عند دراسة الحجاج، ما يشير إلى أنَّ التداولية تمثِّل كلاً متداخلاً من المفاهيم المتشابكة التي يسند بعضها بعضاً، وتجمع بينها ظواهر الاستعمال.

٦- تتأسس دراسة البعد التداولي في الملفوظ وفق آلية تحدد من خلال الافتراضات المسبقة، والأعراف اللغوية والاجتماعية، والنجاح والإخفاق في تحقيق الإنجاز الكلامي، ودور القصد في توجيه القوَّة الإنجازية وقدرة المتلقي على تأوُّل تلك الملفوظات.

٧- كشف البحث عن محورية نظرية التلفظ في جميع النظريات التداولية لاهتمامها بوضعية التواصل الاستعمالي.

٨- تمثل نظرية "التعاون" لـ جرايس نقطة الانطلاق للعديد من القوانين والمبادئ الحوارية التي نشأت بعدها، وأنَّ خرق هذه القوانين يشكل ظاهرة لا تقل أهمية عن الالتزام ذاته، وهي "الاستلزام الحواري" الذي يكشف عن نمط آخر غير معلن من التواصل.

٩- يمثل المحتوى القضوي وفق تصور سيرل نقطة مهمَّة في التفريق بين الاقتضاء والاستلزام الحواري.

١٠- صعوبة دراسة اللغة دراسة شكلية معزولة عن المؤثرات المقامية في العالم الخارجي؛ حيث تظهر دراسة الجانب الاستعمالي أهمية في تحديد الملامح القصدية والتأويلية للملفوظ.

١١- يشكل برنامج هانسون استيعاباً نسبياً للنظريات التداولية من خلال درجاته الثلاث التي تؤسس لدراسة الملفوظات بأنواعها في اللغات العادية.

١٢- ظهور أبعاد تداولية مشتركة ومظاهر استعمال واحدة بين العديد من اللغاتأبرزَها ما يمكن وصفه بتعانق النظرية الغربية مع طبيعة المدونة العربية محط الدراسة.

١٣- قيام نظرية "البلاغة الجديد" ونظرية "الحجاج في اللغة أو التداولية المندمجة" نتيجة لإخفاق النظريات اللغوية الصورية، وبالتالي اهتمامهما بالبعد اللساني في اللغات العادية.

١٣- تتمثل الوظيفة الأساسية للحجاج في شكلين أساسيين، هما: الإقناع والتأثير، ومفاد ذلك أنَّ نتائجه ليست ملزمة.

١٤-تشكّل السلالم الحجاجيةًا تداوليًا فنيا من خلال ما تضفيها على الملفوظ من تراتبية وتسلسل في التأسيس لبنية الحجاج.

١٥- يكشف البحث عن مظاهر التفريق بين توظيف الروابط والعوامل في صورا الشكلية، وصورا الحجاجية التي تضفي قيمة على الملفوظ تتجاوز حدود التبليغ.

وفي ـاية المطاف، هذا ما وفقني الله للوقوف عليه ودراسته في هذا الباب الثري الماتع من علوم اللسانيات الحديثة، فالله أسال أن يكونعملاًخالصًا لوجهه الكريم، فإن أصبت فمن عنده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين .

b

— — —

المراجع والمصادر العربية

١- **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر** ، نحلة، محمود أحمد، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط١، ٢٠٠٢م

٢- **الأدب العربي المعاصر في مصر**، ضيف، شوقي، القاهرة: دار المعارف، ط ١٠، ب.ت.

٣- **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، الشهري، عبدالهادي ظافر، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.**

٤- **الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه** ، مقبول، إدريس ، الأردن، إربد: عالم الكتب الحديث، الأردن، عمان: جدارا للكتاب العالمي، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

٥- **الألسنية محاضرات في علم الدلالة**، عون، نسيم، بيروت: دار الفارابي، ط١، ٢٠٠٥م.

٦- **الاستلزام الحواري في التداول اللساني : من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها**، العياشي، أدراوي، ، الرباط: دار الأمان، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٧- **الاقتضاء : دلالاته وتطبيقاته في أسلوب القرآن الكريم**، النجار، أشواق محمد، عمان: دار دجلة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٨- **الاقتضاء وانسجام الخطاب**، الهمامي، ريم ، بيروت: دار المدار الإسلامي، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٩- **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، مجموعة مؤلفين، تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، ب.ط، ب.ت.

١٠- **براجماتية اللغة ودورها في تشكيل بنية الكلمة**، المعايطة، ريم فرحان ، عمان: دار اليازوري العلمية، ب.ط، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

١١- **البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل**، عمران، قدور ، الأردن، إربد: عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٢- **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول** ، العمري، محمد، المغرب، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

١٣- **تاريخ الأدب العربي** ، الزيات، أحمد حسن، القاهرة: دار ضة مصر، مزيدة ومنقحة، ب.ط، ب.ت.

١٤- **التداوليات : علم استعمال اللغة** ، مجموعة مؤلفين، الأردن، إربد: عالم الكتب الحديث، الأردن، عمان: جدارا للكتاب العالمي، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١١م .

١٥- **التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة** مجموعة مؤلفين، عمَّان: دار كنوز المعرفة، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

١٦-**التداولية اليوم علم جديد في التواصل**، روبول، آن- موشلار، جاك، ترجمة: د.سيف الدين دغفوس- د.محمد الشيباني، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط١، ٢٠٠٣م.

١٧- **التداولية عند العلماء العرب : دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي**، صحراوي ، مسعود ، بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

١٨- **التداولية في الدراسات النحوية**، جاد الكريم، عبدالله، القاهرة: مكتبة الآداب، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

١٩- **التداولية من أوستين إلى غوفمان**، بلانشيه، فيليب، ترجمة: صابر الحباشة، سوريا، اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٠- **التداولية والحجاج : مداخل ونصوص** ، الحباشة، صابر ، دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .

٢١- **الجامع في تاريخ الأدب العربي/الأدب الحديث**، الفاخوري، حنَّا، بيروت: دار الجيل، ط١، ١٩٨٦م.

٢٢- **الحجاج بين المنوال والمتتال**، الشبعان، علي، تونس: مسكيلياني للنشر، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٣- **الحجاج : مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الحديثة** ، مجموعة مؤلفين، الأردن، عمان: عالم الكتب الحديث، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠ م.

٢٤- **الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة**، مجموعة مؤلفين، الأردن: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م.

٢٥- **خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي** ،حشاني، عباس، إربد: عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٤م.

٢٦- **الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقاربة تداولية** ، الشهري، عبدالهادي بن ظافر، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ط١، ٢٠١٣م.

٢٧- **الخطاب والحجاج**، العزاوي، أبو بكر، بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، ط١، ٢٠١٠م.

٢٨- **دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات**، المبخوت، شكري، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٠م.

٢٩- **صحيح سنن الترمذي**، الألباني، محمد ناصر الدين، تحقيق/ زهير الشاويش، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٠- **العقل واللغة والمجتمع : الفلسفة في العالم الواقعي**، سيرل، جون، ترجمة: الغانمي سعيد، الجزائر: منشورات الاختلاف، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٣١- **علم الدلالة**، عمر، أحمد مختار، القاهرة: عالم الكتب، ط٦، ٢٠٠٥م.

٣٢- **علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات ، عبابنه، يحيى/ الزعبي، آمنة، الأردن: دار الكتاب الثقافي، ب.ط، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.**

٣٣- **عندما نتواصل نتغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج** ،عشير، عبدالسلام، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ط٢، ٢٠١٢م.

٣٤- **العوامل الحجاجية في اللغة العربية**، الناجح، عز الدين، تونس-صفاقس: مكتبة علاء الدين، ط١، ٢٠١١م.

٣٥- **في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات**، صولة، عبدالله، تونس: مسكيلياني للنشر، ط١، ٢٠١١م.

٣٦- **لسان العرب**، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣٧- **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، عبدالرحمن، طه، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م.

٣٨- **اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري**، المتوكل، أحمد، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط٢، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م.

٣٩- **مبادئ التداولية**، ليتش، جيوفري، ترجمة: عبدالقادر قنيني، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ب.ط، ٢٠١٣م.

٤٠- **مبادئ اللسانيات**، قدور، أحمد محمد، دمشق: دار الفكر، ط٣ (مزيدة منقحة)، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٤١- **المحاورة : مقاربة تداولية** ، بدوح، حسن، الأردن، إربد: عالم الكتب الحديث، الأردن، عمان: جدارا للكتاب العالمي، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٤٢- **المدارس اللسانية المعاصرة**، بوقرة، نعمان، القاهرة: مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٤م.

٤٣- **مدخل إلى اللسانيات**، علي، محمد محمد يونس، ليبيا، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.

٤٤- **مدخل إلى علم اللغة** ، بلتس، هايدرون، ترجمة: سعيد حسن بحيري، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠١٣م.

٤٥- **مقاييس اللغة، ابن فارس**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ب.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٤٦- **مقدمة في التطور اللغوي**، أوينز، روبرت إي، ترجمة:مصطفى محمد قاسم، عمَّان: دار الفكر ناشرون وموزعون، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٤٧- **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب** ، علي ، محمد محمد يونس، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.

٤٨- **مغامرات المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني**، الحباشة، صابر، دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١١م.

٤٩- **الملفوظية**، سيرفوني، جان، ترجمة د. قاسم المقداد، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ب.ط، ١٩٩٨م.

٥٠- **مناهج البحث في اللغة**، حسان، تمام، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ب.ط، ١٩٩٠م .

٥١- **النظرات** ، المنفلوطي، مصطفى لطفي، بيروت:الدار النموذجية، ب.ط، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٥٢- **نظرية أفعال الكلام العامة : كيف ننجز الأشياء بالكلام** ، أوستين، جون، ترجمة: عبدالقادر قينيني، تونس: أفريقيا الشرق، ب.ط، ١٩٩١م.

٥٣- **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب**، الطبطبائي، طالب سيد هاشم، الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، ب.ط، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

المراجع الأجنبية

1- An introduction to english semantics and pragmatics, Griffths, Patrick, Edinburgh: Edinburgh University Press Ltd, 2006.

2- Pragmatics, Livinson, Stephen C, Cambridge: Cambridge University Press, 1995.

3- Pragmatics, Yule. George, Oxford: Oxford University Press, second edition, 1996.

4- Slovenian lectures introduction into argumentative Semantics, Ducrot, O, Slovenia,Ljubljana: Pedagoški inštitut (Institute of Education), Digital Edition 2009.

5- Understanding Pragmatics, Verschueren. Jef, London: Edward Arnold / New York: Oxford University Press, PDF version, 1999.

الرسائل العلمية

1- Speech acts and agents a Semantic Analysis, Pedersen, Hans Madsen, M.Sc, The Technical University of Denmark, Denmark: IMM, DTU, 2002.

المراجع العلمية

١- **الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله**، الرقبي، رضوان، مجلة عالم المعرفة (عدد خاص عن الحجاج)، العدد (٢) المد (٤٠)، الكويت: المس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أكتوبر-ديسمبر ٢٠١١م.

٢- **استراتيجيات البنية الإقناعية وأبعادها التداولية في رسائل المنصور والنفس الزكية**، سالم، ثناء محمد، مجلة فيلولوجي – سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية علمية محكمة – كلية الألسن ، جامعة عين شمس ٢٠٠٩م.

٣- **التداولية**، عبدالحكيم، سحاليه، مجلة المخبر-أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، قسم الأدب العربي: العدد الخامس، مارس ٢٠٠٩م.

٤- **قراءة القرطاجي في ضوء نظريات تحليل الخطاب الحديثة**، الميساوي، خليفة، الندوة الدولية الثانية: قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة، جامعة الملك سعود. ٢٠١٤م .

٥- **مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لديكرو وأنسكومبر**، الرضي، رشيد، مجلة عالم المعرفة (عدد خاص عن الحجاج)، العدد (٢) المد (٤٠)، الكويت: المس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أكتوبر-ديسمبر ٢٠١١م.

٦- **منزلة العواطف في نظريات الحجاج**، عبيد، حاتم، مجلة عالم المعرفة (عدد خاص عن الحجاج)، العدد (٢) المد (٤٠)، الكويت: المس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أكتوبر-ديسمبر ٢٠١١م.

المواقع الإلكترونية

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (http://ar.wikipedia.org/wiki)

كشَّاف المصطلحات

عربي/ Arabic	إنجليزي/ English	الصفحة
إثباتيات	assertives	٦٦، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٦، ١٨٨.
استراتيجية حجاجية	argumentative strategie	٤، ٦، ٧٦، ٨٥، ٨٦، ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥١.
استلزام حواري	conversational implicature	٤، ٥، ٦، ١٧، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٨، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٧، ٩٤، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٠، ١٨٤، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٢.
إشاريات	deixis	٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٤٣، ٤٤، ٥٢، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٥، ١١٥، ١١٦، ١١٧.
إشاريات اجتماعية	social deixis	٤٥، ١١٠، ١١١.
إشاريات زمانية	temporal deixis	٤٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠.
إشاريات شخصية	personal deixis	٤٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.
إشاريات مكانية	spatial deixis	٤٥، ١٠٧، ١٠٨.

إعلانيات	declaratives	٦٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١.
افتراضات	presumptions	٨٣، ٨٥، ٢٢٣.
اقتضاء	presupposition	١، ٤، ٥، ٦، ١٧، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٨، ٤٠، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٧٧، ٩٣، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٦٩، ١٨٢، ٢٥٠، ٢٥٢.
إيضاحيات	excpositives	٦٦، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٨، ١٥٩.
إيماء	paralanguage	٤٥، ١١١، ١١٥.
برهنة	demonstration	١، ٦٩، ٧٠.
بعد تداولي	pragmatic dimension	٢، ٣، ٤، ٥، ٢١، ٣٤، ٨٨، ١٠٠، ١٠٣، ١١٢، ١١٥، ١٢٩، ٢٣٥، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٣.
بعد حجاجي	argumentative dimension	٢، ٣، ٤، ٥، ٧٢، ١٨٩، ١٩٠، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠.
بنيوية/ شكلية	structural	١، ٢٧، ١٩، ٢١، ٣٩، ٤٠، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٧، ١٨٥، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٣.
تداولية مندمجة	integrated pragmatics	٣، ٣٢، ٣٥، ٤٤، ٦٩، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٢٥٣.
تركيب	syntax	١، ٢، ٨، ٢٧، ٣٤، ٣٦، ٦٢، ٩٢، ١١٩، ١٢٠، ١٦٠، ١٦٥، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ٢٠٩، ٢١٦.

تعبيريات	expressives	٦٦، ١٧٦.
تعدد الأصوات	polyphony	٤، ٣٥، ٤١، ٧٤، ١٩٥.
تلفظ	enunciation	٢، ٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٩، ٥١، ٦٤، ٧٣، ٧٤، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١١٥، ١٤٠، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢.
تنغيم	intonation	٤٥، ١١١، ١١٢، ١٨٥، ١٨٧.
تنفيذيات	exercitive	٦٥، ٦٦، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٩.
تذيب	politeness	٤٦، ٤٧، ٤٨، ١٣٦، ١٣٧، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣.
تواصل	communication	١، ١٠، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٦٣، ٦٩، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١١٢، ١٢٠، ١٢١، ١٣٩، ١٥١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٢.
توجيهيات	directives	٦٦، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٨.
توليدية	generative	١، ٣٦، ٧٣، ٢٥٢.
جهاز شكلي	formal apparatus	٣٩، ٤٣، ١١٥، ١١٨.

حجَّة	argument	٥، ٧٠، ٧٨، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٦، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥.
حقائق	--	٨٣، ٨٥، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٩.
خرق	infringement	١، ٤، ٥، ٦، ٤٨، ٥٥، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٨٤، ١٨٨، ٢٤٩، ٢٥٢.
دلالة	semantics	٦، ١٠، ٢١، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٩، ٥٢، ٥٤، ٥٨، ٥٩، ٦٤، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٩٢، ١١١، ١١٧، ١٢٩، ١٤٤، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٨، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٥٢.
رابط حجاجي	argumentative connection	٤، ٥، ٦، ٨١، ٨٢، ٨٤، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢٥١، ٢٥٣.
سلَّم حجاجي	argumentative scale	٤، ٥، ٦، ٧٤، ٧٩، ٨٠، ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٢، ٢٥٣.

سلوكيات	behabitives	٦٦، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩.
سياق تلفظ	context of enunciation	٢٨، ٣١، ٣٣، ٣٩، ٤٩، ٥٤، ٨٣، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٦١، ١٧٥، ١٨٥، ٢٠٠، ٢١٩، ٢٤٦.
سينوغرافيا	scenography	٤٤، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ٢٥٠.
ضامن أو سند	guarantor or support	٨٤، ١٩٩، ٢١٩، ٢٢٠.
طريقة	manner	٤٧، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠.
عامل حجاجي	argumentative operator	٤، ٥، ٦،٧٤، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٥١، ٢٥٣.
فعل إنجازي	illocutionary act	٢، ٦، ٢٩، ٣٢، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٥، ١١٠، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٠.
فعل إنجازي صريح	explicit illocutionary act	١٢٨، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٨٨.

فعل إنجازي غير صريح	non-explicit illocutionary act	١٢٨، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.
فعل إنجازي غير مباشر	indirect illocutionary act	٦٧، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢، ٢٤٧.
فعل إنجازي مباشر	direct illocutionary act	٦٧، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥.
فعل تأثيري	perlocutionary act	٣٢، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ١٥٢، ١٦٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٥٢، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤.
فعل قولي/تلفظي	locutionary act/ enunciation act	٦١، ٦٢، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٦٠، ١٦٤.
فعل كلامي	speech act	٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٩، ٢٠، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٥١، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧٣، ٧٥، ٧٨، ٩٠، ٩١، ١١١، ١٢٠، ١٢٩، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٦، ١٧٦، ١٨١، ١٩١، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢.
قراريات	verdictives	٦٥، ٦٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٩.
قصدية	Intentionality	٢٧، ٣٠، ٤٠، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٩٠، ١٠١، ١٥١، ٢٤٦، ٢٥٢.

قوَّة إنجازية	illocutionary force	٣، ٤، ٦، ٢٧، ٤٩، ٥٥، ٦١، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٨٩، ١٠١، ١١٥، ١١٨، ١٣٨، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢.
قيم	values	٨٣، ٨٥، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩.
كلام	parole	١، ٢، ٧، ١٩، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ١٠٨، ١٠٩، ١٢٠، ١٢١، ١٣٦، ١٣٧، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٨، ٢٤٩، ٢٥١.
كم	quantity	٤٦، ٤٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٠.
كيف/نوع	quality	٤٦، ٤٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٨٨.
لسان	langue	١، ٩، ١٣، ١٩، ٢٢، ٢٤، ٢٨، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ١٩، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٥٩، ٦٥، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٧٧، ٨١، ٨٣، ٩٨.

لسانيات	linguistic (s)	١، ٢، ٣، ٥، ٩، ١٠، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٤٩، ٥٦، ٦٩، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٨١، ٩٨، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٣.
لغة طبيعية/عادية	natural language	١، ٢، ٤، ٩٠، ٩١، ١٢٩، ١٤١، ١٤٩، ١٥١، ١٦٢، ١٦٥، ٢٠١، ٢٠٩، ٢٥٠.
مبدأ التعاون	principle of co-operation	٢، ٣، ٤، ٢٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٨٩، ١١٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٦٦، ١٨٤، ٢٤٩، ٢٥٢.
متضمن قول	Implication	٢، ٣، ٥، ٦، ٢٥، ٢٩، ٣٣، ٣٨، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٨١، ٩١، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ٢٥٢.
محتوى قضوي	propositional act	٤٩، ٥٥، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٧٤، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٨، ٢٥٢.
مشهد جامع	scene of embracing	٤٤، ١٠١.
مشهد نوعي	scene of generic	٤٤، ١٠١، ١٠٣.

مغالطة وصفية	descriptive fallacy	٥٩.
مقام	situation	٧، ١٩، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١١٠، ١١٢، ١١٥، ١١٨، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٤، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٢.
مقام تبليغ	situation of communication	٥، ٤٣، ١٠٠.
مقام تلفظ	situation of enunciation	٤، ٤٣، ٤٤، ٩٢، ٩٨، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١١٥، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٣، ١٥٠، ١٦٧، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠.
ملاءمة	relevance	٣٢، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٥، ١١٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩.
ملفوظ إنجازي/إنشائي	performative enunciate	٣، ٤، ٩، ٢٧، ٦٠، ٦١، ٦٥، ٩١، ١٤٤، ١٥٢، ١٥٥، ١٦٢، ١٨٥.
ملفوظ تقريري	constative enunciate	٤، ٩، ٥٥، ٦٠، ٦١، ٨٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣ ←

		١٥٥، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٩، ٢٥٠.
مواضعة	convention	٥٨، ٦١، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٦٣، ١٦٤.
نتيجة	result	٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٢.
نتيجة مضادة	reverse result	٨٠، ٨٢، ٢٠٧، ٢٠٨.
هرميات	hierarchies	٨٣، ٨٥، ٢٢٥.
وعديات/التزاميات	commissives	٦٥، ٦٦، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٠.
وقائع	facts	٨٣، ٨٥، ٢٢٠.

n

مقدمة ١

تمهيد ١٢

مصطفى لطفي المنفلوطي ١٣

كتاب النظرات ١٥

الفصل الأول (الجانب النظري) ١٦

الرموز المستعملة ١٧

المبحث الأول (التداولية وأهم نظرياتها) ١٨

١- التداولية النشأة والمفهوم ١٩

١-١ تخصص أو ملتقى تخصصات ٢٢

١-٢ تعريف التداولية ٢٥

١-٢-١ التداولية لغة ٢٥

١-٢-٢التداولية اصطلاحًا ٢٦

١-٢-٣ المصطلح والتعددية ٣٠

١-٣ تداولية أم تداوليات ٣١

١-٣-١ التداولية الكلاسيكية ٣٢

١-٣-٢ التداولية اللسانية الاجتماعية ٣٢

١-٣-٣ التداولية التلفظية أو التداولية المندمجة ٣٢

١-٣-٤ التداولية الأساسية ٣٢

١-٣-٥ التداولية النصية ٣٢

١-٣-٦ التداولية النفسية الاجتماعية ٣٢

١-٣-٧ التداولية العامة ٣٣

١-٤ برنامج هانسون ٣٣

١-٥ التداولية بين التركيب والدلالة ٣٤

٢ - نظرية التلفظ ٣٩
٢-١ التلفظ ٤١
٢-٢ التلفظ والتواصل ٤١
٢-٣ الملفوظ ٤٢
٢-٤ الجهاز الشكلي للتلفظ ٤٣
٢-٥ المقام ٤٣
٢-٥-١ مقام التبليغ ٤٣
٢-٥-٢ مقام التلفظ ٤٣
٢-٥-٢-١ المشهد الجامع ٤٤
٢-٥-٢-٢ المشهد النوعي ٤٤
٢-٥-٢-٣ السينوغرافيا ٤٤
٢-٥-٣ الإشاريات ٤٤
٢-٥-٤ التنغيم والإيماءات ٤٥
٣ - مبدأ التعاون ٤٦
٣-١ جازدار ومراجعة صياغة مبدأي الكيف والكم ٤٨
٣-٢ سبيبر وويلسون (نظرية الملاءمة) ٤٨
٣-٣ روبين لايكوف (مبدأ التهذيب) ٤٨
٤ - متضمنات القول التداولية ٤٩
٤-١ الاقتضاء ٥٢
٤-٢ الاستلزام الحواري ٥٣
٤-٣ الفرق بين الاقتضاء والاستلزام الحواري ٥٦
٥ - نظرية الأفعال الكلامية ٥٨
٥-١ معايير التفريق بين الملفوظات التقريرية والملفوظات الإنجازية ٦٠
٥-٢ شروط نجاح الفعل الإنجازي ٦١
٥-٣ أقسام الفعل الكلامي ٦٢
٥-٣-١ فعل القول ٦٢
٥-٣-٢ الفعل الإنجازي ٦٢

٥-٣-٣ الفعل التأثيري ٦٤
٥-٣-٤ المحتوى القضوي ٦٥
٥-٤ تصنيف الأفعال الإنجازية ٦٥
٥-٤-١ تصنيف أوستين ٦٥
٥-٤-٢ تصنيف سيرل ٦٦
٥-٥ القوة الإنجازية ٦٧
٥-٥-١ الفعل الإنجازي المباشر وغير المباشر ٦٧
المبحث الثاني (نظرية الحجاج) ٦٨
١- مفهوم الحجاج ٦٩
١-١ مدخل عام ٦٩
١-٢ البلاغة الجديدة ٧٠
١-٢-١ الموجهات الحجاجية ٦٧
١-٣ التداولية المندمجة ٧٣
١-٤ تعريف الحجاج ٧٦
١-٤-١ الحجاج لغة ٧٦
١-٤-١الحجاج اصطلاحًا ٧٧
٢- الظاهر والمضمر في الحجاج ٧٨
٣- السلالم الحجاجية ٧٩
٤- الروابط والعوامل الحجاجية ٨١
٤-١ الروابط الحجاجية ٨١
٤-٢ العوامل الحجاجية ٨٢
٥- المبادئ العامة المشتركة ٨٣
٦- الاستراتيجيات الحجاجية ٨٥

الفصل الثاني (الجانب التطبيقي) ٨٧
المبحث الأول (البعد التداولي) ٨٨
١- مدخل ٨٩

٢ - البعد التلفظي ٩٢
٢-١ المظاهر التواصلية بين الواقع والماز والخيال ٩٤
٢-٢ البعد المقامي ٩٨
٢-٢-١ البعد المقامي التبليغي ١٠٠
٢-٢-٢ البعد المقامي التلفظي ١٠١
٢-٢-٢-١ المشهد الجامع ١٠١
٢-٢-٢-٢ المشهد النوعي ١٠٣
٢-٢-٢-٣ السينوغرافيا ١٠٣
٢-٢-٣ البعد الإشاري ١٠٥
٢-٢-٣-١ الإشاريات الشخصية ١٠٦
٢-٢-٣-٢ الإشاريات المكانية ١٠٧
٢-٢-٣-٣ الإشاريات الزمانية ١٠٨
٢-٢-٣-٤ الإشاريات الاجتماعية ١١٠
٢-٢-٤ البعد التنغيمي والإيمائي ١١١
٢-٣ الجهاز الشكلي ١١٥
٣ - البعد الاقتضائي ١٢٠
٤ - الاستلزام الحواري وخرق مبدأ التعاون ١٢٩
٤-١ الاستلزام الحواري الناتج عن خرق مبدأ الكم ١٣٠
٤-٢ الاستلزام الحواري الناتج عن خرق مبدأ الكيف ١٣٤
٤-٣ الاستلزام الحواري الناتج عن خرق مبدأ الطريقة ١٣٦
٤-٤ الاستلزام الحواري الناتج عن خرق مبدأ الملاءمة ١٣٨
٤-٤-١ الملاءمة معيار واحد لجميع خروقات مبدأ التعاون ١٣٩
٤-٥ الاستلزام الحواري الناتج عن خرق قواعد مبدأ التهذيب ١٤١
٥ - ملامح الأفعال الكلامية والقوى الإنجازية ١٤٤
٥-١ ملامح الأفعال الإنجازية في ضوء نظرية أوستين ١٤١
٥-١-١ الفعل الإنجازي الصريح وغير الصريح وتحقق الشروط ١٤٤
٥-١-٢ الأفعال الإنجازية حسب تصنيف أوستين ١٥١

أفعال القرار ١٥١
أفعال التنفيذ ١٥٣
أفعال الوعد ١٥٤
أفعال السلوك ١٥٦
أفعال الإيضاح ١٥٨
٥-٢ ملامح الأفعال الإنجازية في ضوء نظرية سيرل ١٦٠
٥-٢-١ الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة ١٦٢
الفعل الإنجازي المباشر ١٦٢
الفعل الإنجازي غير المباشر ١٦٥
٥-٢-٢ الأفعال الإنجازية حسب تصنيف سيرل ١٦٩
الإثباتيات ١٦٩
التوجيهيات ١٧١
الالتزاميات ١٧٤
التعبيريات ١٧٦
الإعلانيات ١٧٨
٥-٣ ملامح الأفعال التأثيرية والقوى الإنجازية ١٨١
٥-٣-١ الأفعال التأثيرية ١٨١
٥-٣-٢ القوة الإنجازية ودرجلا ١٨٤
وسائل التقوية ١٨٥
وسائل الإضعاف ١٨٧
المبحث الثاني (البعد الحجاجي) ١٨٩
١ - مدخل ١٩٠
٢ - ملامح الموجهات الحجاجية ١٩٢
٢-١الموجِّه الإثباتي ١٩٢
٢-٢الموجِّه الإلزامي ١٩٢
٢-٣الموجِّه الاستفهامي ١٩٣
٢-٤الموجِّه بالتمني ١٩٤

٣- الحجاج وتعدد الأصوات ١٩٥
٤- الظاهر والمضمر ١٩٨
٥- النتائج وإعادة تأسيس الحجج ٢٠١
٦- السلالم الحجاجية وآليات الحجاج الفني ٢٠٣
٧- الروابط الحجاجية وأنماطها ٢٠٩
٧-١ الروابط المدرجة للحجج "حتى"أنموذجًا ٢٠٩
٧-٢ الروابط المدرجة للنتائج "إذن"أنموذجًا ٢١٠
٧-٣ الروابطلتي تدرج حججًا قوية "بل"أنموذجًا ٢١١
٧-٤ روابط التعارض الحجاجي "لكن"أنموذجًا ٢١٢
٨- العوامل الحجاجية ٢١٤
٨-١ العامل "إنما" والحصر ٢١٤
٨-٢ العامل "ما ... إلا ..." والاختزال ٢١٥
٨-٣ العاملان "لو-لولا" والتلازم ٢١٦
٩- المبادئ العامة المشتركة (السند أو الضامن) ٢١٩
٩-١ الوقائع ٢٢٠
٩-٢ الحقائق ٢٢١
٩-٣ الافتراضات ٢٢٣
٩-٤ القيم ٢٢٤
٩-٥ الهرميات ٢٢٥
٩-٦ المواضع ٢٢٦
١٠- الاستراتيجيات الحجاجية ٢٢٨
١٠-١ الاستراتيجية كوسيلة ٢٢٩
١٠-١-١ عدم الاتفاق ٢٢٩
١٠-١-٢ المفارقة ٢٢٩
١٠-١-٣ الحجة التقويمية ٢٣٠
١٠-١-٤ العلاقة التبادلية (قاعدة العدل) ٢٣١
١٠-١-٥ التعدية ٢٣١

١٠-١-٦ تحصيل الحاصل ٢٣٢
١٠-١-٧ إدماج الجزء في الكل ٢٣٣
١٠-١-٨ التقسيم ٢٣٤
١٠-١-٩ التعريف ٢٣٤
١٠-١-١٠ الوصل السببي ٢٣٥
١٠-١-١١ الحجة التواجدية ٢٣٦
١٠-١-١٢ السلطة ٢٣٦
١٠-١-١٣ الاتصال الرمزي ٢٣٧
١٠-١-١٤ حجَّة التبذير ٢٣٨
١٠-١-١٥ الحجَّة بالمثَل ٢٣٨
١٠-١-١٦ الاستشهاد ٢٣٩
١٠-١-١٧ النموذج أو القدوة ٢٣٩
١٠-١-١٨ عكس النموذج ٢٤٠
١٠-١-١٩ التمثيل ٢٤٠
١٠-١-٢٠ الفصل بين المفاهيم ٢٤١
١٠-١-٢١ التضامن ٢٤٢
١٠-١-٢٢ الإحصاءات ٢٤٣
١٠-١-٢٣ المصادرة على المطلوب ٢٤٤
١٠-١-٢٤ الحجة التوجيهية ٢٤٥
١٠-٢ الاستراتيجية كغاية ٢٤٦
١٠-٢-١ العاطفة ٢٤٦
١٠-٢-٢ التهكم والسخرية ٢٤٧

الخاتمة ٢٤٩
المراجع والمصادر العربية ٢٥٤
المراجع الأجنبية ٢٥٨
الرسائل العلمية ٢٥٨

المقالات العلمية ٢٥٩
المواقع الإلكترونية ٢٥٩
كشاف المصطلحات ٢٦٠
فهرس ٢٧٠

! ! !